

صِبْية نيكل

مستوحاة من أحداث حقيقية

@ketab_n

الفائزة بجائزة
Pulitzer
عام 2020

رواية

كولسون وايتهيد

ترجمة أميمة صبحي

صِبْية نيكل

صِبْية نيكل

تأليف: كولسون وايتهيد
ترجمة: أميمة صبحي

الترقيم الدولي (ISBN): 6-606-04-9948-978



إصدارات روايات (إحدى شركات مجموعة كلمات)
الطبعة الأولى 2023

القصباء - مبنى D
هاتف: 5566696 6 971+ فاكس: 5566691 6 971+
ص. ب. 21969 الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
info@kalimat.ae
www.kalimatgroup.ae

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا
لنظام التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب
المرجع: MC-10-01-1439248
الفئة العمرية: +17

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
The Nickel Boys



كولسون وايتهيد

صِبْية نيكل

(رواية)

مستوحاة من أحداث حقيقية

ترجمة أميمة صبحي



الإهداء

إلى ريتشارد ناش.

الصِّبيةُ ورطة حتى في الموت.

تقع المقبرة السرية في الجزء الشمالي من نيكل، داخل أرض جرداء بها حشائش برية متناثرة، بين الإسطبل القديم ومكب نفايات المدرسة. كان الحقل عبارة عن مراعي عندما كانت المدرسة تدير مصنعًا للألبان وتبيعه لزبائن محليين، وهو أحد برامج ولاية فلوريدا للتخفيف عن دافعي الضرائب عبء إعالة الصبية. مطوِّرو مجمع المكاتب خصّصوا الحقل ليصبح ساحة لتناول الغداء، بأربع نوافير مائية و(بَرْجولَة) إسمنتية للمناسبات المتفرقة. كان اكتشاف الجثث مشكلة معقدة للشركة العقارية التي تنتظر توضيحًا من الدراسات البيئية، وكذلك لمحامي الولاية الذي أغلق مؤخرًا تحقيقًا في قصص الانتهاكات. كان عليهم الآن البدء في تحقيق جديد، وتحديد هويّات الموتى وطريقة الموت، لم يكن هناك خبرٌ عن موعد تدمير المكان الملعون بالكامل، وتطهيره ثم محوه بدقة من التاريخ، وهو أمرٌ اتفق الجميع على فوات أوانه كثيرًا.

عرف الصِّبية كلّهم عن مكان هذه البقعة العفنة، فقد تطلب الأمر وجود طالبة من جامعة جنوب فلوريدا لتكشفها إلى بقية العالم، بعد عقود من تقييد الصبي الأول في شوال بطاطس وإلقائه هناك. وعندما سُئلت كيف كشفت عن أربع مقابر، قالت جودي: "التراب بدا فاسدًا". الأرض غائرة، والحشائش مكشوطة. بدأت جودي وبقية طلاب علم الآثار في الجامعة بحفر المقبرة الرسمية للمدرسة منذ شهور. لم تتمكن الولاية من

التخلص من مبنى المدرسة لإعادة دفن الرفات بشكل صحيح، كان طلاب علم الآثار بحاجة إلى موافقات ميدانية. قسموا المنطقة بالأوتاد والأسلاك ليحولوها إلى شبكات بحث، وحفروا بمجارف يدوية ومعدات ثقيلة. وبعد غربلة التراب، تناثرت العظام وأبازيم الأحزمة وزجاجات الصودا على صوانيهم وبدت كمعرض غامض.

أطلق صِبية نيكل على المقبرة الرسمية اسم بووت هيل[1]، وهو يعود إلى فيلم كان يُعرض في البرنامج الصباحي أيام السبت، ذلك البرنامج الذي استمتعوا به قبل إرسالهم إلى مدرسة نيكل وحرمانهم من هذا اللهو. ظلّ الاسم عالقًا بعد أجيال مع طلاب جنوب فلوريدا، الذين لم يروا أبدًا أمريكيًّا غربيًّا في حياتهم. وكانت بووت هيل تقع فوق المنحدر الكبير في الجزء الشمالي للمدرسة. كانت تميز المقابر خرسانةٌ بيضاء على شكل حرف X عاكسةً ضوءَ الشمسِ في فترة الظهيرة الساطعة. أسماء نُحتت فوق ثلثي الصلبان، أما الثلث الآخر فقد بقي فارغًا. كان تحديد الهوية صعبًا، لكن المنافسة بين علماء الآثار الشباب جعلت التقدم مستمرًا. وعلى الرّغم من عدم اكتمال السجلات المدرسية وعشوائيتها، فقد ذكرت هويّة ويلي[2] 1954. اكتمل احتساب بقايا الرفات المحترقة لأولئك الذين لقوا حتفهم في حريق المسكن عام 1921. تطابق الحمض النووي مع أفراد الأسر الباقين على قيد الحياة، أولئك الذين تمكن طلاب الجامعة من الوصول إليهم، وأعادوا ربط الموتى بعالم الأحياء الذي استمر من دونهم. ومن بين الجثث الثلاثَ والأربعين، بقيت سبع جثث دون اسم.

كدّس الطلاب الصلبان الخرسانية البيضاء على تل بجوار موقع الحفر. لكن عندما عادوا إلى العمل ذات صباح، وجدوا أن أحدًا قد

حطّمها تمامًا وصارت رمادًا.

تعرفوا على صِبية مقبرة بووت هيل واحدًا تلو الآخر. كانت جودي متحمسة عندما غسلت بعض القطع الأثرية من أحد الخنادق ثم عُثر مصادفة على قطع الرّفات الأولى. أخبرتها البروفيسورة كارمن أنّ الفلوت العظميّ الصغير الذي في يدها يعود على الأرجح إلى حيوان الرّاكون أو حيوان صغير آخر، ساعدتها المقبرة السّرية في عملها، حيث وجدت جودي تلك العظمة أثناء تجوّلها في الأرض بحثًا عن إشارة لموبايلها. دعمت أستاذتها حدسها، بسبب عدم اتساق أرض بووت هيل. كل تلك الجماجم المشقوقة والمحطمة، والأقفاص الصدرية المثقوبة بطلقات ناريّة. إذا كانت الرفات بالمقبرة الرسمية مشوّهة هكذا، فماذا عمّن هم في المقبرة المجهولة؟ بعد يومين من اكتشاف الجثث، أكّدت الكلاب وصُور الرادار كلّ الشكوك. لا صلبان بيضاء ولا أسماء، مجرّد عظام تنتظر من يجدها.

قالت البروفيسورة كارمن: "لقد اسموا هذا مدرسة". يمكنك إخفاء ما شئت في قطعة أرض كهذه داخل التّراب.

أبلغ أحد الصّبية أو أحد أقاربهم وسائل الإعلام. كان الطّلاب على علاقة ببعض الصّبية في تلك المرحلة، بعد كثير من المقابلات. ذكّرهم الصّبية بأعمامهم غريبي الأطوار والشخصيات القاسية من أحيائهم القديمة. الرجال الذين قد تلين قلوبهم بمجرّد التعرف عليهم لكنّهم لا يفقدون تلك القسوة أبدًا. أخبر طلاب علم الآثار الصبية عن موقع المقبرة السرية التي اكتشفوها، وأخبروا أُسر الصبية الأموات أنّهم حفروا، ثم أرسلت محطّة تالاهاسي المحليّة مراسلًا. تحدّث الكثير من الصّبية عن المقبرة السّرية من قبل، لكن كما حدث مع نيكل؛ لم يصدّقهم أحد حتى

تحدّث شخص آخر غيرهم.

التقطت الصحافة الوطنيّة القصّة وألقى النّاس أوّل نظرة حقيقيّة على مدرسة الإصلاح. أُغلقت نيكل لمدّة ثلاث سنوات، الأمر الذي فسّر الفوضى التي حدثت في الأرض ومقياس التخريب. حتى أكثر الأماكن براءة مثل قاعة الطعام أو ملعب كرة القدم، انتهى بهما الحال كأماكن مشؤومة، ولا داعي لخُدع التصوير الفوتوغرافي. كانت اللقطات كئيبة ومقلقة، حيث تسلّلت الظلال وارتجفت في الزّوايا وبدت كل بقعة أو علامة مثل الدم الجاف. كما لو أنّ كلّ صورة التُقطت كشفت عن الطّبيعة المظلمة للمكان. نيكل التي تراها تختفي، بينما تنكشف نيكل التي لا يمكنك رؤيتها..

إن كان هذا ما حدث للأماكن المسالمة، فكيف بدَت الأماكن المؤذية في رأيك؟

كان صِبية نيكل أرخص من رقصة العشرة سنتات[3] حيث تحصل على المزيد لقاء نقودك، أو هكذا اعتادوا القول. في السنوات الأخيرة، نظّم بعض الطلاب السابقين مجموعات دعم، واجتمعوا عبر الإنترنت وعلى طاولات العشاء وفي ماكدونالدز. حول طاولة مطبخ لشخص ما بعد ساعة من قيادة السيارة، خلقوا معًا علم آثار بديل[4] خاص بهم، حيث حفروا عبر عقود من الزمن، وأعادوا لعيون البشر شظايا وآثار تلك الأيام. كل رجل يملك أجزاءه الخاصة. لطالما قال: سأزورك لاحقًا. السلالم المهتزة إلى قبو المدرسة، الدم الجاف بين أصابع قدمي في حذاء التنس الخاصّ بي. تنظيم مجموعات الدعم جعلهم يجمعون تلك الأجزاء لتأكيد الظلام المشترك بينهم؛ إذا كان هذا حقيقيا بالنسبة لك، فهو حقيقي بالنسبة لشخص

آخر، ولم تعد وحدك.

بيغ جون هاردي - بائع سجّاد متقاعد من أوماها – أمدَّ موقعًا إلكترونيًا خاصًا بصبية نيكل عن آخر الأخبار، حيث أبقى الآخرين على علم بطلب فتح باب تحقيق آخر وكيف جاء بيان الاعتذار من الولاية. كما تتبّعت أيقونة رقمية وامضة عملية جمع الأموال للنّصب التذكاريّ المقترح. أرسل بريد إلكتروني إلى بيغ جون عن أيامك في نيكل وسيقوم بنشرها مع صورتك. ومشاركة الرابط مع عائلتك؛ كانت طريقة لقول إن هذا هو المكان الذي نشأت بداخله؛ كشرح ثم اعتذار.

الاجتماع السنوي الآن في عامه الخامس، كان غريبًا وضروريًا. الصّبية أصبحوا الآن رجالاً مسنّين، تصحبهم زوجات ونساء كنّ فيما سبق زوجاتهم، وأطفال تحدثوا معهم أو لم يتحدثوا، مع أحفاد حذرين تم إحضارهم أحيانًا أو مُنعوا من رؤيتهم. الذين تمكنوا من استعادة الحياة بعد مغادرة نيكل، أو لم يتلاءموا على الإطلاق مع الأشخاص العاديين. آخر مدخني ماركات السجائر - التي لن تراها أبدًا - متأخر عن أنظمة المساعدة الذاتية، دائمًا يميل إلى التواري. وقد يكون ميتًا في السجن، أو متحللاً في غرفة استأجرها بالأسبوع، متجمدًا حتى الموت في الغابة بعد شرب زيت التربنتين[5]. اجتمع الرجال في غرفة اجتماعات فندق إلينور جاردن للحاق بالركب قبل التوجه إلى نيكل للقيام بجولة رسمية. في بعض السنوات قد تشعر بالقوة الكافية للعودة إلى ذلك الممر الخراساني، مع العلم أنه يؤدي إلى أحد أماكنك السيئة، وفي بعض السنوات لا تستطيع تخيل ذلك. تتجنب مبنى أو تحدق به، اعتمادًا على ما تحمله داخلك في ذلك الصباح. نشر بيغ جون تقريرًا بعد كل اجتماع لمن لم يتمكن من الحضور.

في مدينة نيويورك، عاش هناك صبيّ من صِبية نيكل اسمه إلوود كورتيس. كان يبحث على الإنترنت عن المدرسة الإصلاحية القديمة بين الحين والآخر، ليرى ما إذا كانت هناك أي تطورات، لكنّه ظلّ بعيدًا عن الاجتماعات ولم يضف اسمه إلى القوائم لأسباب عديدة. ما هو الغرض من هذا الاجتماع؟ رجال بالغون. ماذا، أن تأخذ دورًا ليناول بعضكم البعض الكلينكس! نشر أحدهم قصّة عن الليلة التي توقف فيها أمام منزل سبنسر، وهو يراقب النوافذ لساعات، وظلال الشخصيات في الداخل، حتى أقنع نفسه بعدم الانتقام، لقد صنع حزامه الجلدي الخاص ليستخدمه مع المشرف. لم يفهم إلوود ذلك، مشى الرجل كل هذا الطريق، وربما تتبّعه أحد ما من خلاله.

لكن عندما عثروا على المقبرة السرية، علم إلوود أنه مضطر للعودة. وريقة أَرْزٍ ساكنة على كتف المراسل التلفزيوني حملتِ الدفء إلى جلده، كذلك فعلَ أزيزٌ حشري. لم يكن أمرًا بعيدًا على الإطلاق، لن يكون أبدًا.

الجزء الأول

الفصل الأول

تلقى إلوود أفضل هدية في حياته في كريسماس 1962، رغم أن الأفكار التي طرحها في رأسه كانت إلغاء كل ما هو قديم. الهدية هي أسطوانة خطاب "مارتن لوثر كينغ في كنيسة تسيون هيل"، وهي الأسطوانة الوحيدة التي امتلكها ولم تفارق جهاز الأسطوانات أبدًا. كان لدى جدّته هارييت عدد قليل من تسجيلات الإنجيل، ولم تدِرها إلا بعدما اكتشف العالم طريقة جديدة لإقناعها بها، لكن لم تسمح لإلوود إطلاقا بالاستماع إلى أغاني موتاون[6] أو الأغاني الشعبية من هذا القبيل بسبب كلماتها الخليعة. كانت بقية الهدايا في ذلك العام عبارة عن ملابس؛ سترة حمراء جديدة وجوارب، وقد ارتداها بالتأكيد، لكن لا شيء يتحمل الاستخدام المستمر مثل الأسطوانة. كل الخدوش والخشخشة التي تكونت فوق سطحها على مدار أشهر، كانت علامة على تنويره، وتتبع لكل مرة فهم فيها شيء جديد من كلمات كينغ. انفجار الحقيقة.

لم يكن لديهم تلفاز لكن خطابات الدكتور كينغ كانت بمثابة تاريخ حيّ - تحتوي على كلّ ما جرى للسّود وكل ما سيكونون عليه - لدرجة أنّ الأسطوانة كانت بجودة التلفاز تقريبًا. بل ربما أفضل، وأعظم، مثل الشاشة العملاقة في سينما السيارات والتي ذهب إليها مرّتين. رأى بها إلوود كلّ شيء: الأفارقة المضطهدين بسبب خطيئة عبودية البيض، والسود المهانين

والخاضعين للتمييز العنصري، وتلك الصورة المضيئة القادمة، حين تُفتح كل تلك الأماكن المغلقة أمام عرقه.

تم تسجيل الخطب في جميع أنحاء ديترويت وشارلوت ومونتغمري، وربطتْ إلوود بالنضال الحقوقي في جميع أنحاء البلاد، حتى أن إحدى الخطب جعلته يشعر بأنه فرد من عائلة كينغ. في ذلك الوقت، سمع كل الأطفال عن فن تاون[7]، كما سمعوا عمّن استطاع دخولها وشعروا تجاههم بالحسد. في المقطع الثالث على جانب "أ" من الأسطوانة، تحدث دكتور كينغ عن رغبة ابنته في زيارة فن تاون التي تقع بشارع ستيوارت أفينيو في أتلانتا. توسلت يولاندا لوالديها كلما لمحت اليافطة الكبيرة على الطريق السريع أو ظهر إعلانها في التلفاز. وكان عليه أن يخبرها بصوت منخفض حزين عن نظام الفصل العنصري الذي أبقى الصبية والبنات السود على الجانب الآخر من السياج. شرح التفكير السيئ لبعض البيض، ليس كل البيض، بل العدد الكافي منهم الذي أعطى لذلك التفكير القوة والمعنى. نصح ابنته بمقاومة إغراء الكراهية والمرارة وأكد لها أنه: "على الرغم من أنكِ لا يمكنك الذهاب إلى فن تاون، لكن أريدك أن تعرفي أنكِ طفلة جيّدة مثل أي شخص يستطيع الدخول إلى فن تاون".

وهكذا كان إلوود، طفل جيّد مثل أي شخص آخر يعيش في مساحة مئتين وثلاثين ميلا جنوب أتلانتا، في تالاهاسي. في بعض الأحيان كان يرى إعلانًا لفنّ تاون أثناء زيارته لأبناء عمومته في جورجيا، إعلانًا عن ركوب الأرجوَحة والموسيقى المبهجة، أطفالاً ببشرة بيضاء صاخبين مصطفّين من أجل لعبة في وايلد ماوس[8]، ولعبة ديكز ميني جولف. يربطون أحزمة لعبةِ الصاروخ الذّري من أجل رحلة إلى القمر. ذكرت الإعلانات بأن تقريرًا

جيدًا في نشاطك المدرسي يضمن الدخول المجاني إذا ختمه معلّمك ختمًا أحمر. حصل إلوود على أعلى درجات في كل المواد الدراسية واحتفظ بشهاداته لليوم الذي سيفتحون فيه فن تاون لجميع أبناء الرَّب، كما وعد دكتور كينغ. قال لجدته وهو مستلقٍ على بساط الغرفة الأمامية متتبعًا رقعة رثّة بإبهامه: "سأذهب مجانًا بسهولة كل يوم لمدة شهر".

كان البساط ملقى في زقاق خلف فندق ريتشموند بعد التجديد الأخير وأنقذته الجدة هارييت وأحضرته للمنزل. كما أن المكتب في غرفتها، والطاولة الصغيرة بجوار سرير إلوود، وثلاثة مصابيح، جميعهم أيضًا بقايا ريتشموند. عملت هارييت في الفندق منذ أن كانت في الرابعة عشرة من عمرها، عندما انضمت إلى والدتها ضمن طاقم التنظيف. وبمجرد دخول إلوود المدرسة الثانوية، أوضح مدير الفندق السيد باركر أنّه سيوظّفه في مهنة (حمّال) متى أراد، سيودّ أن يعمل معه طفل ذكي مثله، لكن أصيب الرجل الأبيض بخيبة أمل عندما بدأ الصبي العمل في متجر ماركوني للتبغ والسجائر. كان السيد باركر دائمًا لطيفًا مع العائلة، حتى بعد أن اضطرّ إلى طرد والدة إلوود بسبب السرقة.

أحب إلوود ريتشموند وكان يحب السيد باركر، لكن إضافة جيل رابع من الأسرة إلى مهن الفندق، أمر جعله منزعجًا ولم يستطع وصف ذلك الشعور. حتى قبل ظهور الموسوعات، لمّا كان أصغر سناً، حيث كان يجلس على قفص في مطبخ الفندق بعد المدرسة. يقرأ المجلات المصوّرة وهاردي بويز[9]، بينما كانت جدته تنظف وتنظم الطابق العلوي. مع رحيل والديه، فضلت أن يكون حفيدها البالغ من العمر تسع سنوات في مكان قريب بدلًا من أن يكون بمفرده في المنزل. إنّ رؤية إلوود مع رجال المطبخ جعلتها تعتقد

أنّ فترات ما بعد الظهيرة كانت كالمدرسة، وأنّه من الجيّد أن يكون موجودًا حول الرجال. ومن ناحيتهم، أخذ الطهاة والنُدل الصَبيَّ كتميمة حظ، يلعبون معه الغميضة ويتبادلون الحكمة الهشّة حول مواضيع مختلفة، مثل: حِيلُ الرجل الأبيض، وكيف نتعامل مع فتاة ليل، واستراتيجيات إخفاء الأموال في جميع أنحاء المنزل. لم يفهم إلوود ما تحدّث عنه الرجال الأكبر سنًا معظم الوقت، لكنّه أومأ برأسه في شجاعة قبل العودة إلى قصص مغامراته.

في الهدوء التالي لصخبهم، كان إلوود أحيانًا يتحدّى غاسلي الأطباق في مسابقات تجفيف الأطباق. وقد أظهروا خيبة أمل طبيعية بسبب مهاراته الفائقة. لقد أحبوا رؤية ابتسامته وسعادته الغريبة بعد كل فوز. ثم تغيّر العاملون بالفندق، حيث أغرت الفنادق الجديدة بوسط المدينة الموظفين وجذبوهم، وعمل طهاة جدد في المطبخ وذهبوا، ولم يعد بعض النُدل للعمل مجددًا بعد إعادة فتح المطبخ الذي أُغلق لتجديده بسبب أضرار الفيضانات. مع ذاك التغيير الشامل في العاملين، تغيّرت سباقات إلوود من الالتزام المحبب إلى صخب حماسي. لقد نبّهوا غاسلي الأطباق المستجدين بشأن حفيد إحدى عاملات التنظيف، سيقوم بعملك في حال أخبرته أنها مسابقة، واصلوا المراقبة لتتأكدوا. تُرى من هو ذلك الصبي الخطير الذي يعبث معهم بينما البقية يرهقون أنفسهم للحصول على عمل، بل ويحصل أيضًا على ربتات صغيرة فوق رأسه من السيد باركر كما لو أنّه جرو لعين، ويقرأ في مجلة مصوّرة كأنه غير مكترث؟ كان لدى الرجال المستجدّين في المطبخ أنواع مَختلفة من الدروس لنقلها إلى عقله اليافع. أشياء تعلّموها عن العالم، بينما ظلّ إلوود غير مدرك أنّ فرضيّة المنافسة قد تغيّرت. وعندما بدأ التحدي، حاول الجميع في المطبخ ألا يبتسموا.

كان إلوود في الثانية عشرة من عمره عندما ظهرت الموسوعات. سحب أحد العاملين كومة من الصناديق إلى المطبخ ونادى إلى عقد اجتماع. اندس إلوود بينهم، كانت مجموعة من الموسوعات قد تركها بائع متجول في إحدى غرف الطابق العلوي. كانت هناك أساطير حول الأشياء الثمينة التي يتركها الأثرياء البيض في غرفهم، لكن كان من النادر أن يصل هذا النوع من الغنائم إليهم بالمطبخ. فتح بارني الطاهي العلبة العلوية ورفع الكتاب المجلد لموسوعة فيشر العالمية، لحرفي أ - ب. سلمها إلى إلوود، الذي فوجئ بمدى ثقلها، قرميدة داخلها صفحات مخططة باللون الأحمر. تصفحها الصبي، وهو يحدق في الكلمات الصغيرة، بحر إيجه، أرخميدس، أرغونوت، وتخيل نفسه على الأريكة في الغرفة الأمامية ينسخ الكلمات التي أحبها. الكلمات التي بدا شكلها مثيرًا للاهتمام على الصفحة أو التي بدا نطقها مثيرًا للاهتمام في خياله.

عرض كوري العامل غنيمته، لم يكن يعرف كيف يقرأ وليس لديه خطط فورية للتعلم، فقدم إلوود عرضه. بالنظر إلى العاملين بالمطبخ، كان من الصعب التفكير في أي شخص آخر غيره قد يريد الموسوعات. ثم قال بيت، أحد غاسلي الأطباق الجديد، أنه سوف يسابق إلوود للحصول عليها.

كان بيت ساذجًا من تكساس بدأ العمل قبل شهرين. تم تعيينه للعمل لينظف طاولات الزبائن بالمطعم، لكن بعد عدة مشاكل نقلوه إلى المطبخ. كان يتلصص النظر من فوق كتفه أثناء عمله، كأنه قلق بشأن مراقبته، ولم يكن يتحدث كثيرًا، على الرغم من أن ضحكه الأجش جعل الرجال الآخرين في المطبخ يوجهون نكاتهم نحوه بمرور الوقت. مسح بيت يديه بسرواله وقال: "لدينا وقت قبل تقديم العشاء، إذا كنت ترغب في ذلك".

أعدّ الرجال في المطبخ مباراة مناسبة للموقف، كانت الأكبر حتّى الآن. ضبطوا ساعة توقيت وسلّموها إلى لين؛ النادل ذي الشعر الرمادي الذي عمل في الفندق لأكثر من عشرين عامًا. كان دقيقًا بشأن زيٍّ عمله الأسود، وحريصًا على أن يظهر دائمًا الرجل الأكثر أناقة في غرفة الطعام، واضعًا المدراء من البشرة البيضاء في موقف محرج. فمن خلال اهتمامه بالتفاصيل، سيكون حكمه صارمًا. رُتِّبَت مجموعتان من خمسين طبقًا، بعد نقعها نقعًا مناسبًا تحت إشراف إلوود وبيت. أثناء ذلك، تسلّل اثنان من العاملين إلى المباراة، وهما على استعداد لاستبدال الخِرق بأخرى جافة عند الطلب. ووقف أحدهم مراقبًا عند باب المطبخ تحسّبًا لمرور المدير.

رغم نفوره من التباهي، فإنّ إلوود لم يخسر مسابقة غسيل وتجفيف صحون مطلقًا منذ أربع سنوات، وارتسمت الثقة على وجهه، بينما بدا بيت متعجرفًا ظنًا منه أنه الأفضل. لم يرَ إلوود في التكساسي تهديدًا له، خصوصًا أنه تغلّب عليه في مباريات سابقة. كان بيت، بشكل عام، خاسرًا جيدًا.

عدّ لين العدّ التنازلي من عشرة، ثمّ بدءا. تمسّك إلوود بالطريقة التي أتقنها على مرّ السنين، وهي عمليّة ولطيفة. لم يترك طبقًا مبللًا ينزلق أو يتكسّر أثناء وضعه على الطاولة بسرعة كبيرة. وبينما كان رجال المطبخ يهلّلون لهما، زاد قلق إلوود لتصاعد صفّ أطباق بيت المجففة. يكاد التكساسي أن يتفوق عليه، حيث أظهر حركات جديدة، جعلت المتفرجين يطلقون أصواتًا متعجّبة. سارع إلوود، وخياله يطارد الموسوعات في غرفة منزلهَ الأمامية.

قال لين: "توقفا!".

فاز إلوود بفارق طبق واحد. صرخ الرجال وضحكوا وتبادلوا النظرات

التي فسّر إلوود معناها لاحقًا.

وصفع هارولد، أحد العاملين، إلوود على مؤخرته. "لقد خُلقت لتغسل الأطباق، أيها الماكر". قهقه الرجال في المطبخ.

أعاد إلوود مجلد أ – ب إلى صندوقه، كانت مكافأة خياليّة.

قال بيت: "تستحقّها، أتمنى أن تستفيد منها كثيرًا".

طلب إلوود من مديرهم أن يخبر جدّته أنه عائد إلى المنزل. لم يسعه الانتظار لرؤية النظرة على وجهها عندما ترى الموسوعات على رفوف مكتبتهم أنيقة ومميزة. حنى ظهره، وسحب الصناديق إلى محطة الحافلات في تينيسي. أن تراه من الجانب الآخر من الشارع – ذلك الشاب الحازم الذي يرفع حمولة من عالم المعرفة - كأنك ترى مشهدًا ربما كان رسمه نورمان روكويل[10]، لو كان إلوود ذو بشرة بيضاء.

في المنزل، أزال إلوود كتب هاردي بويز وتوم سويفت[11] من خزانة الكتب الخضراء في الغرفة الأمامية، ثم أفرغ الصناديق. وضع أصبعه على حرف ج، في فضول ليرى كيف تعامل الرجال الأذكياء في شركة فيشر مع كلمة جلاكسي. فتح الصفحات، كانت فارغة كلها. كل مجلد في الصندوق الأول كان فارغًا، باستثناء ذلك الذي رآه في المطبخ. فتح الصندوقين الآخرين، ووجهه يكاد يغلي، كانت جميع الكتب فارغة.

عندما عادت جدّته إلى المنزل، هزّت رأسها وأخبرته أنها ربما كانت كتبًا تالفة، أو نسخًا وهميّة يظهرها البائع للعملاء كنماذج، حتى يتمكنوا من رؤية كيف ستبدو المجموعة الكاملة في منازلهم. في تلك الليلة على السرير، كانت أفكاره تتقافز وتضطرب مثل آلة غريبة. وخطر له أن النادل، وكل العاملين في المطبخ يعرفون أنها كتبًا فارغة، وأنهم قدّموا

عرضًا زائفًا أمامه.

احتفظ بالموسوعات في خزانة الكتب على أيّ حال. لقد بدت رائعة، حتى عندما قشّرت الرطوبة أغلفتها الجلدية، بانت أنّها مزيّفة أيضًا.

بعد ظهيرة اليوم التالي والأخيرة له في المطبخ. ركّز الجميع جيّدا على ملامحه. حتى أنّ كوري اختبره قائلاً: "كيف وجدت تلك الكتب؟" وانتظر ردّة فعله. ابتسم بيت ابتسامة عريضة بالقرب من الحوض، بدت كأنّها شُقت في وجهه بسكين. جميعهم يعرفون إذن. اقتنعت جدّته على أنه كان كبيرًا بما يكفي للبقاء في المنزل بمفرده. خلال المدرسة الثانوية، فكّر كثيرًا بشأن مسألة ما إذا كان غاسلو الأطباق قد تركوه يفوز طوال الوقت. لقد كان فخورًا جدًا بقدراته، وكان غبيًا وبسيطًا كذلك. لم يستقر أبدًا على نتيجة واحدة حتى وصل إلى نيكل، ممّا جعل حقيقة هذه المباريات أمرًا لا مفرّ منه.

الفصل الثاني

أن يقول وداعًا للمطبخ، يعني أنه يودِّع لعبته الفرديّة، تلك التي حافظ على سرِّيتها: كلما تأرجح باب غرفة الطعام، تمنّى أن يرى هناك مديرًا أسود. وفقًا لقضية براون ضد مجلس التعليم[12]، كان على المدارس إنهاء الفصل العنصري، لقد كانت مسألة وقت فحسب قبل أن تسقط جميع الجدران غير المرئية. في الليلة التي أعلن فيها الراديو حكم المحكمة العليا، صرخت جدته كما لو أن أحدًا قد ألقى حساءً ساخنًا في حجرها. أمسكت بنفسها وفردت فستانها. قالت: "جيم كرو[13] لن ينهزم هكذا ببساطة، روحه ملعونة!".

في اليوم التالي لصدور القرار، أشرقت الشمس وبدا كلّ شيء على حاله. سأل إلوود جدّته عن الموعد الذي سيبدأ فيه السود الإقامة في ريتشموند، فقالت إنّ إخبار شخص بالصّواب ليفعله هو أمر؛ والقيام به أمر آخر. ذكّرته ببعض سلوكياته كدليل وأومأ إلوود برأسه موافقا ثم قال: "ربّما. عاجلاً أو آجلاً، على الرغم من ذلك، سينفتح الباب على مصراعيه ليكشف عن وجه أسود، رجل أعمال أنيق في تالاهاسي جاء للعمل أو سيّدة جميلة بفستان فاخر في المدينة جاءت لمشاهدة المعالم السياحيّة، مستمتعة برائحة الطعام الرائعة القادمة من ناحية الطهاة بالمطبخ". إنّه متأكد من ذلك. بدأت اللّعبة عندما كان في التاسعة من عمره، وخلال ثلاث سنوات،

لم يرَ سوى أشخاص سود يعملون في غرفة الطعام، يحملون أطباقًا أو مشروبات أو ممسحة. لم يتوقف أبدًا عن اللّعب، حتى توقّف عن قضاء فترات الظهيرة في الفندق. لم يكن واضحًا تمامًا ما إذا كان خصمه في هذه اللّعبة هو حماقته؛ أم الثبات العنيد للعالم.

لم يكن السيد باركر هو الوحيد الذي رأى موظفًا جديرًا في إلوود. كان الرجال البيض دائمًا يقدمون عروض العمل إليه، مدركين طبيعته المجتهدة وشخصيَّته الثابتة، أو على الأقل يدركون أنّه جاد بشكل مختلف عن غيره من الصبية السود الذين في مثل سنّه لذلك يمكنهم الاعتماد عليه في أعمالهم. كان السيد ماركوني، صاحب متجر التبغ في شارع ماكومب، يعرف إلوود منذ أن كان طفلاً رضيعًا، شاهده وهو يصرخ في عربة صاخبة نصفها صدئ. كانت والدته امرأة نحيفة ذات عيون داكنة ومتعبة ولم تتحرك أبدًا لتهدئة طفلها. كانت تتوقف لتشتري مجموعة من مجلات الأفلام ثم تختفي في الشارع، بينما إلوود يطلق صرخاته الحادّة طوال الطريق.

نادرًا ما يترك السيد ماركوني مكانه بجوار سجلّ قيد المشتريات. كان يقرفص ويتعرَّق، مع تسريحة بومبادور[14] منخفضة وشارب أسود رفيع، ما لبث أن تحوَّل لشعر منكوش بحلول المساء. كما أنَّ الهواء في مدخل متجره مشبَّع برائحة مثبِّت شعره، تاركًا أثرًا عطريًا في فترات الظهيرة الحارَّة. لاحظ السيد ماركوني من كرسيه؛ أنَّ إلوود يكبر وأنَّ لشخصيّته طابع خاصٌّ به، ينمو بعيدًا عن أولاد الحي، المستمرِّين في المشاحنات بخشونة في الممرّات، والَذين دسُّوا قطع المقانق داخل سراويلهم الجينزيِّة حين ظنّوا أنَّ السيد ماركوني لا يراهم، لقد رأى كلَّ شيء ولكنَّه لم يتكلم.

ينتمي إلوود إلى الجيل الثاني من عملائه في مدينة فرينشتاون.

وقد بدأ السيد ماركوني تجارته بتعليق لافتة المتجر بعد أشهر قليلة من افتتاح قاعدة الجيش عام 42. حينها كان يقوم الجنود السود باستقلال الحافلة من معسكر جوردون جونستون[15] أو من مطار ديل مابري الجوي للجيش[16]، ويثيرون الشغب في فرينشتاون طوال عطلة نهاية الأسبوع، ثم يتراجعون سريعًا مرَّة أخرى من أجل التدريبات العسكريَّة. كان لديه أقارب افتتحوا أعمالًا في وسط المدينة وازدهروا، لكنَّ الرجل الأبيض البارع في اقتصاديات الفصل العنصري يمكن أن يُدرَّ ربحًا حقيقيًا. كان متجر ماركوني على بُعد بضعة أبواب من فندق بلوبيل، وكان بار تيب توب وقاعة ماريبيل للبلياردو بالقرب منه. لقد تاجر بذكاء في مختلف أنواع التبغ وعلب روميو للواقي الذكري بسبب موقع متجره الفريد.

لكن بمجرَّد انتهاء الحرب، نقل السيجار إلى الجزء الخلفي من المتجر، وأعاد طلاء الجدران باللون الأبيض، وأضاف أرففًا للمجلات وللحلوى الصغيرة وثلّاجة الصودا، مما أدّى إلى تحسين سمعة المكان كثيرًا. ثم بدأ يشعر أنَّه في حاجة إلى المساعدة. لم يكن بحاجة إلى موظف، لكن زوجته أحبَّت إخبار الناس أنَّ لديه موظفًا، ولم يعترض معتقدًا أن هذا قد يجذب شريحة أكثر أناقة من سود فرينشتاون إلى متجره.

كان إلوود في الثالثة عشرة من عمره عندما التحق فينسنت بالجيش، الصبي العامل في بمتجر التبغ منذ فترة طويلة. لم يكن فينسنت العامل الأكثر يقظة، لكنه كان سريعًا وحسن التنظيم، وهما صفتان يقدِّرهما السيد ماركوني في الآخرين إن لم يكن في نفسه. في آخر يوم لفينسنت، تباطأ إلوود أمام رفّ المجلات المصوّرة، كما فعل في معظم فترات بعد الظهيرة. كانت لديه عادة غريبة؛ كان يقرأ كل قصص المجلات المصوّرة من الأمام إلى

الخلف قبل أن يشتريها، ويشتري كلّ واحدة يلمسها. سأله السيد ماركوني عن سبب قيامه بكل ذلك إذا كان سيشتريها سواء كانت جيّدة أم لا ، فقال إلوود: "فقط لأتأكّد". فكان السؤال التالي عما إذا كان بحاجة إلى وظيفة، أغلق إلوود مجلّة "رحلة إلى الغموض[17]" وقال إنه سيسأل جدّته.

كان لدى هارييت قائمة طويلة من القواعد لما هو مقبول وما هو غير مقبول، وفي بعض الأحيان كان السبيل الوحيد أمام إلوود لمعرفة كيفيّة عمل كل هذه الأشياء هو أن يرتكب خطأ. انتظرَ حتى بعد العشاء، بمجرد أن انتهيا من سمك القرموط المقلي والخضراوات الحامضة ونهضت جدّته لتنظيف الطاولة. في حالتها هذه، لم يكن لديها أي تحفّظات خفيّة، على الرغم من حقيقة أن عمها آبي كان يدخّن السيجار وانظر إلى ما حدث له، على الرغم من تاريخ شارع ماكومب كمختبر للرذيلة، وعلى الرغم من حقيقة أنّها حولت سوء معاملة شخص إيطالي لها منذ عقود - كان يعمل موظف مبيعات - إلى ضغينة عزيزة. قالت وهي تمسح يديها: "ربّما لا يكونا أقاربنا - أو إن كانا - فإنّهما أبناء عمومة من بعيد".

سمحت لإلوود بالعمل في المتجر بعد المدرسة وفي عطلات نهاية الأسبوع، وأخذ نصف أجره في نهاية الأسبوع للأسرة والنصف الآخر للكلّية. لقد جاء على ذكر الالتحاق بالكلية في الصيف السابق بشكل عرضي، دون أدنى معرفة عن أهمية كلماته. كانت قضيّة براون ضدّ مجلس التعليم منعطفًا بعيد الاحتمال، إلا أنّ طموح إحدى أفراد عائلة هارييت إلى التعَليم العالي بدت كأنّها معجزة فعليّة؛ وأيّ مخاوف بشأن متجر التبغ انهارت قبل أن تبدأ.

رتّب إلوود الصحف والمجلات المصوّرة على الأرفف، وأزال الغبار عن

الحلويات التي لا يُقبل عليها الأطفال كثيرًا، وتأكّد من أنَّ علب السيجار مرتَّبة وفقًا لنظريات ماركوني عن التغليف وكيف أنَّها تثير "الجزء السعيد من الدماغ البشري". كان لا يزال متعلقًا بالمجلات المصوّرة، يقرأها بحذر شديد كما لو أنه يتعامل مع ديناميت، لكن المجلات الإخبارية جذبته بقوّة. وقع تحت تأثير مجلة "لايف" الفاخرة. فكلّ خميس تأتي شاحنة بيضاء كبيرة؛ تنزّل أعدادًا وفيرة من المجلة، أصبح إلوود يعرف صوت مكابحها. وبمجرد فرز أعداد المجلة يبدأ بتصفّح الجديد منها، يقرفص على درجات السلم ثم يتتبع أحدث رحلات المجلة للأماكن غير المكتشفة بعد في أمريكا.

كان يعرف الجزء الخاص بصراع السود في فرينشتاون، حيث ينتهي الحيّ ويتولّى القانون الأبيض الدفّة. نقلته صور مقالات لايف إلى الخطوط الأماميّة، إلى مقاطعة الحافلات في باتون روج، لمقاومة الاعتصامات في غرينسبورو، حيث يتولّى الحركة شباب لا يكبرونَه في العمر كثيرًا. تعرضوا للضرب بعصوات معدنية، وللصّد بخراطيم المطافئ، وربات البيوت البيضاوات بصقوا عليهم بوجوه غاضبة. جمّدت الكاميرا تلك اللحظات في لوحة مقاومة نبيلة. كانت التفاصيل الصغيرة عجيبة: كيف ظلت ربطات عنق الشبان كسهامٍ سوداء مستقيمة في دوامة العنف، وكيف كانت تموجّات تسريحات الشعر المثاليّة للشابّات تحلّق فوق لافتات الاحتجاج. وجوههم برّاقة بطريقة ما، حتى عندما تدفّق الدم على وجوههم. لقد كان الفرسان الصغار يُصعِّدون القتال. كان إلوود هزيلًا، نحيفًا مثل حمامة، قلقًا بشأن سلامة نظاراته، التي كانت باهظة الثمن وفي أحلامه تحطّمت إلى نصفين بسبب هراوات الشرطة، أو إطارات معدنيّة، أو مضارب البيسبول،

لكنّه أراد التطوّع، لم يكن لديه خيار.

إنّ تقليب الصفحات أثناء فترات الهدوء، أمدّت ورديات إلوود في متجر ماركوني بنموذج الرجل الذي كان يرغب في أن يكونه، وفصله عن حياة صبية فرينشتاون الذي لم يكن مثلهم. كانت جدّته قد منعته منذ فترة طويلة من التسكع مع الأطفال حولهم، الذين اعتبرتهم كسولين، ويسعون إلى الشغب. كان متجر التبغ، مثل مطبخ الفندق، مكانًا آمنًا. كانت تربية هارييت تربية صارمة كما يعلم الجميع، وساعد هذا الآباء الآخرين على امتداد شارع بريفارد في إبقاء إلوود بعيدًا عن طريق جَعْلِه مثالاً جيدًا. سيطر الاستياء على متعة اللعب حين كان الصّبية - من اعتاد منهم لعب دور رعاة البقر والهنود الحمر- يطاردونه في الشارع من حين لآخر أو يلقون بالحجارة عليه.

فجيرانه في بنايته يتوقّفون في متجر ماركوني طوال الوقت، ويتجوّلون في عوالمه المتشابكة. بعد ظهر أحد الأيام، رنّ الجرس فوق الباب ودخلت السيدة توماس.

قال إلوود: "مرحبًا سيّدة توماس.. هناك عصير برتقال بارد في الثلاجة".

قالت: "شكرًا يا إل، سأتفقّده". كخبيرة في أحدث صيحات الموضة، لبست السيدة توماس فستانًا أصفر منقوشًا بعد ظهر هذا اليوم، كان مصنوعًا يدويًا، صممّته من مجلة بها أزياء أودري هيبورن. كانت تدرك تمامًا أن قلّة من النساء في الحي يمكن لهن ارتداءه بمثل هذه الثقة، وعندما تقف ثابتة؛ كان من الصعب الشك في أنّها تتّخذ وضعًا معينًا في انتظار ومضة فلاش الكاميرات الفوتوغرافية.

كانت السيدة توماس أفضل أصدقاء إيفلين كورتس في طفولتها. ومن ضمن ذكريات إلوود المبكّرة هي جلوسه في حجر والدته في يوم حار بينما كنّ يلعبن بأوراق الكوتشينة. استدار لرؤية أورق والدته وطلبت منه أن يصمت، فقد كان الجو حارًا جدًا. وعندما نهضت لتتفقّد الباب الخارجي، أعطته السيدة توماس رشفات من صودا البرتقال، كشفهما لسانه البرتقالي، فوبختهما إيفلين بلطفٍ بينما كانوا يضحكون، تشبّث إلوود بذكرى ذلك اليوم.

فتحت السيدة توماس محفظتها لدفع ثمن الصودا ومجلة "جت[18]" عدد هذا الأسبوع، وقالت: "هل تقوم بواجبك المدرسي؟"

"نعم، سيدتي".

قال السيد ماركوني: "أنا لا أترك الصبي يعمل عملًا شاقًا".

قالت السيدة توماس: "مممم"، بنبرة شكّ. تتذكر سيّدات فرينشتاون متجر التبغ فمنذ أيامه وسمعته سيّئة، واعتبرن الإيطالي شريكًا في مآسي الحي. "استمر في فعل ما يفترض أن تفعله يا إل". أخذت باقي نقودها وشاهدها إلوود وهي تغادر. قد تكون والدته قد أرسلت بطاقات بريدية لصديقتها من هذا المكان أو ذاك بعد أن رحلت عنهما، حتى لو كانت قد نسيت الكتابة له، ربما تمدّه السيدة توماس ببعض الأخبار يومًا ما.

يبيع السيد ماركوني مجلة "جت" وبالطبع مجلة " إبوني[19]". جعله إلوود يبيع أيضا مجلة "ذا كرايسز[20]" ومجلة "ذا شيكاغو ديفندر[21]"، وصحف أخرى تهتم بشأن السود. حيث اشتركت فيها جدّته وصديقاتها، واعتقد إلوود أنّه من الغريب أنّ المتجر لا يبيعها.

قال السيد ماركوني: "أنت على حق"، عضّ شفته. "أعتقد أننا اعتدنا

على بيعها، لا أعلم ماذا حدث!"، قال إلوود: "عظيم".

بعد فترة طويلة من توقف السيد ماركوني عن الاهتمام بعاداته الشرائيّة المعتادة، تذكّر إلوود الأثر الذي تركه كل شخص على المتجر. كان البائع السابق في المتجر - فينسنت - ينعش المكان أحيانًا بنكتة قذرة، لكن لا يمكن القول أنّه كان نبيهًا، تلك النباهة التي تُميّز إلوود، مُذكّرًا السيد ماركوني ببائع التبغ الذي غشّهم في آخر عملية توصيل، وأيّ حلوى يجب التوقّف عن إعادة تخزينها. كافح السيد ماركوني ليصل إلى السيدات السوداوات في فرينشتاون كل واحدة على حدة - كلهنّ كنّ يتجهمنّ عندما يرينه - لكن إلوود كان سفيرًا كفؤًا، لذلك كان يهتم بالصبي عندما يتوه وسط المجلات ويحاول معرفة ما الذي قد يجذب انتباهه. كانت جدّته حازمة بوضوح، وكان الصبيّ ذكيًا ومجتهدًا وفخرًا لعرقه، لكنّه كان متبلّد الذهن عندما يتعلّق الأمر بأبسط الأشياء. لم يكن يعرف متى يتراجع ويترك الأمور، أو ماذا يفعل بعينيه المتورّمتين.

سرق أطفال كثيرون الحلوى، بغضّ النظر عن لون بشرتهم. السيد ماركوني نفسه، في شبابه، قد ابتكر كل أنواع الحماقات. خسرَ أرباحًا هنا وهناك، بسبب أطفال يسرقون الحلوى اليوم، لكنّهم وأصدقاءهم يصرفون أموالهم في المتجر منذ سنوات، وكذلك آباءهم. سيطاردهم في الشارع من أجل شيء صغير، فينتشر الأمر، خاصة في حيٍّ مثل هذا حيث يعرف الجميع شؤون الجميع، ثم يتوقّف الآباء عن القدوم لأنّهم محرجَون. فكان السماح للأطفال بالسرقة تقريبًا استثمارًا، بالطريقة التي يُنظر بها للأمر.

ذهب إلوود إلى منظور مختلف خلال فترة وجوده في المتجر. قبل أن

يعمل في متجر ماركوني، كان أصدقاؤه يشعرون بالرضا لسرقة الحلوى، وهم يثرثرون وينفخون فقاعات وردية بشكل وقح ببازوكا[22] مجرّد أن يكونوا على مسافة جيّدة من المتجر. لم ينضم إلوود إليهم لكنّه لم يكن لديه شعور تجاه ذلك. عندما وظّفه السيد ماركوني، أوضح موقفه من سرقة الحلوى، بجانب الإشارة إلى المكان الذي يحتفظون فيه بالممسحة والأيام التي يتوقّعون فيها عمليات تسليم البضائع كثيرة. على مدار الأشهر، رأى إلوود الحلويات تختفي في جيوب الصّبية، صِبية يعرفهم. ربّما مع غمزة لإلوود إذا لفتوا انتباهه. لمدّة عام، لم يقل إلوود شيئًا. لكن في اليوم الذي أمسك فيه لاري وويلي حلوى الليمون عندما انحنى السيد ماركوني خلف الكاونتر، لم يستطع كبح جماح نفسه.

"أعيدا الحلوى مكانها".

تسمّر الصبيّان. كان لاري وويلي يعرفان إلوود طوال حياتهما. لعبوا البلي عندما كانوا صغارًا، على الرغم من أنّ ذلك انتهى لمّا أشعل لاري حريقًا في قطعة أرض شاغرة في شارع داد، وهرب ويلي مرّتين. أزالتهما هارييت من قائمة الصحبة المسموح بها، رغم أنّ عائلاتهم الثلاث عاشوا في فرينشتاون لأجيال. كانت جّدة لاري تذهب إلى الكنسية مع هارييت، وكان والد ويلي صديقًا في طفولته لوالد إلوود، بيرسي. ذهبا إلى الجيش معًا. وأمضى والد ويلي أيامه في شرفة منزله على كرسيّه المتحرّك، مدخنًا غليونًا، وملوِّحًا كلما مرّ إلوود.

قال إلوود: "أعيدا الحلوى".

أمال السيد ماركوني رأسه قائلًا: "هذا يكفي". أعادا الحلوى وغادرا المتجر في غيظ.

كانا يعرفان طريق إلوود، سخرا منه أحيانًا لكونه يُحسن التصرف عندما يمرّ بجوار نافذة لاري بدرّاجته في طريقه إلى المنزل. في تلك الليلة هاجماه. كان الظلام قد بدأ واختلطت رائحة زهور الماغنوليا بالرائحة القويّة للّحم المقلي، ضرباه بعنف وأوقعاه مع درّاجته على الأسفلت الجديد الذي فرشَتْه حكومة المقاطعة في ذلك الشتاء. مزّق الصبيّان سترته، وألقيا بنظّاراته في الشارع. ولمّا ضرباه، سأله لاري ما إذا كان لديه أيّ إحساس؛ وأخبره ويلي أنّه بحاجة إلى أن يتعلّم درسًا، وشرع بتلقينه ذلك. حصل إلوود على بعض اللكمات هنا وهناك، ليس بالكثير ليتحدث عنه، لم يبكِ قط. حين صادف طفلين صغيرين يقتَتلان في بنايته، كان من النوع الذي يتدخّل ويهدّئ الأمور. الآن عليه أن يهدّئ قتاله الخاص، خلّصه رجل عجوز من الجانب الآخر من الشارع وسأله عمّا إذا كان يريد تنظيف نفسه أو تناول كوب من الماء، فرفض.

وقعت سلسلة دراجته عن مكانها، فسار بالدراجة إلى المنزل، هاربيت لم تضغط عليه عندما سألت عن عينه، هزّ رأسه. بحلول الصباح كان النتوء تحتها محتقنًا بفقاعة من الدم.

كان لدى لاري وجهة نظر، كان على إلوود أن يعترف بذلك: من وقت لآخر بدا وكأنه عديم الإحساس. لم يستطع شرح ذلك حتى لنفسه، إلى أن أعطته تسيون هيل الكلمات؛ يجب أن نؤمن بأرواحنا بأنّنا بشر، وأنّنا مهّمون، وأنّنا مستحقّون، ويجب أن نسير في شوارع الحياة كل يوم بهذا الإحساس بالكرامة وهذا الإحساس بإنسانيتنا. كانت الأسطوانة تدور وتدور، مثل حجّة تعود دائمًا إلى فرضيتها التي لا يمكن دحضها، وملأت كلمات الدكتور كينغ الغرفة الأمامية للمنزل الصغير. التزم إلوود بالميثاق،

حيث أعطى الدكتور كينغ شكلًا للميثاق هذا، لغة للتعبير بها، ومعنى. هناك قوى كبيرة تريد إبقاء السود خاضعين، مثل جيم كرو، وهناك قوى صغيرة تريد إبقائك محبطًا، مثل الآخرين، وفي مواجهة كل هذه الأشياء، الكبيرة منها والصغيرة، يجب أن تقف بشكل مستقيم وتحافظ على إحساسك بنفسك. الموسوعات فارغة؛ هناك أشخاص يخدعونك ويقدمون لك الفراغ بابتسامة، بينما يسلبك الآخرون احترامك لذاتك؛ عليك أن تتذكّر من أنت.

هذا الشعور بالكرامة. الطريقة التي قالها الرجل، كفرقعة وما شابه: قوّة مُطلقة. حتى عندما تكمن العواقب في انتظارك في زوايا الشوارع المظلمة في طريق عودتك إلى المنزل. ضرباه ومزقا ملابسه ولم يفهما سبب رغبته في حماية رجل أبيض. كيف نقول لهما أن تجاوزاتهما ضدّ السيد ماركوني كانت إهانات لإلوود نفسه، سواء كان ذلك بشأن حلوى أو مجلة مصوّرة؟ ليس لأن أي اعتداء على أخيه كان هجومًا عليه هو نفسه، كما قالوا في الكنيسة، لكن لأنّ وقوفه دون القيام بأي شيء هو تقويض لكرامته. بغضّ النظر عن أن السيد ماركوني قد أخبره بأن لا يهتم، بغض النظر عن أنّ إلوود لم يفه قط بكلمة واحدة لأصدقائه عندما سرقوا في حضوره، لم يكن له أي معنى حتى أصبح هو المعنى الوحيد.

ذاك هو إلوود، كان جيّدًا مثل أي شخص آخر. ويوم اعتقاله، قبل ظهور النائب مباشرة، جاء إعلان عن فن تاون على الراديو. همهم طويلًا. لقد تذكّر أنّ يولاندا كينغ كانت تبلغ من العمر ستّ سنوات عندما أخبرها والدها الحقيقة بشأن هذه الملاهي، والنظام الأبيض الذي جعلها تقف خارج السياج لتنظر داخله، تتطلع دومًا نحو الجهة

الأخرى من العالم. كان إلوود في السادسة من عمره أيضًا عندما غادر والديه، وفكّر أنّ هذا شيء آخر يربطه بها، لأنّ هذا هو العمر الذي استيقظ فيه ورأى العالم.

الفصل الثالث

في اليوم الأول من العام الدراسي، تلقّى طلاب مدرسة لينكولن الثانوية كتبهم المدرسية الجديدة المستعملة من المدرسة الثانوية المخصصة للبيض في الاتجاه المقابل من الطريق. كان معروفًا إلى أين تذهب تلك الكتب المدرسيّة المستعملة، لذلك ترك الطلاب البيض فيها عبارات لحامليها الجدد: اختق السود! رائحتك كريهة، كُل قذارتك. كان شهر سبتمبر مبرمجًا لتعليم أحدث صفات الشباب البيض في تالاهاسي، والتي تختلف من سنة إلى أخرى، مثل أطوال ملابس وفساتين الفتيات وقصّات الشعر. كان فتح كتاب في علم الأحياء إذلال، فتحه على صفحة الجهاز الهضمي، والتعامل مع العبارات التي تهينهم، لكن مع مرور العام الدراسي، توقف طلاب مدرسة لينكولن الثانوية عن ملاحظة الشتائم والاقتراحات غير المهذّبة. كيف تمرّ اليوم إذا انقلبت كل إهانة إلى حفرة؟ على المرء أن يركّز انتباهه.

بدأ السيد هيل العمل في المدرسة الثانوية عندما دخل إلوود سنته الإعدادية. حيّا إلوود وبقية فصل التاريخ وكتب اسمه على السبورة. ثمّ وزّع السيد هيل أقلامًا سوداء وأخبر طلّابه أن أولّ مهمة في تعليمهم هي شطب كلّ الكلمات السيئة في الكتب المدرسيّة. قال: "لقد كان هذا يزعجني دائمًا، رؤية تلك العبارات. أنتم جميعًا هنا لتتعلّموا، فلا داعي

للوقوع في فخّ ما يقوله أولئك الحمقى". مثلُ بقيّة الفصل، تباطأ إلوود في البداية. نظروا إلى الكتب المدرسيّة ثمّ إلى المعلّم. ثم شخبطوا بأقلامهم. أصبح إلوود دائخًا. تسارع قلبه: إنّها مغامرة، لماذا لم يطلب منهم أحد فعل هذا من قبل؟

قال السيد هيل: "تأكّد من أنّك لا تفوّت أي شيء. تعرفون أنّ أولئك الأطفال البيض ماكرون". بينما كان الطلاب يطردون الشتائم واللعنات، أخبرهم عن نفسه. كان جديدًا في تالاهاسي، بعد أن أنهى للتو دراسته في كلية التدريس في مونتغمري. زار فلوريدا لأول مرّة في الصيف الماضي، عندما نزل من الحافلة القادمة من واشنطن العاصمة في تالاهاسي، باعتباره راكبًا من ركاب الحرية[23]. شارك في المسيرة. ودخل إلى أماكن تناول الغداء المحظورة على السود في أحد المطاعم وانتظر أن يقوموا بخدمته. قال: "لقد أنجزت الكثير من العمل بالطبع، بجلوسي هناك في انتظار فنجان قهوتي". ألقته الشرطة في الحبس بتهمة الإخلال بالأمن. كان يشعر بالسأم وهو يحكي هذه القصص، كما لو أنّ ما فعله هو الشيء الأكثر طبيعية في العالم. تساءل إلوود عمّا إذا كان قد رآه في صفحات مجلة "لايف" أو "ذا ديفندر"، جنبًا إلى جنب مع قادة الحركة العظماء، أو في الخلفيّة مع المجهولين، حيث يقف شامخًا وفخورًا.

احتفظ السيد هيل بمجموعة كبيرة من البابيونات، منها المنقّطة، والتي بلون أحمر زاهي، وأخرى بلون مَوْزِي. كان وجهه العريض الطيِّب أكثَر لطفًا بطريقة ما بسبب ندبة هِلاليَّة على عينه اليمنى، حيث ضربه رجل أبيض بعصا معدنيّة. قال عندما سأله أحدهم بعد ظهر أحد الأيام "ناشفيل"، ثم قضم كمثرته. ركّز الفصل على تاريخ الولايات المتحدة منذ

الحرب الأهليّة، لكن في كلّ فرصة كان السيد هيل يحكي لهم عن الحاضر، وربط ما حدث قبل مئة عام بحياتهم الحالية. انطلقوا في طريق واحدة في بداية الفصل الدراسي وكان دائمًا يقودهم إلى عتبة دارهم.

أدرك السيد هيل أنّ إلوود كان مفتونًا بالنضال من أجل الحقوق، وأعطى الصبي ابتسامة ساخرة عندما قاطع حديثه. بقيّة المدرسين كانوا معجبين به، وممتنّين للطافته. أولئك الذين علّموا والديه منذ سنوات، واجهوا صعوبة في تحديد شخصيّته، ربّما يحمل اسم والده لكن لا شيء ساحر في الصبي ورثه من والده بيرسي، أو من كآبة إيفلين المزعجة. امتنّ المعلّم الذي أنقذته مداخلاتُ إلوود لحظة شعر الفصل بالنعاس بسبب حرارة الظهيرة، حيث تحدث عن عن أرخميدس وأمستردام في وقت مناسب. كان لدى الصبيّ مجلد واحد صالح للاستخدام من موسوعة فيشر العالمية، لذا فقد استخدمه، فما الذي يمكنه فعله أيضًا؟ هذا أفضل من لا شيء. يقلّب صفحاته، يبحث، يعيد النظر في أجزائه المفضّلة كما لو كانت إحدى حكايات مغامراته. كقصة، كانت الموسوعة مفكّكة وغير مكتملة، لكنّها لا تزال مثيرة بحدّ ذاتها. ملأ إلوود دفتر ملاحظاته بالأجزاء الجيّدة والتعاريف وأصل الكلمات، ولاحقًا وجد هذه القصاصات مثيرة للشفقة.

كان من الطبيعي اختياره في نهاية سنته الأولى عندما احتاجوا إلى ممثل رئيسي جديد في مسرحيّة يوم التحرير[24] السنوية. لعب دور شخصيّة توماس جاكسون، الرجل الذي أخبر العبيد في تالاهاسي بأنّهم أحرار، كان يتدرب على نفسه كنموذج عاش في الشارع. تناول إلوود الشخصية بنفس الجدّية التي حملها على عاتقه في جميع مسؤولياته. في المسرحية، كان توماس جاكسون عاملًا في مزرعة قصب السكر، هرب للانضمام

إلى جيش الاتحاد في بداية الحرب، ثم عاد إلى الوطن كرجل دولة. في كل عام، كان يبتكر ملامحَ وإيماءات جديدة حتى فقدت الخطب هيبتها، كلما سرّبَ قناعاته في الشخصية. "إنّه لمن دواعي سروري أن أبلّغكم أيّها السادة والسيدات المحترمون؛ بأنه قد حان الوقت للتخلص من نير العبودية والاستيلاء على أماكننا كأمريكيين حقيقيين، بعد انتظار طويل!"، التي كتبت المسرحية هي معلمة مادة الأحياء، التي حاولت استرجاع سحر رحلتها الوحيدة إلى برودواي قبل سنوات.

في السنوات الثلاث التي لعب فيها إلوود الدور، كان الشيء الوحيد والثابت هو توتّره في ذروة العرض، عندما اضطر جاكسون لتقبيل أفضل فتياته على خدّها. كان من المقرّر أن يتزوجا ويعيشا حياة سعيدة وخصبة في تالاهاسي الجديدة. وسواء لعبت آن دور شخصيّة ماري جين، بنمشها ووجهها الدائري الجميل، أو بياتريس ذات الفك العلوي البارز، أو في العرض الأخير التي أدته جلوريا تايلور، التي كانت أطول قدمًا منه وجعلته دائمًا متوترًا، فقد أصابه القلق المشتعل في صدره بالدوار. كلّ الساعات التي قضاها في مكتبة ماركوني يتدرّب بها على إلقاء خطب ثقيلة، تركته غير مهيّأ للاستعراض بجانب جميلات مدرسة لينكولن، على المسرح وخارجه.

حركة الاحتجاجات التي قرأ عنها وأصبح مهووسًا بها كانت بعيدة، إلا أنها بدأت تتسلّل مقتربة. ثم شهدت فرينشتاون إحداها، لكن إلوود كان أصغر من أن ينضم إليها. كان يبلغ من العمر عشر سنوات عندما اقترحت فتاتَان من جامعة فلوريدا الزراعية والميكانيكية مقاطعة الحافلات. لم تفهم جدّته في البداية سبب رغبتهما لجلب كل هذه الفوضى إلى مدينتهم، لكن بعد بضعة أيام، استخدمت خدمة مشاركة السيارات الملاكي مثل

الآخرين إلى عملها بالفندق لمقاطعة الحافلات مثل أي شخص آخر. قالت: "لقد أصيب الجميع في مقاطعة ليون بالجنون، بما فيهم أنا!". في ذلك الشتاء، وحّدت المدينة أخيرًا الحافلات لكل السكان، وركبت الجدة ورأت سائقًا أسود خلف عجلة القيادة، وجلست حيث تريد.

بعد أربع سنوات، عندما فكّر التلاميذ بالجلوس على كاونتر الغداء في وولورثس، تذكّر إلوود جدّته وهي تقرقع برضا. حتى أنّها تبرعت بخمسين سنتًا لدعم دفاعهم القانوني بعد أن سجنتهم الشرطة. وعندما تراجعت الاحتجاجات، واصلت هي مقاطعة متاجر في وسط المدينة، على الرغم من أنّه لم يكن واضحًا مدى تضامنها أو مدى فاعلية احتجاجها على ارتفاع الأسعار. في ربيع عام 63، انتشرت الأخبار عن أن طلاب الكلية كانوا يعتزمون الاعتصام في مسرح فلوريدا لفتح مقاعده أمام السود. كان لدى إلوود سبب وجيه للاعتقاد بأنّ هارييت ستكون فخورة به لمشاركته.

ذاك لم يكن صحيحًا. هارييت جونسون هي طائر طنان رقيق لامرأة تتصرف في كل شيء بطريقة جادّة. إذا كان هناك شيء لا بد من القيام به مثل العمل، أو الأكل، أو التحدث إلى شخص آخر، فإنه لا بد أن تقوم به بعزيمة جادّة أو تكفّ عنه البتّة. احتفظت بسكين قطع قصب السكر تحت وسادتها من أجل المتطفلين، وكان من الصعب على إلوود أن يعتقد بأن جدته العجوز كانت تخشى أيّ شيء، لكنّ الخوف كان وقودها.

نعم، لقد انضمت هارييت إلى مقاطعة الحافلات. لقد اضطرت لذلك، لم تستطع أن تكون المرأة الوحيدة في فرينشتاون التي تستقلّ وسائل النقل العام. لكنها كانت ترتجف في كلّ مرة انطلق فيها سليم هاريسون بسيارته (كاديلاك 57)، وعُصرت على الكنبة الخلفية وسط السيدات

الأخريات المتجهات إلى وسط المدينة. عندما بدأت الاعتصامات، كانت ممتنة لأنّ لا أحد يتوقع من جانبها لفتة عامة. كانت الاعتصامات لعبة الشباب ولم يكن لديها قلب. تصرّف وكأنّك في موقف أعلى، وسوف تدفع الثمن. سواء غَضِبَ الرب منها لأنّها أخذت أكثر من نصيبها، أو لأنّ الرجل الأبيض علّمها ألا تطلب فُتاتًا أكثر مما يُعطيها، فإن هارييت ستدفع. دفع والدها ثمن عدم الابتعاد عن طريق سيدة بيضاء في شارع تينيسي. دفع زوجها مونتي عندما تقدّم للأمام. حصل بيرسي، والد إلوود، على الكثير من الأفكار عندما انضمّ إلى الجيش، لذلك عندما عاد لم يكن هناك مكان في تالاهاسي لكلّ الأفكار في رأسه. والآن، هناك إلوود. لقد اشترت أسطوانة مارتن لوثر كينغ هذه من بائع خارج ريتشموند مقابل عشرة سنتات، وكانت أتعس عشرة سنتات دفعتها على الإطلاق. لم تكن هذه الأسطوانة سوى مجموعة أفكار.

كان العمل الجاد فضيلة أساسيّة، فالعمل الجاد لا يسمح بالمسيرات أو الاعتصامات. وقالت إنّ إلوود لن يثير من نفسه فوضى من خلال العبث بهذا الهراء السينمائي - المسرحي. "لقد أبرمتُ اتفاقًا مع السيد ماركوني للعمل في متجره بعد المدرسة. إذا كان رئيسك لا يستطيع الاعتماد عليك، فلن تكون قادرًا على الاحتفاظ بالوظيفة". قد يحميه الواجب؛ لأنّه كان يحميها.

أطلق صرصار الليل أصواته أسفل منزلهم، لا بد أنه كان يدفع الإيجَار بانتظام، فلقد لازمهم لفترة طويلة. رفع إلوود بصره عن كتابه العلمي وقال: "حسنًا". بعد ظهر اليوم التالي، طلب من السيد ماركوني يوم عطلة. أخذ إلوود يومين إجازة بسبب وعكة صحيّة، لكن بصرف النظر

عن ذلك وبعض الأيام للزيارات العائليّة، لم يفوّت العمل في تلك السنوات الثلاث في المتجر.

قال السيد ماركوني بالتأكيد، لم يرفع رأسه حتى عن استمارة السباق.

ارتدى إلوود سرواله الغامق من مسرحية العام الفائت الخاصة بيوم التحرير. طالت ساقيه بضع بوصات، لذا سمح بجزء من ساقيه أن يتدلى عاريًا خارج السروال، كما ظهر جزء صغير من جوربه الأبيض. شبك مشبكًا جديدًا زمرديًّا على ربطة عنقه السوداء وعقد العقدة بعد ست محاولات، وكان حذائه ملمّع بالورنيش. بدا متألقًا ومرتّبًا جدًا لليوم، حتى لو كان لا يزال قلقًا على نظاراته في حال استخدمت الشرطة الهراوات. أو إذا حمل الرجال البِيضُ العصيان الحديدية ومضارب البيسبول. اقتطع الصور من الصحف والمجلات وطواهم داخل جيب قميصه.

سمع إلوود الهتافات عندما وصل إلى محطة إسو في مونرو. "ماذا نريد؟ الحرية! متى نريدها؟ حالًا!" سار طلاب جامعة فلوريدا في حلقات متعرّجة أمام مبنى الجامعة، ورفعوا لافتات وداروا بالشعارات تحت الخيمة الخارجية. كانت السينمات تعرض فيلم "الأمريكي البغيض[25]"، إذا كان لديك خمسة وسبعون سنتًا ولون البشرة الصحيح، يمكنك رؤية مارلون براندو. كان الشريف ونوّابه قد نصبوا أنفسهم على الرصيف بنظارات شمسيّة داكنة، وأذرعهم معقودة أمام صدورهم. أطلقت مجموعة من البيض سيلًا من التهكمات والاستهزاءات من وراء رجال الشرطة، وهرول مزيد من الرجال البيض إلى الشارع للانضمام إليهم. أبقى إلوود على عينيه منخفضتين بينما كان يتجول حول الحشود، وانحشر وسطهم خلف فتاة أكبر منه سنًا ترتدي سترة مخططة. ابتسمت له وأومأت برأسها كما لو كانت تنتظره.

هدأ بمجرَد انضمامه إلى السلسلة البشرية، وكرّر الهتافات مع الآخرين. **المعاملة المتساوية بموجب القانون.** أين لافتته؟ بسبب تركيزه على مظهره، نسي اللاّفتة. لا يمكن لها أن تضاهي اللاّفتات المطبوعة بالاستنسل المثالي الذي رسمه وفرغه الشباب الأكبر سنًا. كانوا محترفين. **اللاّعنف هو شعارنا؛ سننتصر بالحب.** ولوّح صبي قصير حليق الرأس بلافتة قائلًا: **"هل أنت الأمريكي البغيض"** في بحر من علامات الاستفهام الكرتونية. أمسك شخص ما بكتف إلوود. كان يعتقد أنّه سيرى مفتاح صمولة يسقط على رأسه، لكنّه كان السيد هيل. دعاه مدرّس التاريخ إلى مجموعة من الشباب الأكبر سنًا من لينكولن. صافحه بيل تودي وألفين تيت، وهما لاعبان من فريق كرة السلة. لم يعترفا به من قبل. لقد احتفظ بأحلام الحركة الاحتجاجية لنفسه لدرجة أنّه لم يخطر بباله أبدًا أنّ الآخرين في مدرسته يشاركونه حاجته على الاحتجاج.

في الشهر التالي، اعتقل الشريف أكثر من مئتي متظاهر واتّهمهم بالعصيان، أمسكوهم من ياقاتهم وسط ضباب الغاز المسيل للدموع، لكن هذه المسيرة الأولى انطلقت دون وقوع حوادث. بحلول ذلك الوقت، سينضم طلاب الكلية الزراعية والميكانيكية بفلوريدا إلى طلاب مدرسة ميلڤين غريجز التقنية. أطفال بيض من جامعة ولاية فلوريدا. أيْدِي ماهرة من كونجرس المساواة العرقية[26]. هذا اليوم، صرخ فيهم عجائز وشبان بيض، لكن لم يكن هناك صراخ لم يسمعه إلوود من السيارات أثناء سيره بدراَجته في الشارع. بدا أحد الصّبية ذوي الوجه الأحمر مثل كاميرون باركر، نجل مدير ريتشموند، وأكّدت الجولة التالية ذلك. لقد تبادلوا المجلاّت المصوّرة قبل بضع سنوات في الزقاق خلف الفندق. لم يتعرف

عليه كاميرون. انفجر فلاش كاميرا في وجهه وقفز إلوود، لكن المصور كان من مجلة "ريجستير"، التي رفضت جدته قراءتها لأن تغطيتهم العرقية كانت منحدرة للغاية. سلمته فتاة جامعية ترتدي سترة زرقاء ضيقة لافتة تقول أنا رجل وعندما انتقل الاحتجاج إلى صالة عرض الولاية، رفعها فوق رأسه وأعطى صوته للكورس الفخور. كانت سينمات الولاية تعرض فيلم "اليوم الذي غزا المريخ الأرض"[27] وفي تلك الليلة أعتقد أنه سافر مئة ألف ميل في يوم واحد.

بعد ثلاثة أيام واجهته هارييت، رأته إحدى صديقاتها وهذا هو الوقت الذي استغرقه وصول الأخبار إليها. لقد مرت سنوات منذ أن ضربته بحزام وأصبح الآن كبيرًا جدًا، لذلك لجأت إلى وصفة قديمة من عائلة جونسون للعلاج الصامت، وهي وصفة تعود إلى عصر إعادة الإعمار[28] وحققت معنى الإقصاء التام كهدف في حد ذاته. لقد فرضت حظرًا على جهاز الأسطوانات، وإدراكًا منها بمرونة هذا الجيل الأصغر من الشباب الأسود، نقلته إلى غرفة نومها وأثقلته بالطوب. كلاهما عانى في صمت.

بعد أسبوع، عادت الأشياء في المنزل إلى روتينها، لكن إلوود كان قد تغير، فصار أقرب. في المظاهرة، شعر أنه قريب من نفسه إلى حد ما. لوهلة، بالخارج هناك تحت الشمس حيث كان هذا كافيًا لتغذية أحلامه. بمجرد أن يلتحق بالجامعة ويخرج من منزلهم الصغير في بريفارد، سيبدأ حياته. سيصطحب الفتيات إلى السينما - لقد انتهى من إحباط نفسه في تلك الجبهة - واكتشف سبيلًا للدراسة. لقد عثر على مكانه في صفّ مزدحم بالشباب الحالمين الذين كرّسوا أنفسهم لرفع مستوى السود.

مرّ ذلك الصيف الماضي في تالاهاسي بسرعة. قدّم له السيد هيل

نسخة من كتاب مذكّرات صبي محلي لجيمس بالدوين[29] في آخر يوم من أيام المدرسة، واضطرب ذهنه. السود أميركيون ومصيرهم هو مصير البلاد. لم يكن قد شارك في مسيرة على مسرح فلوريدا دفاعًا عن حقوقه أو حقوق العرق الأسود الذي كان جزءًا منه؛ لقد سار من أجل حقوق الجميع، حتى أولئك الذين أجهضوا الحركة. كفاحي هو كفاحك، همّك هو همّي. لكن كيف تخبر الناس؟ ظلّ ساهرًا في كتابة الرسائل عن القضية العنصرية إلى تالاهاسي ريجيستر، ولم يقوموا بنشرها، وإلى شيكاغو ديفندر، التي نشرت واحدة منها. "نسأل الجيل الأكبر سنًا، هل ستواجه التحدي الذي نواجهه؟"، خجولاً لم يخبر أحدًا، وكتب رسائله تحت اسم مستعار (آرتشر مونتغمري). بدا الأمر لطيفًا وذكيًا، ولم يدرك أنّه استخدم اسم جدّه حتى رآه في ورق الصحف الأبيض والأسود.

في يونيو، أصبح السيد ماركوني جَدًّا، وكان ذلك وقتًا فارقًا كشف عن جوانب جديدة في الرجل الإيطالي. لقد حوّل المتجر إلى واجهة عرض لرابطة الدم الجديدة. تحطّم صمته الطويل ليعطي دروسًا عن معاناة هجرته ونصائح تجارية غريبة. اعتاد في ذلك الوقت إغلاق المتجر ساعة مبكرة عن ميعاده ليزور حفيدته، ودفع أجر ورديّة كاملة لإلوود. مما أعطاه فرصة للذهاب إلى ملاعب كرة السلة ليرى ما إذا كان أي شخص يلعب. كان فقط يشاهد المباراة، لكنّ شروده إلى الاحتجاجات جعلته أقل خجلاً وتمكن من تكوين صداقات قليلة على هامشها، أولاد من حارتين رآهم لسنَوات لكن لم يتحدث معهم قط. وفي أوقات أخرى، قد يذهب إلى وسط المدينة مع بيتر كومبس، وهو صبيّ من حيٍّ وافقت هارييت على صحبته بسبب عزفه على الكمان، ومشاركته حفيدها كل ما له علاقة بالكتب.

إذا لم يكن لدى بيتر تدريب، كانا يجوبان متاجر أسطوانات التسجيلات ويفحصا في الخفاء أغلفة أسطوانات فرق الستينيات التي مُنعا من شرائها.

سأل بيتر: "ما هو الديناساوند[30]؟"

أسلوب جديد للموسيقى؟ طريقة مختلفة للسمع؟ كانا محتارين.

كنَّ من حين لآخر في فترة الظهيرة، يتوقّفنَ فتيات من الكليّة الزراعيّة والميكانيكيّة في المتجر لتناول الصودا، هُنَّ من مظاهرة فلوريدا. سألهنّ إلوود عن أخبار الاحتجاجات، وكنّ يبتسمن عند الكلام معه ويتظاهرن بالتعرّف عليه. أكثر من واحدة أخبرته أنّها حسبته طالبًا في الكلية. أخذ ملاحظاتهنّ على أنّها مجاملات، وزخارفًا لأحلام اليقظة التي تنتابه بخصوص مغادرة المنزل. التفاؤل جعل إلوود طيّع مثل الحلوى الرخيصة الموجودة أسفل مجلة "ريجستير". كان مستعدًا عندما عاد السيد هيل إلى المتجر في شهر يوليو وقدم له اقتراحه.

لم يتعرّف عليه إلوود في البداية. لم يكن هناك ربطة عنق ملونة، بل قميص برتقالي منقوش، تركه مفتوحًا لإظهار قميصه الداخلي، ونظارات شمسيّة عصريّة، بدا السيد هيل كشخص لم يفكّر في العمل لأشهر، وليس لأسابيع. سلّم على تلميذه السابق ببلادة مثلما قضى الصيف كلّه في عطلة. إنه أوّل صيف لم يسافر به منذ فترة، هكذا أخبر إلوود. "هناك أمور كثيرة تبقيني هنا مشغولاً"، قالها، وهو يشير إلى الرصيف. كانت تنتظره امرأة شابة ترتدي قبّعة قشٍّ عريضة، ويدها الرفيعة ظلّلت عينيها من ضوء الشمس.

سأل إلوود السيد هيل عمّا إذا كان بحاجة إلى أي شيء. قال: "جئت إلى هنا لرؤيتك يا إلوود. أخبرني صديق عن فرصة وفكّرت فيك فورًا".

كان لدى السيد هيل رفيق من ركاب الحرّية، وهو أستاذ جامعي

حصل على وظيفة في مدرسة ميلڤين غريجز التقنية، الكلية الملونة جنوب تالاهاسي. درس هناك الأدب الإنجليزي والأمريكي، وقد أنهى لتوّه سنته الثالثة. كانت المدرسة تُدار بشكل سيئ لبعض الوقت، إلا أن رئيسها الجديد حاول تحسين الأمور. عُقدت دورات مفتوحة في مدرسة ميلڤين غريجز لطلاب المدارس الثانوية المتفوقين لفترة الزمن، ولم تكن أي من العائلات المحلية على علم بالأمر. لذا طلب الرئيس الجديد - صديق السيد هيل - المساعدة منه، وهو بدوره حاول البحث: "ربما كان هناك عدد قليل من الأطفال الاستثنائيين في لينكولن قد يكونون مهتمين؟"

شدّ إلوود يديه على ذراع المكنسة، "خبر رائع، لكني لا أعرف ما إذا كان لدينا المال لدروس من هذا القبيل". أومأ برأسه لاحقًا؛ ففصول الكلية هي ما كان يدّخر أمواله من أجلها، ما الذي يهم إذا أنفقها في فترة مكوثه في لينكولن؟

"هذا بيت القصيد يا إلوود، إنّها مجانية. على الأقل هذا الخريف حتى يتمكّنوا من نشر الخبر في المجتمع".

" إذن عليّ أن أسأل جدتي".

أجابه السيد هيل: "افعل ذلك يا إلوود، ويمكنني التحدّث معها أيضًا". وضع يده على كتف إلوود: "الأمر المهم هو أنه سيكون شيئا مثاليا لشاب مثلك، لقد ابتكروا هذا من أجل الأذكياء مثلك".

في وقت لاحق من ظهيرة ذلك اليوم بينما كان يطارد ذبابة سمينة وطنَّانة حول المتجر، فكّر إلوود لربما لم يكن هناك الكثير من الأطفال البيض في تالاهاسي من وصل للمستوى الجامعي.

من يتخلّف في السباق عليه أن يظل متأخرًا إلى الأبد أو يركض أسرع

من الرجل الذي أمامه[31].

لم تعرب هارييت عن شكوكها تجاه عرض السيد هيل، فكلمة مجّاني كانت أداة مسيطرة. بعد ذلك، تحرّك صيف إلوود ببطء مثل سلحفاة الطَّمْي. ولأنّ صديق السيد هيل كان يدّرس اللغة الإنجليزية، فقد اعتقد إلوود أنه من الأفضل له التسجيل في دورة الأدب، حتى عندما اكتشف أنّ بإمكانه دراسة أي شيء يريده، لكنّه تشبثَّ بهذا الاختيار. لم تكن الدورة المختصرة عن الكُتّاب البريطانيين عملية كما أشارت جدته، لكن كلّما فكر فيها أكثر، أدرك أنّ هذا هو سحرها. لقد كان عمليًا للغاية لفترة طويلة.

ربما تكون الكتب المدرسية في الكلية جديدة، غير تالفة، لا شيء فوقها لشطبه. كلُّ هذا ممكنًا.

في اليوم السابق لمحاضرة إلوود الأولى في الكلية، استدعاه السيد ماركوني إلى الكاشير. كان على إلوود أن يغيب عن ورديات يوم الخميس ليحضر دروسه؛ وافترض أن رئيسه يريد التأكد من أن الأمور ستكون على ما يرام أثناء غيابه. تنحنح الإيطالي ودفع بعلبة مخملية إليه، قائلًا: "من أجل تعليمك".

كانت علبة قلم حبر أزرق غامق بزخارف نحاسيّة. هديّة جميلة، حتى لو حصل السيد ماركوني على خصم لأن العاملين بالمكتبة كانوا عملاء ثابتون. ثمّ تصافحا مصافحة رجوليّة.

تمنّت له هارييت التوفيق، كانت تفحص ملابس مدرسته كلّ صباح للتّأكد من أناقته، لكن بصرف النظر عن نتف وبرية عرضية، لم تلق أي تعليقات. ولم يبدُ هذا اليوم مختلفًا لهما. قالت: "تبدو أنيقًا يا إل". قبّلته

على خدّه قبل أن تتوّجه إلى محطّة الحافلات، وهي تحني كتفيها بطريقة تفعلها كلما حاولت ألا تبكي أمامه.

كان لدى إلوود متسع من الوقت بعد المدرسة للوصول إلى الكلية، لكنّه كان حريصًا جدًا على رؤية ميلڤين غريجز لأول مرة لذلك انطلق مبكرًا. كُسِر مسماران سابقًا في جنزير درّاجته تلك الليلة التي أصيب فيها بالكدمات حول عينيه، ومنذ ذلك الحين وهي تميل للانعطاف كلما أخذها في جولات طويلة، لذلك كان عليه أن يشير للسيارات بيديه أو يمشي سبعة أميال. يخطو عبر البوابات ويستكشف الحرم الجامعي، يتوه بين كل تلك المباني، وربما يجلس فقط على مقعد في ساحة مربعة ليتنفس.

انتظر عند زاوية طريق أولد باينبريدج على أمل مرور أي سائق أسود متجهًا إلى طريق الولاية، لربما يصطحبه معه. مرّت به شاحنتين، ثم تباطأت سيارة بلايموث فيوري خضراء لامعة موديل 61، منخفضة ولها زعانف مثل سمكة السلور العملاقة. انحنى السائق وفتح باب الراكب المجاور. قال: "ذاهبٌ إلى الجنوب؟". سمع إلوود صوت صرير مقاعد السيارة الخضراء والبيضاء لمّا انزلق في الداخل.

قال الرجل: "رودني". كانت هيئة رودني غير مهندمة لكن بنيته صلبة، نسخة رجل أسود من إدوارد ج. روبنسون[32]. أكملت البذلة المقلمة باللونين الرمادي والأرجواني الزي. عندما صافح رودني يده، صدمت الخواتم أصابعه وجعلت إلوود يجفل.

"إلوود"، وضع حقيبته المدرسية بين ساقيه ونظر إلى تابلوه البلايموث، وجميع الأزرار الناتئة من ديكوره الفضي.

توجها جنوبًا نحو طريق كاونتي 636، وفي الطريق نقر رودني على

الراديو. "دومًا يسبب لي إزعاجًا، جرّبه أنت". ضغط إلوود الأزرار ووجد محطة آر أند بي. كاد يقلِب المحطّة، لكن هارييت لم تكن هنا لتعلّق على المعاني المزدوجة لكلمات الأغاني، تفسيراتها التي تركته دائمًا مرتبكًا ومترددًا. لذلك أبقى على المحطّة، لقد كانت فرقة دو واب[33]. كان رودني يضع نفس مثبِّت الشعر الذي يستخدمه السيد ماركوني، فهواء السيارة عبقًا وفواحًا برائحته. حتى في يوم إجازته، لم يستطع تفاديها.

كان رودني في طريق عودته من رؤية والدته التي تعيش في فالدوستا. قال إنّه لم يسمع عن ميلفين غريجز من قبل، مما قلل من ثقة إلوود في يومه الكبير. سأل بتعجب: "كلية!"، ثم أطلق صفيرًا من بين شفتيه. وأضاف: "لقد بدأتُ العمل في مصنع للكراسي عندما كان عمري أربعة عشر عامًا".

قال إلوود: "لديَّ وظيفة في متجر تبغ".

فأجابه رودني: "كنتُ متأكدًا من أنك تعمل".

قال المذيع معلومات عن سوق المبادلة يوم الأحد، ثم جاء إعلان لفن تاون ودندن إلوود معه.

"ما هذا؟" سأل رودني، ثم أطلق زفيرًا عاليًا مصحوبًا ببعض الشتائم، مرّر يده على رأسه.

دار الضوء الأحمر لسيارة الدورية في المرآة الخلفية.

كانا في الريف ولم تكن هناك سيارات أخرى، تمتم رودني وتوقف على جانب الطريق، وضع إلوود حقيبته في حجره وطلب منه رودني أن يحافظ على هدوئه.

توقف الضابط الأبيض خلفهما ببضع ياردات واضعًا يده اليسرى على

حافظة مسدسه وسار في اتجاههما. خلع نظاراته الشمسية ووضعها في جيب صدره. قال رودني: "أنت لا تعرفني، حسنًا؟" قال إلوود: "نعم" ... "سأخبره بذلك".

أخرج الضابط مسدّسه الآن. قال: "أول شيء فكرت فيه عندما طلبوا مني البحث عن سيارة بلايموث، إنه من يسرق شيئًا كهذا هو رجل أسود".

الجزء الثاني

الفصل الرابع

بعد أن حوله القاضي إلى نيكل، قضى إلوود ثلاث ليالٍ أخيرة في المنزل. وصلت سيارة الولاية في السابعة من صباح الثلاثاء. كان ضابط المحكمة رجل عجوزًا طيبًا وله لحية كثّة وخطوته متأرجحة، بالكاد تنغلق أزرار قميصه على جسده مما جعله يبدو كشيء محشو. لكنه كان رجلاً أبيض يحمل مسدسًا، وعلى الرغم من فوضاه هذه، إلا أنّ هالة كبيرة تحيط به وتغلفه. على طول الشارع كان الرجال يراقبون من الشرفات ويدّخنون ويمسكون بالدرابزين وكأنّهم في سفينة ويخشون السقوط في البحر. ألقى الجيران نظرة خاطفة من نوافذهم ليتابعوا، ربطوا المشهد بأحداث وقعت منذ سنين مضت، عندما اعتقلوا صبيًا أو رجلًا غريبًا وربما لم يكن شخصًا يقطنُ في الشارع لكنه قريب لأسرة ما، كأن يكون شقيق أحدهم أو نجله.

كان في فم الضابط خلة أسنان عندما بدأ في الحديث، وكان ذلك نادر الحدوث. تقيّد يدي إلوود إلى قضيب معدني مثبتًا إياه خلف المقعد الأمامي، ولم يتكلم طوال مئتين وخمسة وسبعين ميلاً.

توقفوا في مدينة تامبا وبعد خمس دقائق دخل الضابط في شجار مع أحد موظّفي السجن، بسبب خطأ: كان المفترض أن يتجه ثلاثة أولاد إلى مدرسة نيكل، وكان من المفترض أن يتم اصطحاب الصبي الأسود في النهاية وليس في البداية. إذ تالاهاسي تقع على بعد ساعة فقط من المدرسة.

بعد كل ذلك. سأله الموظف، ألم يفكّر أنه من الغريب القيادة بالصبي صعودًا وهبوطًا عبر الولاية هكذا مثل اليويو؟ في هذه المرحلة كان وجهه حانقًا.

قال الضابط: "لقد قرأت الورق للتّو".

أجابه الموظف: "كان عليك أن تبدأ به أوّلًا".

حكَّ إلوود أثر الأصفاد على معصميه وأوشك أن يقسم أن مقاعد غرفة الانتظار لها نفس شكل مقاعد الكنيسة.

بعد نصف ساعة عادا إلى الطريق ثانية. فرانكلين ت. وبيل ي.، كانا متباعدين أبجديًا وحتى مزاجيًا. افترض إلوود أن الصبيين الأبيضين اللذين جلسا إلى جانبه شخصيات عنيفة من التجهُّم البادي عليهما. كان هناك نمشٌ يفترش مساحة واسعة من وجه فرانكلين ت.، لم يسبق له أن رأى وجهًا كهذا، مع سمرة غامقة اكتسبها من الشمس وشعر أحمر مقصوص. نظرته حزينة، ورأسه منحن، يحدق في أصابع قدميه، لكن عندما رفع عينيه إلى الآخرين، كانتا ثابتتين تعُجّان بالغضب. أما عيني بيل فقد تعرضتا للكمات، فتلونتا باللون الأسود والأرجواني المتوهجان. كانت شفته منتفخة ومغطاة بالقشور. أما الوحمة البنية الكمثرية على خده الأيمن أضافت لطخةً أخرى إلى وجهه المُبقَّع. تذمّر عندما ألقى نظرة على إلوود، وكلّما تلامست أرجلهما، تراجع بيل كما لو كان يتكئ على مدخنة موقد ساخن.

مهما اختلفت قصص حياة الصبية، ومهما ارتكبوا من أفعال ليعاقبوا بذهابهم إلى نيكل، فإنه يتم تقييدهم بنفس الطريقة؛ ويتم ترحيلهم إلى ذات الوجهة. بعد فترة، تبادل فرانكلين وبيل الملاحظات، إنها زيارة فرانكلين

الثانية إلى نيكل. في المرة الأولى لكونه متمردًا؛ عاد مرة أخرى بسبب هروبه من المدرسة. والثانيةُ ضُرب عليها بسبب تحديقه في زوجة أحد المشرفين عليه. عدا عن ذلك، فالمكان مناسبٌ على ما يعتقد، على الأقل كان بعيدًا عن زوجِ والدته. أما بيل فقد ربّته أخته، ووقع وسط حفنة من الفاسدين كما أشار القاضي. لقد حطّموا النافذة الأمامية لصيدلية، وحاول بيل الهرب لكنه فشل. كان ذاهبًا إلى نيكل لأنه في الرابعة عشرة من عمره فقط، بينما الباقون كانوا متجهين إلى بيدمونت.

حدَّثَ الضابط الصبيّين الأبيضين بأن من يجلس معهما هو لص سيارات، ضحك بيل وقال: "أوه، اعتدت الذهاب في نزهة بسيارة مسروقة طوال الوقت، كان عليهم معاقبتي من أجل ذلك، لا من أجل نافذة غبية".

انجرفوا خارج مدينة غينزفيل عن الطريق السريع. توقف الضابط وسمح لهم بالتبوّل، ثم قدّم لهم شطائر الخردل. لم يقم بتقييدهم عندما عادوا إلى السيارة، فهو يعلم أنهم لن يهربوا، هكذا أخبرهم. ثم طاف بهم حول تالاهاسي، وسلك طريقًا خلفيًّا حولها كما لو أنّ المكان لم يعد موجودًا. ولمّا وصلوا إلى مقاطعة جاكسون، تمتم إلوود في نفسه وهو يشعر بإحباط "إنّني حتى لم أتعرّف على الأشجار".

ألقى إلوود نظرة على المدرسة واعتقد أن فرانكلين ربما كان على حق، لم تكن نيكل بهذا السوء. كان يتوقع جدرانًا حجريّة عالية وأسلاكًا شائكة، إلا أنّه لم تكن هناك جدران على الإطلاق. تم الحفاظ على الحرم المدرسي بشكل دقيق، وهو عبارة عن رقعة من الخضرة المورقة يتخللها مبان من طابقين وثلاثة طوابق من الطوب الأحمر. تمتدُّ ظلال أشجار الأرز وتتقاطع مع ظلال أشجار الزان الطويلة والعتيقة. لقد كانت أجمل المباني

التي رآها إلوود على الإطلاق، مدرسة حقيقية، مدرسة جيدة، لا تطابق أبدًا تلك الإصلاحية المحظورة التي استحضرها في الأسابيع القليلة الماضية في خياله. إنّما في دعابة حزينة، توافقت مع رؤياه لميلڤين غريجز التقنيّة، فيما عدا بعض المنحوتات والأعمدة.

انطلق الضابط بهم نحو طريق طويل يؤدي إلى مبنى الإدارة الرئيسي، شاهد إلوود ملعب كرة قدم حيث تشاجر بعض الصّبية وتصايحوا. كان يرى في مخيلته أولادًا مقيدين بالكرات والسلاسل، شخوصًا كأنها رسوم كارتونية، إلا أنّ هؤلاء الزملاء يقضون وقتًا ممتعًا هناك، يتزاحمون ويتشاكسون حول العشب.

قال بيل، مسرورًا: "حسنًا". لم يكن إلوود وحده المطمئن.

قال الضابط: "لا تتحاذق. إذا لم يطاردك المشرف عليك، ولم تتلطخ ببرك المستنقعات.......".

قال فرانكلين: "هل سيستدعون تلك الكلاب من سجن الولاية، أبالاتشي".

قال الضابط: "إنكم تستحقون ذلك".

داخل المبنى، لوح الضابط للسكرتير الذي أخذهم إلى غرفة صفراء جدرانها مبطنة بخزائن ملفات خشبية. ترتّبتِ الكراسي في صفوف داخل الفصل وكان الصّبية يختارون أماكن بعيدة عن بعضهم البعض. اتّخذ إلوود مكانًا في المقدمة حسب عادته، اصطفّوا جميعًا عندما فتح المشرف سبنسَر الباب.

كان ماينارد سبنسر رجلاً أبيضَ في أواخر الخمسينيات من عمره، تماهى شعره الأسود المقصوص بخصلات فضيّة. حقيقةً "متمهلاً"، كما

اعتادت هارييت أن تقول، حيث كل حركاته مدروسة، وكأنه يتدرب على كل شيء أمام المرآة. كان لديه وجه راكون رفيع، لفت أنفه الصغير انتباه إلوود كذلك الكلفُ الغامق تحت عينيه وحاجبيه الكثيفين. كان سبنسر يبدو صعب المراس بزيٍّ نيكل الأزرق الداكن، حيث بدت كل تجعيدة في ملابسه بارزة بما يكفي لتقطع شيء ما، كما لو أنها شفرة حادة.

أشار سبنسر برأسه إلى فرانكلين، الذي أمسك بزوايا مكتبه. كتم المشرف ابتسامته كما لو كان يعلم أن الصبي سيعود. استندَ على السبورة وعقد ذراعيه، وقال: "وصلتم إلى هنا في وقت متأخر من اليوم، لذا لن أخوض في النقاش طويلاً. الكُلُّ هنا لأنهم لم يتمكنوا من التأقلم مع أناس محترمين، طيب، هذه مدرسة ونحن معلمون. سنعلمكم كيف تتصرفون كباقي الناس. أعلم أنك سمعت كل هذا من قبل فرانكلين، لكن من الواضح أنك لم تأخذه على محمل الجد. ربما ستفعل هذه المرة. الآن، أنتم في هذه المرحلة **يرقات**. لدينا أربعة مستويات من التصنيف السلوكي هنا، تبدأ أولاً بمستوى **اليرقات**، ولاحقاً سترتقى بأعمالك إلى مستوى **المستكشفين**، ثم لك أن تكون **رائدًا** في مستوى **الروّاد**، وأخيرًا تصل إلى مستوى **الأروع**. ما عليك سوى كسب مزايا التصرف الصحيح، لتنتقل إلى أعلى السلم. اعملوا على تحقيق مستوى الرائعين لتتخرجوا وتعودوا إلى عائلاتكم"، سكت لبرهة ثم أكمل: "هذا إن استقبلوكم، لكنه أمر يعنيكم وحدكم". ثم قال نفذوا أوامر عريف الفصل ومشرفه، وقوموا بعملكم دون مواربة أو تملُّص، وطبقوا تعليماته في فترة مراقبته. لا يتصرف الشخص الرائع برعونة، لا يلعن ولا يشتم، ولا حتى يقوم بحماقة، بل يعمل على إصلاح نفسه من شروق الشمس وحتى غروبها. قال سبنسر: "يعود الأمر لكم في تقدير الوقت الذي

تمضونه معنا، فنحن لا نعبث مع الحمقى هنا. إذا أخطأتم، فلدينا مكان لكم ولن يعجبكم، وسأكون على هذا الأمر بنفسي".

كان وجه سبنسر صارمًا، لكن عندما لمس ميدالية المفاتيح الضخمة المعلقة فوق حزامه، ارتعشت زوايا فمه بسرور، كأنها إشارة إلى عاطفة قاتمة. التفت المشرف إلى فرانكلين، الصبي الذي عاد لتذوق طعم نيكل للمرة الثانية. "أخبرهم يا فرانكلين".

تشقق صوت فرانكلين واضطر إلى استجماع نفسه قبل أن ينطلق: "نعم سيدي، أنت لا تريد أن تتخطى القوانين هنا".

نظر المشرف إلى كل صبي بدوره، ودوّن ملاحظات في رأسه، ثم وقف. "سيقوم السيد لوميس بتجهيزكم"، قالها وخرج. كانت سلسلة المفاتيح متدلية من حزامه تُصلصِلُ كأنّها مهماز مأمور غربي.

ظهر شاب أبيض متجهم الوجه يدعى لوميس بعد دقائق وقادهم إلى غرفة الطابق السفلي، حيث يوجد الزيُّ الخاص بنيكل؛ سراويل جينز وقمصان رمادية وأحذية بنية بمقاسات مختلفة تملأ الرفوف على الجدران. طلب لوميس من الصبية إيجاد مقاساتهم، موجهًا إلوود إلى القسم الملوّن الذي يحتوي ملابسَ أكثر رثاثة، بينما الأخرون لبسوا ملابس جديدة. طوى إلوود قميصه الأزرق وسرواله، ووضعهما في كيس قماش أحضره من المنزل. كان يملك سترتين في الحقيبة، وبِذْلة من مسرحية يوم التحرير للكنيسة. أما فرانكلين وبيل لم يجلبا أي شيء معهما.

حاول إلوود عدم التحديق في الندوب الموجودة على أجساد الصبيّين الآخرين وهما يبدلان ملابسهما. فكلاهما كان لديه خطوطًا طويلة متكتلة من الندبات وعلى ما يبدو كأنها علامات حروق. غير أنه لم يرَ فرانكلين

وبيل بعد ذلك اليوم أبدًا. كان في المدرسة أكثر من ستمئة طالب؛ ذهب الصّبية البيض أسفل التلة بينما ذهب السود أعلاها.

ولّما عادوا إلى غرفة الاستقبال، انتظر الصّبية المشرفين ليقوموا باصطحابهم من المكان. وصل مشرفُ إلوود أولاً، رجل بدين ذو شعر أبيض وبشرة داكنة وعيون رمادية باشَّة. وعلى الرغم من أنّ سبنسر صارم ومخيف، فإن بلاكيلي كان رقيقًا ومرحًا، صافح إلوود بحرارة وأخبره أنه مسؤول عن مسكنه المخصص في كليفلاند.

سارا إلى سكن السود، وبدأ إلوود يطمئن لوضعه. كان خائفًا من مكان يديره رجال مثل سبنسر وما يعنيه له ذلك أن يكون تحت أعين رجال يحبون توجيه التهديدات، ويتلذذون بمراقبة تأثير ذلك على الناس، لكن ربّما يقوم الموظفون السود برعايتهم. وحتى لو كانوا لئيمين مثل الرجال البيض، فإن إلوود لن يسمح لنفسه أبدًا بهذا النوع من سوء السلوك الذي أوقع الآخرين في المشاكل. لقد عزّى نفسه بفكرة أنه كان عليه فقط الاستمرار في فعل ما كان يفعله دائمًا؛ القيام بالتصرف الصحيح.

لم يكن هناك جلبة كثيرة بالخارج، لكن تحرّكت ظلال الطلاب خلال نوافذ المباني السكنية. إنه وقت العشاء إذن؛ كما افترض إلوود. ألقى الصّبية السود التحيّة على بلاكيلي باحترام - أولئك القلائل الذين مرّ بهم إلوود على الممشى الخرساني - لكن أحدًا لم يلحظ وجوده على الإطلاق.

حدّثه بلاكيلي عن عمله في المدرسة خلال الأحد عشر عامًا، من "الأيام السيئة التي خلت وحتى اليوم". وأوضح له فلسفة المدرسة في وضعها مصير الصبية بين أيديهم. قال بلاكيلي: "أنتم أيها الصبية مسؤولون عن كل شيء، من تشكيل الطوب لهذه المباني التي ترونها هنا، ووضع الخرسانات،

وحتى الاعتناء بكل هذا العشب. كذلك عليكم القيام بعمل هادف كلما استطعتم". ثم تابع سرد حديثه بأنّ العمل يحافظ على مستوى الصبية، ويكسبهم الخبرة التي يحتاجونها عند تخرجهم. وأشار إلى أن مطبعة نيكل طبعت المطبوعات لحكومة فلوريدا، من اللوائح الضريبية إلى قوانين البناء وحتى تذاكر مواقف السيارات. ثم أشار عليه أخيرًا: "تعلموا كيف تنفِّذون تلك الأوامر المهمّة؛ وخذوا موقع المسؤولية، فهذه هي المعرفة التي يمكنكم الاعتماد عليها لبقية حياتكم".

قال بلاكيلي إن على كل صبي حضور الدروس، هذا هو القانون. قد لا تُحقّق المدارس الإصلاحية الأخرى هذا التوازن بين الإصلاح والتعليم، لكن نيكل تتأكد من أن مهمتها لن تفشل، مع التدريس في الفصول الدراسية كل يوم، بالتناوب مع تفاصيل العمل، والإجازة تكون في أيام الآحاد.

لاحظ المشرف التغيير على ملامح إلوود، "ليس كما توقّعته؟".

ردّ إلوود: "كنت ذاهبًا للجامعة هذا العام"، كان شهر أكتوبر، حيث يفترض أن يكون في ذروة دراسته الفصلية.

قال بلاكيلي: "تحدث إلى السيد جودال حول هذا الموضوع، إنه يدرّس الطلاب الأكبر سنًا، متأكدً من أنه يمكنك التوصل إلى اتفاق ما معه"، ابتسم ثم عاد يسأله: "هل سبق وعملتَ في الحقول؟". يزرعون محاصيل متنوعة على مساحة 1400 فدان، الليمون والبطاطا الحلوة والبطيخ. قال بلاكيلي: "لقد بدأتُ من مزرعة، بالنسبة للعديد من هؤلاء الصبية، هي المَرة الأولى التي يعتنون فيها بأي شيء".

قال إلوود: "نعم سيدي". كان هناك ملصق أو شيء عالق في قميصه؛ ظل ينغزه في رقبته.

لبث بلاكيلي مكانه، وقال: "تعرف متى تقول نعم سيدي - وهو على الدوام، ستكون على ما يرام يا بني". كان على دراية بـ"موقف" إلوود، فنبرة صوته ملفوفة بتعابير لطيفة. "الكثير من الصّبية هنا، جاؤوا رغمًا عنهم. إنها فرصتك للتقييم الصحيح والفهم السليم".

كانت كليفلاند مطابقة لمهاجع النوم الأخرى في المدرسة: طوب النيكل تحت سقف نحاسي أخضر، محاطٍ بسياج عشبي مغروس في تربة حمراء. اصطحب بلاكيلي إلوود عبر البوابة الأمامية، وسرعان ما تبين له أنه الخارج شيء والداخل شيء آخر. استمرت الأرضيات البالية تحت قدميه بالصرير، والجدران المصفرّة كانت مخدوشة ومشققة، أما حشو الأرائك والمقاعد كان ناتئًا في غرفة المعيشة. الأحرف الأولى والألقاب حُفرت على الطاولات بواسطة مئات أيادٍ مخرِّبة. ركّز إلوود على أعمال التدبير المنزلي، والتي كانت هارييت تقوم بتوبيخه لأجلها: كبصمات أصابع ملطخة حول كل مزلاج باب ومقبض، وكتلٍ من الأوساخ والشعر تجمَّعت في الزوايا.

شرح بلاكيلي تصميم المبنى لإلوود؛ في الطابق الأول من كل مسكن يوجد مطبخ صغير، المكاتب الإدارية، وحجرتي اجتماع كبيرتين. في الطابق الثاني توجدُ غرف النوم، اثنتان منها لطلبة المدرسة الثانوية، وواحدة منها مخصصة للصبية الأصغر سنًا. "نحن نطلق على الطلاب الأصغر سنًا لقبَ تشاك، لكن لا تسألني لماذا، لا أحد يعرف". في الجزء العلوي كان المكان الذي يمكثُ فيه بلاكيلي وبعض غرف المنافع. أخبره بلاكيلي بأن الصبية كانوا متوجهين إلى الفراش. بعد جلبة كبيرة في غرفة العشاء محاولين إنهاء طعامهم، لكن هل يريد شيئًا من المطبخ قبل أن يغلقوه ليلاً؟ لم يستطع التفكير في الطعام، كان إلوود متوترًا جدًا.

يوجد سرير فارغ في الغرفة رقم 2، ثلاثة صفوف من الأسرّة نُظِّمت فوق بساط أزرق، كل صف به عشرة أسرّة، وكل سرير له صندوق عند موضع القدم لتوضيب الحاجيّات. لم يكترث أحد لأمر إلوود أثناء سيره، لكن كل صبي هنا تصرّف على هواه، بعضهم تهامس مع زملائهم أثناء اصطحاب بلاكيلي لإلوود بين الصفوف وآخرون انتظروا تفحُّصه إلى وقت لاحق. بدا أحد الصبية كرجل يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، كان إلوود يعلم أنّ ذلك يبدو مستحيلًا، طالما هم يسمحون لك بالخروج عند بلوغك سنّ الثامنة عشرة. بعض الصّبية كانوا عنيفين مثل الصّبية البيض في السيارة من تامبا، إلا أنه شعر بالارتياح لوجود الكثير منهم يشبهون الصّبية العاديين من حيّه، فقط أكثر حزنًا. لو أنهم عاديون مثلهم، لنجح في البقاء قربهم.

على الرغم مما سمعه عن نيكل، إلا أنها كانت مدرسة بالفعل وليست سجنًا مروعًا للصبية. قال محامي إلوود بأنه كان محظوظًا، فسرقة سيارة تعتبر جنحة كبيرة بالنسبة لنيكل. كان يعلم أن معظم الصبية الذين تم إرسالهم إلى هنا بسبب ارتكابهم جرائم أقل، وعلى ما يبدو أنه شيء غامض وغير قابل للتفسير. كان بعض الطلاب قُصَّرًا بلا أسرة، ولم يكن هناك مكان آخر لوضعهم فيه.

فتح بلاكيلي الصندوق ليُريه مكان الصابون والمنشفة، ثم قدّم إلوود إلى الصبية المستلقين على جنبهم في مواجهته، ديزموند وبات. ثم أمرهم أن يبينوا له الأمور الهامة، قائلًا: "لا تعتقدوا بأني لا أراكم". تمتم الصبيّان مَرحبين به، وعادا إلى بطاقات البيسبول بمجرد اختفاء بلاكيلي.

لم يكن إلوود يبكي بحرقة من قبل، لكنه أصبح كذلك منذ اعتقاله، تحضره الدموع في الليل، عندما يتخيل ما قد تخبئه نيكل له. عندما سمع

نشيج جدته في غرفتها المجاورة لغرفته، وهي تتجول لتفتح الأشياء وتغلقها، ليس لشيء لكنها لا تعرف ما عليها فعله، وعندما يحاول دون جدوى معرفة سبب الانعطافة التي حدثت في حياته وأوصلته إلى هذا الطريق البائس. كان يعلم أنه لن يسمح للأولاد برؤيته يبكي، لذا تقلّب في السرير ووضع وسادته فوق رأسه، وأنصت إلى الأصوات: النكات والتهكمات، وقصص البيوت والأصدقاء البعيدين، والتكهنات عن إصلاحية الأحداث، وكيف يسير هذا العالم وخططهم الساذجة لخداعه.

إنه بدأ اليوم في حياته السابقة؛ واختتمه هنا. كانت رائحة غطاء الوسادة مثل الخل، وفي الليل كانت الجنادب والصراصير تصدر صرصرة متماوجة، خافتة وعالية بالتناوب.

كان إلوود نائمًا عندما بدأت جلبة متفاوتة. لقد جاء الصوت من الخارج، صخب وأزيز دون تفاوت. شيء ما بغيض وآلي ولا يمكن تكوين أي فكرة عن مصدره. لا يدري من أي كتاب التقطها، لكن الكلمة التي لاحت له: جارف.

قال صوت عبر الغرفة: "شخص ما سيخرج لتناول الآيس كريم"، وضحك بعض الصّبية.

الفصل الخامس

التقى إلوود مع تيرنر في يومه الثاني بنيكل، والذي كان أيضًا اليوم الذي اكتشف فيه سبب الجلبة المروّعة. "معظم السود يصمدون لأسابيع كاملة قبل الاستسلام"، أخبره الصبي الذي يدعى تيرنر في وقت لاحق. "عليك إنهاء هذا الشغف المقرف يا إل".

أيقظهم البوق بصوته الحاد معظم الصباحات. قرع بلاكيلي باب الغرفة 2 وصرخ: "حان وقت الاستيقاظ!". حيّا الطلاب صباحًا آخر في نيكل بالتذمرات والشتائم. اصطفوا في صفين لإثبات حضورهم، ثم أتوا للاستحمام لمدة دقيقتين حيث يقوم الصّبية برغوِ الصابون الطبشوريِّ بغضب قبل نفاد وقتهم. استطاع إلوود التظاهر بعدم المفاجئة من طقس الاستحمام الجماعي ببراعة، لكنه لم ينجح في إخفاء رعبه من المياه المتجمدة، التي كانت تدفق ولا ترحم. ما جاء من الأنابيب تفوح منه رائحة البيض الفاسد، كما تفوح من كل من اغتسل فيها حتى يجف جلده.

قال ديزموند: "الآن وقت الإفطار". كان سريره بجوار سرير إلوود وبذل الصبي جهدًا لتلبية أوامر المشرف من الليلة السابقة. كان لديزموند رأس دائري، ووجنتان صغيرتان ممتلئتان، وصوت أذهل كل من سمعه في المرة الأولى، حيث كان صوتًا أجش وجهيرًا. كان يُفزع الصّبية ويجعلهم يقفزون عندما يصل إليهم، وقد حصل على ركلة بسبب هذا، حتى تسلل

إليه ذات يوم مشرف بصوت أعمق وأفزعه حتى يعلمه درسًا.

أخبره إلوود باسمه مرة أخرى، للإشارة إلى بداية جديدة لتعارفهما.

قال ديزموند: "لقد أخبرتني الليلة الماضية". ربط حذاءه البني المصقول بعناية. "إذن، كنت هنا منذ فترة، فمن المفترض أن تساعد اليرقات، حتى تتمكن من الحصول على نقاط، أنا في منتصف الطريق إلى أن أكون من الرُوّاد".

مشى مع إلوود ربع ميل إلى قاعة الطعام، لكنهما انفصلا في الطابور، وعندما بحث إلوود عن مكان للجلوس لم يرَه. كانت قاعة الطعام صاخبة وعاصفة، مليئة بكل أولاد كليفلاند الذين كانوا يقضون جولتهم الصباحية في اللاشيء. أصبح إلوود غير مرئي مرة أخرى، وجد مقعدًا فارغًا على إحدى الطاولات الطويلة. عندما اقترب، ضرب صبي يده على المقعد وقال إنه محجوز. كانت الطاولة المجاورة مليئة بالصّبية الأصغر سنًا، لكن عندما وضع إلوود صينيته فوقها، نظروا إليه وكأنه مجنون. قال أحدهم: "لا يُسمح للأولاد الكبار بالجلوس إلى طاولة الصّبية الصغار".

جلس إلوود سريعًا في البقعة الشاغرة التالية التي رآها وليتجنب التوبيخ لم ينظر لأحد، بل أكل فقط، دقيق الشوفان عليه قليل من القرفة لإخفاء الطعم السيئ؛ التهمها إلوود. أنهى تقشير برتقالته قبل أن ينظر أخيرًا إلى الصبي عبر الطاولة الذي كان يحدق به.

أول ما لاحظه إلوود هو الشجَّة الموجودة في أذن الصبي اليسرى، كما هوَ الحال مع قطة تعيش في زقاق تملؤها الخدوش. قال الصبي: "تأكل دقيق الشوفان كما لو أنّ أمك من صنعته".

من كان هذا الذي يتحدّث عن والدته هكذا، "ماذا!"

قال: "لم أقصد الأمر على هذا النحو، كنت أعني أنني لم أرَ أبدًا شخصًا يأكل هذا الطعام مثلما فعلت، كأنّك أحببته".

الشيء الثاني الذي لاحظه إلوود هو إحساس الصبي الغريب بذاته. كانت قاعة الطعام تهيج بحيوية، إلا أن هذا الصبي كان يتوافق مع هدوئه الخاص. بمرور الوقت، رأى إلوود أنه كان دائمًا يشعر بالراحة كأنه بمنزله، أيًّا كان المشهد الذي يجد نفسه فيه. وفي الوقت ذاته، بدا له أيضًا أنه ما كان يجب أن يكون هناك؛ في الداخل وغير مرحب به في آن؛ كأنه جزء من المكان لكنه منفصل عنه أيضًا. مثل جذع شجرة سقط داخل جدول، لا ينتمي للماء لذا لم يكن هناك أبدًا، لكنه ولَّد تموجاته الخاصة في المجرى الواسع.

قال إن اسمه تيرنر.

"أنا إلوود، من تالاهاسي، فرينشتاون".

"فرينشتاون". قلد صبي صوت إلوود فورًا، جعله يبدو كمخنث، وضحك رفاقه.

كان هناك ثلاثة منهم، أكبرهم رآه الليلة الماضية، الصبي الذي بدا أكبر من أن يذهب إلى نيكل، اسمه غريف. بجانب مظهره الناضج، كان عريض المنكب ومنحنٍ مثل دب بنيٍّ كبير. قيل إن والد غريف كان محسوبًا على عصابة متسلسلة في ألاباما لقتله والدته، مما جعل لؤم الصبي أمرًا متوارثًا. رفيقا غريف كانا بنفس حجم إلوود، خاليان من العظام لكن الهمجيّة والقسوة في أعينهما. لدى لوني وجه كلب بولدوج العريض، مدبب مثل فروة رأس محلوقة لها شكل رصاصة. مرّر أصابعه على شارب غير مكتمل، اعتاد على تنعيمه بإبهامه وسبابته حين ينوي أن يكون

متوحشًا. وكان آخر عضو في المجموعة الثلاثية هذه يسمى بلاك مايك. شاب نحيف قوي البنيان من أوبلوساس، كثير الحركة لا يهدأ، حتى أنه هذا الصباح تململ في مقعده وجلس على يديه لمنعهما من الطيران. كان الثلاثة يمتلكون الطرف الآخر من الطاولة، والمقاعد الموجودة بينهم فارغة لأن الجميع يعرفون ذلك جيدًا.

قال تيرنر: "أنا لا أعرف لماذا صوتك عالٍ جدًا يا غريف، تعلم أنهم يراقبونك هذا الأسبوع".

افترض إلوود أنه يقصد المشرفين؛ كان هناك ثمانية منهم منتشرين على طاولات مختلفة في فوضى، يأكلون مع صبيانهم. كان من المستحيل أن يسمعهم، لكن أقرب مشرف منهم نظر إليهم نظرة عرضية. نبح غريف، الملاكم، نحو تيرنر وضحك الصبيان الآخران، نباح الكلب هو جزء من مزحة جارية بينهم. الصبي ذو الرأس الحليق، لوني، غمز إلوود ثم عادوا إلى اجتماعهم الصباحي.

قال تيرنر: "أنا من هيوستن"، بدا أنه يشعر بالملل، "هذه مدينة حقيقية، ليس كتلك المدينة المقرفة التي تقيمون بها جميعكم هنا".

قال إلوود: "شكرًا على ذلك". ومال برأسه نحو المتنمرين.

التقط الصبي صينيته قائلًا: "لم أفعل شيئًا!"

ثم وقف الجميع على أقدامهم: فقد حان وقت الدرس، نقر ديزموند على كتف إلوود ورافقه. كانت المدرسة الملونة بسفح التل، بجوار المرآب والمَستودع. قال ديزموند: "كنت أكره المدرسة، لكن هنا يمكنك الحصول على قسط من الراحة".

قال إلوود: "اعتقدت أن هذا المكان صارم".

"في المنزل، كان بابا يضربني إذا فاتني يوم في المدرسة. هنا في نيكل، الأمور عكس ذلك". وأوضح ديزموند أن الأداء الأكاديمي لم يكن له أي تأثير على تقدّم الفرد نحو التخرج. لا يكترث المعلمون للحضور أو في توزيع الدرجات، يعمل الأطفال الأذكياء على مزاياهم. مزايا كافية؛ ويمكنك الحصول على إطلاق سراح مبكر على حسن السلوك. ومع ذلك، فإن العمل، والسلوك، وإظهار الإذعان أو الطاعة، هذه الأشياء ذات قيمة في تصنيفك ولم تكن أبدًا بعيدة عن انتباه ديزموند، الذي كان يشعر أن عليه العودة إلى المنزل. كان من غينزفيل، حيث يمتلك والده صندوق محمولاً لتلميع أحذية. هرب ديزموند مرات عديدة، فاستشاط والده غضبًا، وتوسل إلى نيكل ليحتجزوه ثانية. "كنت أنام تحت النجوم كثيرًا، لقد اعتقد أنني سأتعلم كيف أقدر وجود سقف فوق رأسي".

سأله إلوود عما إذا كان يعمل.

التفت ديزموند بعيدًا وقال: "يا رجل، يجب أن أصل إلى مستوى الرُوّاد"، كان صوت الرجل الناضج حين خرج من جسده الهزيل، جعلها تبدو كأمنية مؤثرة.

كان مبنى مدرسة السود أقدم من مباني النوم المشتركة، واحدًا من المباني القليلة يعود تاريخه إلى وقت افتتاح المدرسة. كان هناك فصلين دراسيين في الطابق العلوي للصبية الصغار: تشاكس، واثنان في الطابق الأرضي للصبية الأكبر سنًا. قاد ديزموند إلوود إلى حجرة الدراسة، التي كانت تحتوي على خمسين مكتبًا أو نحو ذلك، بدت مكتظة في الداخل. جلس إلوود مزاحمًا في الصف الثاني وسرعان ما أصيب بالهلع. ظهرت فوق الملصقات على الجدران بومة ترتدي نظارة طبية، تصرخ بالحروف

الأبجدية بجانب رسومات مشرقة عن المفاهيم الأولى: منزل، قطة، حظيرة؛ أشياء صغيرة للأطفال. إنها أسوأ من الكتب المدرسية المستعملة في مدرسة لينكولن الثانوية، جميع الكتب المدرسية من نيكل كانت من قبل ولادته، طبعات قديمة من الكتب المدرسية يتذكرها إلوود منذ الصف الأول.

ظهر المعلم السيد جودال، لكن لم يعره أحد أي اهتمام. كان جودال رجلاً ذا بشرة زهرية في منتصف الستينيات من عمره، يرتدي نظارات سميكة من عظم السلحفاة، وبذلة من الكتان، وعُرف من الشعر الأبيض أعطاه هيئة أكاديمية. لكن سرعان ما تبخر سلوكه التعليمي. فقط إلوود استاء من جهود المعلم الفاترة والمشتتة؛ أمضى الصبية الآخرون الصباحَ وهم في فوضى وتهكم. غريف ورفاقه يلعبون البستوني في الجزء الخلفي من الفصل، وعندما ضَبط إلوود عين تيرنر، وجده يقرأ قصة سوبرمان المصورة المجعدة. فلما رآه تيرنر هزّ كتفيه وقلب الصفحة. كان ديزموند نائمًا بعمق، ورقبته مائلة بزاوية مؤلمة.

إلوود، الذي كان يجري كل حسابات السيد ماركوني في رأسه، أخذ درس الرياضيات الأول كإهانة. كان من المفترض أن يأخذ دروسًا جامعية، ولهذا السبب كان في تلك السيارة في المقام الأول. شارك في كتاب تمهيدي مع الصبي بجانبه، وهو صبي سمين تجشّأ وجبة الإفطار في نفحات قوية، وبدأوا لعبة شد الحبل الغبية. معظم الصّبية من نيكل لا يستطيعون القراءة. بينما التقط كل صبي قصة ذلك الصباح - هراء حول أرنب مجتهد - لم يكلَف السيد جودال نفسه عناء تصحيحها أو مشاركة التهجئة الصحيحة. نحت إلوود كل مقطوعة لفظية بالدقة التي حركت خيال التلاميذ حوله، يأكلهم الفضول لمعرفة نوع الصبي الأسود الذي يتحدث بهذه الطريقة.

اقترب من جودال عند جرس الغداء وتظاهر المعلم بمعرفته: "مرحبًا يا بني، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟"، واحد آخر من أولاده السود يجيئون ويذهبون. عن قرب، كان أنف وخدود جودال الوردية متكتلة ومغربلة، ورائحة عرقه طافحة بزجاجة الليلة الماضية، بخارًا حلوًا.

أبقى إلوود السخط بعيدًا عن صوته عندما سأل عمّا إذا كان نيكل لديها فصول دراسية متقدمة للطلاب الذين يتطلعون إلى الكلية، أوضح بتواضع أنه تعلم هذه المادة منذ سنوات.

كان جودال ودودًا بما فيه الكفاية. "بالتأكيد! سأتحدث إلى المدير حول هذا الموضوع، ما هو اسمك مرة أخرى؟".

اجتمع إلوود مع ديزموند في طريق العودة إلى كليفلاند، أخبر ديزموند عن حديثه مع المعلم، قال ديزموند: "وهل تصدق هذا الهراء؟".

بعد الغداء، عندما حان وقت درس الفن والورش، سحب بلاكيلي إلوود جانبًا. أراد المشرف لإلوود أن يعمل في فريق الفناء مع بعض اليرقات. كان سينضم إلى الصبية الآخرين في منتصف ورديـاتهم، لكن العمل في الأرض سيجعلك تفهم كيف تسير الأمور، إذا جاز التعبير. قال بلاكيلي: "راقب عن كثب".

بعد الظهيرة الأولى، تجول إلوود وخمسة صبية آخرين - معظمهم تشاكس - حول النصف الأسود من المدرسة بالمناجل والقشّاشات. كان قائدهم صبيًا هادئًا يُدعى جيمي، وكان مثل جميع طلاب نيكل، يعاني من الضعف وسوء التغذية. تنقّل حول نيكل كثيرًا، كانت والدته مكسيكية، لذا لم يعرفوا ماذا يفعلون به. عند وصوله، تم وضعه مع الصّبية البيض، لكن بعد يومه الأول في العمل بحقول الليمون أصبح داكنًا لدرجة أن

سبنسر أعاده إلى النصف الأسود. قضى جيمي شهرًا في كليفلاند، لكن المدير هاردي انطلق في جولة ذات يوم، وألقى نظرة على هذا الوجه الفاتح بين الوجوه الغامقة، وأعاده إلى المعسكر الأبيض. انتظر سبنسر بعض الوقت وأعاده بعد بضعة أسابيع. قال جيمي وهو يجمع أوراق الصنوبر في كومة: "أروح وأجيء"، كان لديه ابتسامة مشدودة لأسنانه المتهالكة: "أعتقد أنهم ذات يوم سيتمكنون من اتخاذ قرار بشأني".

قام إلوود بجولته عندما قطعوا طريقهم صعودًا إلى أعلى التل، متجاوزين مساكن السود الآخرين، وملاعب كرة السلة المصنوعة من الطين الأحمر، ومبنى الغسيل الكبير. عند النظر إلى الأسفل، كان معظم الجزء الأبيض متباينًا من خلال الأشجار: المباني الثلاثة، والمستشفى، والمباني الإدارية. يعمل مدير المدرسة، هاردي، في المبنى الكبير الأحمر المزين بالعلم الأمريكي. كانت هناك مرافق كبيرة التي يستخدمها الصبية السود والبيض في أوقات مختلفة، مثل صالة الألعاب الرياضية والكنيسة الصغيرة ومتجر الأخشاب.

من الأعلى، كان حرم المدرسة الأبيض متطابقًا مع الحرم المخصص للسود. تساءل إلوود عما إذا كان الحرم في حالة أفضل، مثل المدارس في تالاهاسي، أو إذا كانت نيكل قد قدمت نفس التعليم المتعثر لجميع الطلاب بغض النظر عن لون البشرة.

عندما وصلوا إلى قمة التل، استدار فريق الفناء. وعلى الجانب الآخر من التل كانت المقبرة، بووت هيل، عبارة عن جدار قصير من الحجارة الخشنة يحيط بالصلبان البيضاء والأعشاب الرمادية والأشجار المنحنية والمائلة، والتي تجاهلها الصّبية.

أوضح جيمي أنه إذا سلكتم الطريق عبر الجانب الآخر من المنحدر، فستصلون في النهاية إلى المطبعة، والمجموعة الأولى من المزارع، ثم المستنقع الذي يمثل الطرف الشمالي للمدرسة. قال لإلوود: "ستقطف البطاطس عاجلًا أم آجلًا، فلا داعي للقلق". سارت مجموعات من الطلاب في الممرات والطرق المؤدية إلى مهام عملهم بينما كان المشرفون في سياراتهم الحكومية يتقاطرون على العقارات الخاصة، يشاهدونها. وقف إلوود متفاجئًا عند رؤية فتى أسود يبلغ من العمر ثلاثة عشر أو أربعة عشر عامًا يقود جرارًا قديمًا بمقطورة خشبية مليئة بالطلاب. بدا السائق نعسانًا وساكنًا في مقعده الكبير وهو يقود سيارته إلى المزرعة.

عندما تيبس الصّبية الآخرون وتوقّفوا عن الكلام، كان ذلك يعني أن سبنسر كان قريبًا.

في منتصف الطريق بين المبنيين الملون والأبيض، كان هناك مبنى مستطيلًا من طابق واحد، قصيرًا ورفيعًا، افترض إلوود أنه مخزن. تدلّت بقع الصدأ مثل الكروم فوق الطلاء الأبيض الذي يغطي جدرانه الخرسانية، لكن الزخارف الخضراء حول النوافذ والباب الأمامي كانت جديدة وزاهية. يحتوي الجدار الأطول على نافذة كبيرة واحدة بجانبه ثلاث نوافذ أصغر مثل فراخ البط بجانب أمهم.

يحيط بالمبنى جزءً من العشب غير مشذّب، بمساحة قدم واسعة، معزول دون أن يلمسه أحد، "هل علينا شذب ذاك أيضًا؟" سأل إلوود.

همهمَ الصبيان بجوار إلوود، قال أحدهما: "أيها الأسود، لا تقم بعملٍ لم يُطلب منك".

أمضى إلوود وقت فراغه قبل العشاء في غرفة المعيشة في كليفلاند.

اكتشف الدواليب، حيث احتفظوا بالبطاقات والألعاب ولعب الأوراق. تجادل الطلاب حول من سيكون التالي في لعب تنس الطاولة، وقذفوا مضاربهم باتجاه الشبكة المترهلة، ولعنوا بعضهم في لحظات اللعب، قرقعة الكرات البيضاء مثل ضربات القلب غير المنتظمة لمراهق في فترة الظهيرة. فحص إلوود الكتب الهزيلة على أرفف المكتبة، هاردي بويز والمجلّات المصوّرة. كانت هناك مجلدات متعفنة عن العلوم الطبيعية مع مشاهد فضائية ولقطات مقرّبة لقاع البحر. فتح مجموعة شطرنج من الورق المقوى، لم يكن هناك سوى ثلاث قطع بالداخل، قلعة وبيدقان.

توزّع الطلبةُ الآخرون ما بين العمل أو الرياضة، وفي الطابق العلوي إلى الأسرّة، وإلى استراحتهم الخاصة بعد فترة الشيطنة. توقف السيد بلاكيلي في طريقه وقدّم إلوود إلى كارتر، أحد مشرفي المنزل السود. كان أصغر من أن يكون مشرفًا منزليًا ويبدو عليه التشدد. أعطاه كارتر إيماءة سريعة مريبة واستدار ليخبر صبي كان يمص إبهامه في الزاوية أن يكف عن ذلك.

كان نصف مشرفي المنزل في كليفلاند من السود والنصف الآخر من البيض. قال ديزموند: "أراهنك برمي عملة معدنية حول ما إذا كانوا يتجاهلوننا أو يزعجوننا، بغض النظر عن لون بشرتهم". استلقى ديزموند على إحدى الأرائك، واضعًا رأسه على الصفحات المضحكة لكتاب ما حتى لا يلمس البقع الكريهة على قماش الأريكة. "معظمهم جيدون، لكن البعض منهم نفوسهم قذرة". وأشار ديزموند إلى الطالب العريف، الذي كانت وَظيفته تتبع المخالفات والحضور. عريفُ كليفلاند هذا الأسبوع، كان صبيًا بشرته فاتحة وله شعر مجعد كثيف ذهبي يُدعى بيردي، كانت قدماه منحنيتين للداخل. انطلق بيردي في دوريّات تجول الطابق الأول،

حاملاً معه الحافظة وقلم الرصاص الذي يزيّن مكتبه، وهو يدندنُ بسعادة. قال ديزموند: "هذا سَيَشي بك في ثانية، لكن لو حصلت على عريفٍ جيد، يمكنه مساعدتك في كسبِ بعض المزايا الرائعة للمستكشفين والرُوّاد".

سمعوا صوت بوق قادم من الجنوب، أسفل التل، لم يقل أحد ماذا كان. قلب إلوود صندوقًا خشبيًا وجلس فوقه. كيف يلائم هذا المكان مسار حياته؟ قشور الطلاء الرقيقة متدلية من السقف، وكانت النوافذ المكسوة بالأوساخ معتمة طوال الوقت. كان يفكر في خطاب الدكتور كينغ أمام طلاب المدارس الثانوية في واشنطن العاصمة، عندما تحدث عن انحطاط جيم كرو والحاجة إلى تحويل هذا التدهور إلى أفعال. سوف يثري روحك كما لم يفعل أي شيء آخر. سوف يمنحك هذا الإحساس النادر بالنبل الذي لا يمكن أن ينبع إلا من الحب ويساعد إخوانك من الرجال بإيثار، اصنع مهنة إنسانية، اجعلها جزءًا أساسياً من حياتك.

قال إلوود لنفسه إنني عالق هنا، لكنني سأبذل قصارى جهدي، وسأجعل الأمر مختصرًا. حتى أن الجميع في مدينته يعرفون أنه يمكن الاعتماد عليه، وسرعان ما سيدركون في نيكل ذلك عنه أيضًا. في العشاء، سيسأل ديزموند عن عدد النقاط التي يحتاجها للترقي من مستوى اليرقات، والمدة التي يستغرقها معظم الصّبية للتقدم والتخرج، ثم سيعمل على مضاعفة ذلك بسرعة، كانت هذه فكرة مقاومته للمكان.

وبهذا، جمع قطع شطرنج كاملة وفّرها من ثلاث مجموعات متفرقة، وفاز في مباراتين متتاليتين.

لماذا اعترض شجارًا في الحمام، لم يستطع الحصول على إجابة مناسبة لاحقًا. لقد كان شيئًا قد يفعله جده في إحدى قصص هارييت: يتقدم

عندما يرى شيئًا خاطئًا.

الصبي الأصغر الذي تعرض للتنمر، يدعى كوري، لم يكن صبيًا التقى به من قبل. المتنمرون الذين واجههم على مائدة الإفطار: لوني بوجه كلب؛ بولدوج وشريكه المهووس بلاك مايك. ذهب إلوود إلى الحمام في الطابق الأول ليتبول، ودفع الصبيّ الأطول كوري مقابل جدار متصدع. ربما كان ذلك لأن إلوود لم يكن لديه أي إحساس لعين، كما قال صبية فرينشتاون. ربما كان ذلك لأنهم كانوا أضخم والصبي الآخر نحيلًا. لقد أقنع محامي إلوود القاضي كي يسمح له بقضاء أيام حريته الأخيرة في المنزل؛ لم يكن هناك من يأخذه إلى نيكل في ذلك اليوم، وكان سجن تالاهاسي مكتظًا. ربما لو أنه أمضى المزيد من الوقت في قسوة سجن المقاطعة، لكان قد تعلّم أنه من الأفضل عدم التدخل في منازعات الآخرين، بغض النظر عن الأسباب الفعلية للمشكلة.

قال إلوود: "مرحبا"، واتخذ خطوة إلى الأمام. استدار بلاك مايك حوله، ولكمه في فكه وأرداه بجوار الحوض.

صبي آخر يدعى تشاك، فتح باب الحمام وصرخ، "أوه، اللعنة". كان فيل - أحد المشرفين البيض - يقوم بجولات حينها، ولدى إلوود شعور ثقيل تجاهه، عادة ما يتظاهر بعدم رؤيته حتى وهو أمام وجهه. سابقًا فيما مضى، قرر أن الأمر أفضل بهذا الأسلوب. قرعة بالعملة، هكذا وصف ديزموند عدالة نيكل. قال فيل في هذا اليوم: "ما الذي تريدونه أيها الزنوج الصغار؟" كانت َنبرته لطيفة، وأكثر استغرابًا من أي شيء آخر. لم يكن تحليل الموقف جزءًا من وظيفته. من كان المخطئ، من بدأه، ولماذا. إنما وظيفته أن يبقي هؤلاء الصّبية السود تحت السيطرة، واليوم لم تكن مسؤولياته

خارج سيطرته. كان يعرف أسماء الصبية الآخرين، فسأل الصبي الجديد عن اسمه.

قال فيل: "السيد سبنسر سيبحث في هذا الأمر"، وطلب من الصبية الاستعداد لتناول العشاء.

الفصل السادس

يتلقّى الصّبية البيض كدمات مختلفة أكثر من السود، لذا أعطوه اسم مصنع الآيس كريم؛ لأنك ستحصل على كدمات من كل لون. كما أطلق عليه الصّبية السود اسم البيت الأبيض، لأن هذا كان اسمه الرسمي وهو ملائم ولا يحتاج إلى تجميل، أصدر البيت الأبيض القانون والجميع أطاع.

جاؤوا في الواحدة صباحًا، القليل منهم مستيقظ، كان يصعب على أحدهم النوم وهو على علمٍ بقدومهم، حتى لو لم يكن الهدف الذي جاءوا من أجله. سمع الصّبية تهشيم الحصى في الخارج، الأبواب تُفتح، خطوات تعلو فوق الدرج. كانت أسماعهم ترى كذلك. تراقصت مصابيح الرجال. كانوا يعرفون مكان أسرّتهم التي كانت متلاصقة على بُعد قدمين فقط من بعضها، وبعد المرات التي أمسكوا بها الأسرّة الخاطئة، صاروا يتأكدون مسبقًا. أمسكوا بلوني وبلاك مايك، ومعهم كوري، واصطحبوا إلوود أيضًا.

سبنسر كان من زوّار الليل وموظف آخر اسمه إيرل، يبدو ضخمًا وسريعًا، مما ساعدهم لحظة انهار صبي في إحدى الغرف الخلفية، مما اضطره إلى إعادته نحو مساره كي يتمكنوا من المضي قدمًا. كانت سيارات الولاية من طراز شيفروليه وهي بنية اللون، تلك التي كانت تجوب المكان طوال اليوم في مهمات بسيطة، إلا أنها في الليل تصبح نذير شؤم. يدفع

سبنسر بلوني وبلاك مايك، بينما إيرل يأخذ إلوود وكوري، حيث كان الأخير يبكي طوال الليل.

لم يتحدث أحد إلى إلوود على العشاء، كما لو أن ما حصل له كان سينتقل إليهم ويجعلهم مهدّدين. همس بعض الصبية عند مروره - يا له من دمية - وأعطاه المتنمرون نظرة غاضبة، لكن في الغالب كان هناك ضغط تهديد شديد، والقلق واضح في المسكن، وهذا كله لم يتوقف حتى أخذوا الصبية بعيدًا. حينها، ارتاح بقيتهم واستطاع البعض أن يغط في الأحلام.

ولمّا أُطفئت الأنوار، همس ديزموند لإلوود أنه بمجرد البدء، من الأفضل له عدم التحرك. فالحزام المشقوق سوف يتمزق فوقه ويتقطع إذا لم يظل ساكنًا. وفي السيارة، تمتم كوري بتعويذة: "أنا متماسك وهادئ، أنا متماسك وهادئ".. ربما كان ذلك صحيحًا. لم يسأل إلوود عن عدد المرات التي نزل فيها ديزموند لأن الصبي توقف عن الكلام بعد تلك النصيحة.

كان البيت الأبيض، في استخدامه السابق، بمثابة سقيفة عمل. أوقفوا السيارة خلفه وأخذهم سبنسر ورجله إلى الخلف. مدخل الضرب، كما أطلق عليه الصبية. عند المرور بالطريق الأمامي، لن تنظر مرتين أبدًا. سرعان ما وجد سبنسر المفتاح في ميداليته الضخمة وفتح القفلين. كانت الرائحة نتنة بشدة، رائحة بول وأشياء أخرى اخترقت الخرسانة. أزيز لمبة مكشوفة في الردهة. قادهم سبنسر وإيرل عبر زنزانتين إلى الحجرة في الجزء الأمامي من المبنى، حيث كان ينتظرهم صف من الكراسي المثبتة بمسَامير، وطاولة.

كان هناك باب أمامي، فكر إلوود في الهروب، لكنه لم يفعل. هذا المكان هو سبب عدم وجود جدار أو سياج أو أسلاك شائكة حول المدرسة،

وفي نفس الوقت السبب وراء فرار صبية قليلين: لقد كان هو الجدار الذي حبسهم بالداخل.

أخذ سبنسر وإيرل بلاك مايك في البداية. قال سبنسر: "اعتقدت أنك تأدبت بعد آخر مرة".

قال إيرل: "بال على نفسه مرة أخرى".

وهنا بدأ الزئير: عاصفة هادئة. كرسي إلوود يهتز بفعل الطاقة التي لم يستطع معرفة ماهيتها - نوع من الآلات - لكنها كانت عالية بما يكفي لتغطية صرخات بلاك مايك وصفعة الحزام على جسده. في منتصف الضرب بدأ إلوود في العد، معتمدًا على نظرية مفادها إذا كان في مقدوره أن يعرف عدد الضربات التي يحصل عليها الصبية الآخرون، فسيعلم عدد ما سيحصل عليه. هذا إن لم يكن هناك نظام مختلف للضربات لكل صبي: الجاني، المحرض، الشاهد. لم يسأل أحد إلوود عن جانبه من القصة، وأنه كان يحاول فقط تفريق الشجار في الحمام، ربما كان سيقلل ذلك من تدخله. لقد عد حتى 28 قبل أن يتوقف الضرب وسحبوا بلاك مايك إلى إحدى السيارات.

واصل كوري النحيب، وعندما عاد سبنسر أخبره أن يغلق فمه اللعين وأخذوا لوني بدلًا منه. حصل لوني على حوالي ستين. كان من المستحيل معرفة ما قاله سبنسر وإيرل له هناك، لكن لوني كان بحاجة إلى مزيد من التعليمات أو التحذيرات أكثر من شريكه.

ثم أخذوا كوري ولاحظ إلوود وجود إنجيل على الطاولة.

حصل كوري على حوالي سبعين ضربة - فقد إلوود العدد عدة مرات - ولم يكن ذلك منطقيًا، فلماذا يحصل المتنمرون على عدد أقل من الضحية؟

الآن ليس لديه فكرة عما سيلقاه. لم يكن هناك أي معنى لأي شيء. ربما فقدوا العدّ مثله أيضًا. ربما لم يكن هناك نظام على الإطلاق للعنف ولا أحد يعرفه، لا الحراس ولا المحتجزون، ما حدث أو لماذا حدث.

ثم حان دور إلوود. كان الرواق خلفه يفصل زنزانتين تواجهان بعضهما، أما غرفة الضرب فكانت تحتوي على مرتبة ملطخة بالدماء ووسادة عارية كانت مغطاة بالبقع المتداخلة من جميع الأفواه التي عضتها. وأيضًا: المروحة الصناعية العملاقة التي كانت مصدر الزئير، الصوت الذي ينتقل في جميع أنحاء المدرسة، أبعد مما تسمح به الفيزياء. كان مكانها الأصلي هو غرفة الغسيل - في الصيف كانت تلك الآلات القديمة تكون جحيمًا - لكن بعد إحدى الإصلاحات الدورية حيث وضعت الولاية قواعد جديدة حول العقاب البدني، كان لدى أحدهم فكرة ذكية لإحضارها هنا. بقع على الجدران حيث كانت المروحة تنثر الدماء في هبوبها. كان هناك شيء غريب في الصوت، هنا حيث غطت المروحة صرخات الصبية، لكن بجوارها مباشرة تستطيع سماع تعليمات الموظفين بوضوح: تمسك بالحاجز ولا تتركه، أصدر صوتًا وستحصل على المزيد، اغلق فمك اللعين أيها الأسود.

كان الحزام بطول ثلاثة أقدام بمقبض خشبي، وقد أطلقوا عليه اسم بلاك بيوتي منذ ما قبل عصر سبنسر، على الرغم من أن الحزام الذي يحمله في يده لم يكن هو الأصلي؛ اعتادوا إصلاحه أو استبداله من وقت لآخر. يضرب الجلد السقف قبل أن ينزل على ساقيك، ليخبرك أنه على وشك النزول، والأسرّة المزدوجة تحدث ضوضاء مع كل ضربة. تمسك إلوود بأعلى السرير وعض في الوسادة لكنه فقد وعيه قبل أن ينتهوا، لذلك عندما سأله الناس لاحقًا عن عدد الضربات التي حصل عليها، لم يكن يعرف.

الفصل السابع

نادرًا ما كانت هارييت تودُّع أحبابها وداعًا لائقًا. توفي والدها في السجن بعد أن اتهمته سيدة بيضاء في وسط المدينة بعدم التنحي عن طريقها على الرصيف، شخصيّة متعجرفة كما عرّفها جيم كرو. هكذا سارت الأمور في الأيام الماضية، كان ينتظر موعده مع القاضي عندما وجدوه معلقًا في زنزانته، لم يصدق أحد قصّة الشرطة. قال عمُّها: "الزنوج والسجن"، ثم كرَّرها: "الزنوج والسجن". قبل يومين، كانت هارييت قد لوَّحت له عبر الشارع في طريق عودتها من المدرسة إلى المنزل. كانت تلك هي صورته الأخيرة لها: والدها الكبير والمرح؛ يمشي في طريقه إلى وظيفته الثانية.

أصيب زوج هارييت، مونتي، في رأسه بكرسي أثناء محاولته فضَّ شجار في منزل الآنسة سيمون. حيث كان بعض الجنود السود من كامب جوردون جونستون يتشاجرون مع مجموعة من أهل تالاهاسي الكراكرز[34] من أجل التناوب على طاولة البلياردو. انتهى الأمر بموت شخصين. كان أحدهما مونتي، الذي سارع إلى حماية صبي الصحون عند الآنسة سيمون من هجوم ثلاثة رجال بيض. لا يزال الصبي يكتب رسائلَ لهارييت كلّ كريسماس، ويعمل سائق سيارة أجرة في أورلاندو وكان لديه ثلاثة أطفال.

ودّعت ابنتها إيفلين وزوجها بيرسي ليلة مغادرتهما. كان وداع بيرسي مخططًا له لسنوات، على الرغم من أنها لم تكن تتوقع أنه سيصطحب

إيفلين معه. بيرسي الذي كان مهمًا جدًا بالنسبة للمدينة منذ أن عاد من الحرب، كان قد خدم في مسرح عمليات المحيط الهادئ[35]، خلف خطوط العدو التي تحافظ على سلسلة الإمداد.

عاد كشيطان، ليس بسبب ما حدث في الحرب إنّما بسبب ما رآه عند عودته. لقد أحبَّ الجيش، حتى أنّه تلقى الثناء بسبب رسالة كتبها إلى قبطانه حول عدم المساواة في معاملة الجنود السود. ربّما كانت حياته ستتجه إلى مكان آخر إذا كانت الحكومة الأمريكية قد فتحت البلاد أمام تقدم السود مثلما سمحت لهم بالتقدم للجيش. فأن تسمح لشخص يقاتل من أجلك شيء، وأن تسمح له بالعيش كجارٍ لك شيء آخر. أصلح قانون تعديل العسكريين[36] أوضاع الجنود البيض الذين خدم معهم، لكن الزيَّ كان يعني أشياء مختلفة اعتمادًا على من يرتديه. ما هو الهدف من قرض بلا فائدة عندما لا يسمح لك بنك البيض بالدخول؟ قاد بيرسي سيارته إلى ميلدجفيل لزيارة صديقه لقطع وحدته. قام بعض الكراكرز بشيء ما، فقد توقّف من أجل الوقود في إحدى تلك البلدات الصغيرة، ويطلقون عليها بلدة "كَسَّار رأسك". بالكاد خرج، كان الجميع يعلم أن الصّبية البيض يقتلون الرجال السود أصحاب الزيِّ العسكري، لكنه لم يصدق أبدًا أنه سيكون هدفًا، ليس هو! لم يكن يصدّق أنّ مجموعة من الصّبية البيض يشعرون بالغيرة من عدم حصولهم على زيٍّ أيضًا، ويخافون من عالم يسمح للسود بارتداء واحدًا.

تزوّجته إيفلين، كانت دائمًا تريد ذلك منذ صغرهما. ومجيء الوود لم يلغِ سلوك بيرسي الهمجي؛ إدمانه لويسكي الذرة وقضائه الليالي في حانات الطريق، العنصر الخبيث الذي أحضره إلى منزلهم في شارع بريفارد.

لم تكن إيفلين قوية جدًا من قبل، وعندما يكون بيرسي في الجوار، كانت تتقلص إلى مجرّد زائدة جلديّة في ذراعه أو ساقه. مجرّد فم، حيث جعل إيفلين تخبر هارييت أنهما سيغادران إلى كاليفورنيا ليجرّبا حظهما.

"أي نوع من الناس يغادرون إلى كاليفورنيا في منتصف اللّيل؟"، سألت هارييت.

قال بيرسي: "عليّ مقابلة شخص ما بخصوص فرصة عمل".

اعتقدت هارييت أنه يجب عليهم إيقاظ الصبي. قالت إيفلين: "دعيه ينام"، وكان هذا آخر ما سمعته منهما. إذا كانت ابنتها تستحق الأمومة، فهي لم تثبت ذلك أبدًا. النظرة التي كانت على وجهها عندما رضع إلوود الصغير من صدرها، عيناها التعيستان الفارغتان اللتان تنظران من خلال جدران المنزل إلى اللاشيء على الإطلاق، جعلت هارييت ترتعش حتى العظم كلما تذكرت ذلك.

كان اليوم الذي جاء فيه ضابط المحكمة من أجل إلوود أسوأ وداع بالنسبة لكليهما لفترة طويلة. وقالت إنها والسيد ماركوني سيتأكدان من استمرار المحامي في متابعة قضيته. كان السيد أندروز من أتلانتا، وكان من نوعية الأبطال البيض الذين يذهبون شمالاً للحصول على شهادة في القانون ثم يعودون لتغييره. هارييت لم تسمح له أبدًا بالذهاب دون أن يتناول بعض الغداء في منزلها، لقد كان مسرفًا في مدح فطيرتها وتفاؤله بشأن آفاق إلوود.

قالت لحفيدها إنهم سيجدون طريقة للخروج من فوضى الأشواك هذه، ووعدت بزيارته أول يوم أحد له في نيكل. لكن عندما جاءت، أخبروها أنه مريض ولا يمكنه استقبال الزوار.

سألت ما خطبه، قال موظف نيكل: " بحق الجحيم كيف لي أن

أعرف ذلك يا سيدتي؟"

كان هناك بنطلون جينز جديد على الكرسي بجوار سرير مستشفى إلوود. كان الضرب قد غرس أثاره الأولى في جلده واستغرق الأمر ساعتين حتى يزيل الطبيب التليُّفات، كان من واجبه المحاولة من وقت لآخر. الملاقط أدّت بالمطلوب، وسيظل الصبي في المستشفى حتى يمشي دون ألم.

كان للدكتور كوك مكتب بجوار غرف الفحص، حيث كان يدخن السجائر ويتشاجر مع زوجته عبر التليفون طوال اليوم، يتشاحن حول المال أو أقاربها الذين لا فائدة منهم. تغلغل دخان السجائر الكريه إلى الجناح، وغطى على رائحة العرق والقيء والجلد النتن، ثم تبدد مع الفجر، قبل أن يأتي ويتسلل للمكان مرة أخرى. كان هناك صندوق مليء بالزجاجات وعلب الأدوية التي فتحها بخطورة كبيرة، إلا أنه لم يصل إلى علبة الأسبرين الكبيرة.

أمضى إلوود إقامته على بطنه لأسباب واضحة، قضى أيامه في المستشفى يسير على تناغمها. كانت المرضة ويلما تتجشأ حوله في معظم الأيام بفظاظة، وتقوم بإغلاق الأدراج والخزائن. صففت شعرها الأحمر بتسريحة مرفوعة ومنفوخة وأسدلت على جانبي وجهها خصلات حلزونية، ولونت خديّها بالروج حتى أنها ذكَّرت إلوود بدمية مسكونة تأتي إلى الحياة البشعة، شيء من المجلّة المصوّرة الرعب. سرداب الرعب أو قبو الرعب[37]، وكأنّه يقرأ على ضوء النافذة في عِلّية ابن عم له. لاحظ أن مجلّات الرعب المصوَّرة تقدّم نوعين من العقاب في قصصها، إمّا عقاب دون استحقاق تام، أو عدالة مشؤومة للأشرار، اعتبر محنته الحالية أنها من الفئة الأخيرة وانتظر أن يقلب الصفحة.

كانت الممرضة ويلما تقريبًا أمًّا ثانية حنون مع الصّبية البيض، الذين جاؤوا مع جروحهم وأمراضهم. لكنَّها لا شيء على الإطلاق بالنسبة للصبية السود. فمثلًا نونية سرير[38] إلوود، كانت مذلة للغاية، حيث تعاملت معه ويلما كأنه يتبول فوق راحتيها المفتوحتين. أكثر من مرة في أحلامه المؤجّجة، يكون وجهها هو وجه النادلة خلف الكاونتر التي رفضت خدمته، ربة المنزل ذات الفم المرقط المليء باللعاب وتشتم مثل البحارة. لقد كان يحلم بالوقت الذي كان فيه لا يزال حرًا وبالنزهة التي أبقت معنوياته مرتفعة كل صباح ثم يستيقظ ليجد نفسه بالمستشفى. ما زال عقله قادرًا على السفر.

في ذلك اليوم الأول، لم يكن هناك سوى صبي آخر في المستشفى، سريره مخفي خلف ستارة قابلة للطي في أقصى نهاية الجناح. عندما تعتني به الممرضة ويلما أو دكتور كوك، يغلقاها خلفهما، وأخذ مجرى الستارة يصر على جانب البلاط الأبيض. لم يتحدث المريض أبدًا عندما خاطبه ممرضي المستشفى، لكنّ أصواتهم كانت تتَّسم بالبهجة التي كانت غائبة عندما يتحدثوا إلى الصّبية الآخرين: كان الصبي حالة ميؤوس منها أو قد يكون أرستقراطيًّا. لم يعرف أي من الطلاب الذين كانوا في الجناح من هو أو ما الذي رماه هناك.

يأتي الصبية يدخلون ويخرجون. بدأ إلوود بالتعرف على بعض الصّبية البيض الذي لم يكن ليقابلهم بطريقة أخرى. من هم تحت رعاية الولاية، الأيتام، الهاربون الذين هربوا من الأمهات اللائي يرفِّهن عن الرجال مقابل المال، أو الهاربون من الآباء السكارى الذين يقتحموا غرفهم في منتصف الليل. كان لبعضهم شخصيات قاسية، لقد سرقوا المال، وشتموا معلميهم، وألحقوا أضرارًا بالممتلكات العامة، وكانت لديهم قصصٌ عن معارك دامية

في قاعات البلياردو، وعن الأعمام الذين باعوا الخمور. تم إرسالهم إلى نيكل بسبب جرائم لم يسمع بها إلوود من قبل: التمارض، الكآبة، عدم القابلية للإصلاح. الكلمات التي لم يفهمها الصبية أيضًا، لكن ما هو الهدف عندما كان معناها واضحًا بدرجة كافية: نيكل. تم ضبطي لأنني أنام في مرآب لأبقى دافئًا، سرقت خمسة دولارات من أستاذي، شربت زجاجة من دواء السعال وسكرت ليلة واحدة. كنت أمارس العادة السرية مع نفسي.

يكرّر الدكتور كوك عبارته كلّما غيّر الضمادات لإلوود: "رائع، لقد عالجوك جيدًا". لم يرغب إلوود في النظر لكن كان عليه ذلك. لقد ألقى نظرة على فخذيه الخلفيين من الداخل، حيث الجلد المكشوط عن الجروح داخل مؤخرته ممتدة مثل أصابع بشعة. أعطاه الدكتور كوك الأسبرين وعاد إلى مكتبه. بعد خمس دقائق، كان يتجادل مع زوجته حول ابن عم كسول يحتاج إلى قرض من أجل مشروع.

أيقظَ شخير رجل في منتصف الليل إلوود، وظلَّ مستيقظًا لساعات، جلده يحترق ويتلوّى تحت الضمادات.

بعد أسبوع من إقامته في المستشفى، فتح عينيه فوجد تيرنر مستلقٍ في السرير المقابل. يصفِّر لحن مسلسل آندي جريفيث[39]، البهيج والراقص. كان يصفر الألحان جيدًا، وطوال صداقتهما كان أداؤه يتقدّم، قابضًا على أجواء المغامرة، أو مطلقًا التعليقات ساخرة.

انتظر تيرنر حتى خرجت الممرضة ويلما لتدخين سيجارة وشرح له سبب إقامته في المستشفى. قال: "فكَّرت في إجازة". أكل بعض مسحوق الصابون ليمرض نفسه، ساعة واحدة من آلام المعدة ليوم إجازة كامل.

أو ربما يومين، كان يعرف كيف يقوم بدوره. قال: "لديّ المزيد من بودرة الصابون المخبّأة في جوربي أيضًا". سرحَ إلوود بعيدًا نحو سرب من الطيور.

"كيف تحب ذلك الطبيب القبيح؟" سأله تيرنر بعد حين. كان الدكتور كوك قد قاس للتّو درجة حرارة صبي أبيض بنهاية الصف يتنفس بصعوبة ويئن مثل بقرة. رنَّ جرس الهاتف، وأسقط الطبيب قرصي الأسبرين في كف الطفل الأبيض وسار إلى مكتبه.

استدار تيرنر ناحية إلوود، كان كرسيه المتحرك القديم يصدر صوت أزيزٍ في الجناح. قال: "حتى وإن جئت إلى هنا برأس مقطوعة لن تحصل إلا على الأسبرين".

لم يشأ إلوود أن يضحك، كما لو كان يخون ألمه، لكنه لم يستطع إمساك نفسه. تورمت خصيتاه حيثما انزلقت ضربة الحزام بين ساقيه، فحبس ضحكته شيئًا ما داخله، وجعلهما تتألمان مرة أخرى.

قال تيرنر: "يأتي الزنجي إلى هنا، مقطوع الرأس والساقين والذراعين، وهذا الطبيب القبيح اللعين سيقول، هل تريد قرصًا واحدًا أم اثنين؟"، لاطف عجلات الكرسي المتحرك المتخشبة وتنهد عميقًا.

لم يكن هناك شيء للقراءة سوى مجلة "ذا جاتور"[40]، وصحيفة المدرسة، وكتيب احتفال بالذكرى الخمسين لها، وجميعهم طبعهم طلاب نيكل في الجانب الآخر من المدرسة. كان كل صبي في كل صورة يبتسم، لكن رغم إقامة إلوود القصيرة، إلا أنّه تعرف على قتامة نيكل في عيونهم. كان يشكُّ في أنه قد لامسها أيضًا، أما الآن فقد اختبرها بالكامل. استدار ببطء على جنبه، مستندًا على مرفقه، وتصفح الكتيّب عدة مرات.

افتتحت الولاية المدرسة عام 1899 باسم مدرسة فلوريدا الصناعية

للبنين، "مدرسة إصلاحية حيث يتلقى الشاب المخالف للقانون، المنفصل عن رفاق السوء، تدريبات جسدية وفكرية وأخلاقية، ويتم إعادة توجيهه ودمجه في المجتمع مع هدف وشخصية يتناسبان مع المواطن الصالح، ويصبح الرجل الشريف والصادق، يملك حرفة أو مهنة تتطلب مهارة تلائم هذا الكيان للخدمة الذاتية". كان يُطلق على الصبية اسم الطلاب وليس السجناء، لتمييزهم عن المجرمين العنيفين الذين سكنوا السجون. قال إلوود في نفسه أن جميع مرتكبي أعمال العنف كانوا ضمن العاملين بالمدرسة.

عندما افتُتحت المدرسة، استقبلت أطفالًا لا تتجاوز أعمارهم خمس سنوات، وهي حقيقة غمرت إلوود في الأسى عندما حاول النوم: كل هؤلاء الأطفال العاجزين. أول ألف فدان منحتها الولاية، وعلى مر السنين، تبرع السكان المحليون بسخاء بأربعمئة أخرين، وجنت نيكل فوائدها. كان إنشاء المطبعة نجاحًا حقيقيًا بكل المقاييس. "في عام 1926 فقط، حقق النشر ربحًا قدره 250000 دولارًا أمريكيًا، بالإضافة إلى تعريف الطلاب على تجارة مفيدة يمكنهم من خلالها العمل بها بعد التخرج". أنتجت آلة صنع الطوب عشرين ألف طوبة في اليوم؛ لقد أدى إصدارها إلى بناء المباني في جميع أنحاء مقاطعة جاكسون، كبيرها وصغيرها. ضوء عيد الميلاد السنوي للمدرسة، الذي صممه ونفذه الطلاب، جذب الزائرين عبر الأميال حولها. وفي كل عام كانت الصحيفة ترسل مراسلًا لتغطية كل هذا.

في عام 1949، وهو عام نشر الكتيب، تمت إعادة تسمية المدرسة تكريمًا لتريفور نيكل، المصلح الذي تولى المنصب قبل ذلك ببضع سنوات. اعتاد الصّبية على قول ذلك لأن حياتهم لم تكن تساوي خمسة سنتات،

لكن الأمر لم يكن كذلك. من حين لآخر تمر بصورة تريفور نيكل في الردهة لتجده عابسًا كما لو يعرف ما يجول في رأسك. لا، لم يكن الأمر كذلك: كما لو كان يعلم أنك تعرف ما كان يفكر فيه.

في المرة التالية التي جاء فيها أحد الصبية المصابين بعدوى فطرية من كليفلاند، طلب إلوود من الصبي إحضار بعض الكتب ليقرأها، وقد فعل ذلك. كومة من كتب العلوم الطبيعية في حالة يرثى لها التي بالمصادفة كانت عن القوى القديمة: الاصطدامات التكتونية، والسلاسل الجبلية التي رُفعت إلى السماء، والقنبلة البركانية. كل العنف الذي يفور بالأسفل ويصنع العالم بالأعلى. كانت كتبًا كبيرة بصور غزيرة، حمراء وبرتقالية، على النقيض من اللون الأبيض القاتم والمائل إلى الرمادي في الجناح.

في اليوم الثاني لتيرنر في المستشفى، أمسك به إلوود وهو يسحب قطعة من الكرتون المطوي من جوربه. ابتلع تيرنر البودرة وبعد ساعة بدأ يصرخ، خرج الدكتور كوك وتقيأ تيرنر على حذائه.

قال الدكتور كوك: "أخبرتك ألا تأكل الطعام، سوف يؤذيك ما يقدمونه هنا!". أجابه تيرنر: "ماذا عليّ أن آكل إذن، سيد كوك؟".. رمش الطبيب بعينه.

عندما انتهى تيرنر من مسح القيء، قال إلوود: "ألا يؤذي ذلك معدتك؟"

قال تيرنر: "بالتأكيد يا رجل، لكنني لا أشعر بالرغبة في الذهاب إلى العمل اليوم. هذه الأسرّة مُقعَّرة للغاية، لكن يمكنك الحصول على قسط من الراحة، ومع الوقت تكتشف كيفية الاستلقاء عليها".

تنهد الصبي السري خلف الستارة المطوية تنهيدة عميقة فارتعبَ

إلوود وتيرنر. لم يصدر أي ضوضاء التزامًا بقواعد المكان، لذا أُغفلَ وجوده.
"هاي!" قال إلوود. "أنت هناك!". لكن تيرنر قاطعه: "ششش!".

لم يكن هناك صوت، ولا حتى صوت تقلُّب البطانية.

قال إلوود: "اذهب والق نظرة"، شيء ما هدأ، شعر بتحسن اليوم. "انظر من هو، اسأله ماذا أصابه".

نظر إليه تيرنر وكأنه مجنون، "لن أقوم بهذا الفعل الأحمق!"

"خائف؟" علّق إلوود، مقلدًا نبرة أولاد شارعه، وهم يسخرون بعضهم من بعض.

قال تيرنر: "اللعنة، أنت لا تدري، تذهب إلى هناك لإلقاء نظرة سريعة، فتصبح مكانه، كما في قصة الأشباح".

بقيت الممرضة ويلما، حتى ساعة متأخرة من تلك الليلة، تقرأ للصبي خلف الستارة ترنيمةً من الإنجيل بطريقة توحي وكأن تسابيح الرّب لم تفارق فمها ساعة.

الأسرّة كانت مشغولة ثم لم تعد كذلك، مجموعة سيئة من المدللين المعزولين ملأوا الجناح. أصبح لا يوجد هناك ما يكفي منها للاستلقاء، لذلك كانوا ينامون متقاربين للغاية يسمعون أصوات الغازات والغرغرة. تقاربت الأسرّة، اليرقات والمستكشفين والرُوّاد المجتهدون، جرحى، مصابون بعدوى، متمارضون، مبتلون. لدغة عنكبوت، كاحل مكسور، فاقدو عقلة إصبع بسبب آلة. زيارة للبيت الأبيض، أصبح معروفًا أنه نزل فيه، لم يعد الصبية الآخرون يقصونه بعيدًا. صار واحدًا منهم الآن.

سئم إلوود من النظر إلى سرواله الجديد بينما هو هناك جالسًا على الكرسي، فطواه ووضعه تحت فراشه.

يصدح الراديو الكبير فوق مكتب الدكتور كوك طوال اليوم، متضاربًا مع ضجيج ورشة المعادن المجاور، المناشير الكهربائية، والفولاذ ينخر الفولاذ. تصور الدكتور أن الراديو سيكون علاجًا، بينما لم ترَ الممرضة ويلما أي سبب لتدليل الصبية. نادي إفطار دون ماكنيل[41]، المبشرون والحلقات الإذاعية، المسلسلات التي استمعت إليها جدة إلوود، مشاكل البيض في البرامج الإذاعية كانت بعيدة، كأنها تنتمي إلى بلد آخر. الآن كانوا في طريق عودتهم إلى فرينشتاون.

لم يستمع إلوود إلى مسلسل أموس وآندي[42] منذ سنوات، اعتادت جدته غلق الراديو عندما يحين موعده، حيث تدور محاوره عن سوء التصرف والمصائب المهينة. "البيض يحبون هذه الأشياء، ويجب علينا الكفّ عن الاستماع إليها". كانت سعيدة عندما قرأت في مجلة "ديفندر" أنه تم حظره من الإذاعة. بثت المحطة الإذاعية المجاورة لنيكل حلقات قديمة، إنها إذاعات ملعونة. لم يلمس أحد زر محطات الراديو عند إذاعة المسلسلات القديمة، وضحك الجميع على طرائف أموس وكينجفيش، الصبية السود والبيض على حد سواء، "يا للعجب[43]!"

عرضت إحدى المحطات الإذاعية أحيانًا أغنية مسلسل آندي غريفيث، وأطلق تيرنر صافرته بمصاحبته.

قال إلوود: "ألست قلقًا من أنهم سيعرفون بتمارضك وأنت تصفر بسعادة هكذا؟".

قال تيرنر: "أنا لا أدّعي الأمر، مسحوق الصابون فظيع. لكن أنا من أختار، وليس أي شخص آخر".

كانت تلك طريقة غبية للنظر إلى الأمر، لكن إلوود لم يقل أي شيء.

كان اللحن الموسيقي عالقًا في رأسه الآن، وفكر إلوود أن يرتله أو يصفّره لكنه لم يرد أن يبدو كمقلد. كانت الأغنية صغيرة وهادئة من أمريكا المقتطعة من البقية، لا خراطيم حريق ولا حاجة للحرس الوطني. خطر ببال إلوود أنه لم يرَ شخصًا أسود في بلدة مايبيري الصغيرة، حيث تجري أحداث المسلسل.

أعلن رجل على الراديو أن سوني ليستون[44] سيقاتل ملاكمًا صاعدًا اسمه كاسيوس كلاي[45]. "من هذا؟" قال إلوود.

ردّ تيرنر: "زنجي ما على وشك أن يسقط أرضًا".

بعد ظهيرة أحد الأيام، كان إلوود في غفوته عندما أصابته جلبةٌ ما بالشلل، صوت المفاتيح انطلق مثل أجراس رياح موسيقية. كان سبنسر في الجناح لرؤية الطبيب، انتظر إلوود صوت الحزام الجلدي وهو يخدش السقف قبل أن ينزل. . . ثم ذهب المشرف وعاد صوت الراديو إلى الغرفة مرة أخرى، تعرّق حتى وصل العرق لملاءاته.

"هل يقومون بذلك على هذا النحو مع الجميع؟" سأل إلوود تيرنر بعد الغداء، حيث وزّعت المرضة ويلما شطائر لحم مُقدّدٍ وعصير العنب على الأطفال البيض أولًا.

كان سؤاله غير متوقع، لكن تيرنر عرف ما كان يشير إليه إلوود. تحرّك بكرسيه المتحرك، والطعام في حجره. قال: "ليس مثلما حدث معك، ليس بهذا السوء، أنا لم أنزل أبدًا، لقد صُفعت على وجهي بسبب التدخين مرةَ واحدة". قال إلوود: "لدي محام، يمكنه فعل شيء ما". قال تيرنر: "لقد حالفك الحظُّ بالفعل".

"كيف ذلك؟"

أنهى تيرنر عصيره في جرعة كبيرة، "أحيانًا يأخذونك إلى البيت الأبيض ولا نرى مؤخرتك مرة أخرى".

كان الجو هادئًا في الجناح باستثنائهما، وضجيج المناشير آتٍ من الورشة المجاورة، كالتأوه، يئن. لم يُرد إلوود أن يعرف ماذا يحدث لهؤلاء الذين لا يعودون لكنّه سأل على أي حال.

قال تيرنر: "تسأل عائلتك المدرسة عمّا حدث ويقولون أنَّك هربت". ثم تأكد من أن الصّبية البيض لا ينظرون تجاههما. قال: "المشكلة يا إلوود في جهلك عن كيفية سير الأمور، فشعرت بأهمية أن تتولى أمر كوري وهاذين الهرّين، تريد القيام ببعض هفواتِ الحارس الوحيد[46] الذي ركض وأنقذ زنجيًا، لكنهم تخلوا عنه منذ وقت طويل. انظر، هؤلاء الثلاثة يفعلون ذلك طوال الوقت، كوري يحب ذلك. يلعبون بعنف، ثم يأخذونه إلى كشك أو أي شيء ثم يركع على ركبتيه، وهكذا يفعلون".

قال إلوود: "رأيت وجهه، كان خائفاً".

قال تيرنر: "أنت لا تعرف ما الذي يجعله يفعل ذلك. لا تعرف ما الذي يجعل أي شخص يتصرف هكذا. اعتدت سابقًا التفكير أن ما يوجد بالخارج فهو بعيد.. ومن ثم بمجرد أن تكون هنا، فأنت هنا. هكذا كان كل شخص في نيكل مختلفًا بسبب ما يفعله المكان بهم. سبنسر وكذلك الباقين، ربما هناك في عالم الحرية، يصبحون أشخاصًا طيبين، يبتسمون ويلاطفون أطفالهم". شد فمه للداخل، كما لو كان يمتص سنًا فاسدة. "لكن الآن بعد أن خرجت وعدت، أصبحت أعلم أنه لا يوجد شيء هنا من شأنه أن يغيرّ الناس، إنهم نفس الشخوص سواء هنا أو هناك، لكن هنا لن يضطر أحد للتصرف بشكل مزيف".

كان حديثه يدور في دوائر، كل شيء يشير إلى نفسه. قال إلوود: "لكن هذا مخالف للقانون". ليس فقط قانون الولاية، لكن أيضًا قانون إلوود. إذا نظر الجميع في الاتجاه الآخر، فعندئذ يكون الجميع متورط. وإذا نظر هو في الاتجاه الآخر، فسيكون متورطًا مثل البقية. هكذا يرى الأمر، كما كان يرى الأشياء دائمًا.

لم يقل تيرنر أي شيء.

قال إلوود: "لكن لا ينبغي للأمر أن يكون هكذا".

"لا أحد يهتم بالأمور المفترضة. إذا تحدّيت بلاك مايك ولوني، فأنت تتحدى كل من يسمح بحدوث ذلك أيضًا. أنت تخون الجميع".

"هذا ما أقوله لك". أخبر إلوود تيرنر عن جدته والمحامي السيد أندروز. يمكنهما أن يبلغا عن سبنسر وإيرل وأي شخص آخر وعن أفعالهم الحقيرة. كان معلمه السيد هيل ناشطًا. لقد سار في كل الاحتجاجات، لم يعد إلى مدرسة لينكولن الثانوية بعد الصيف لأنه عاد للتنظيم. كتب له إلوود عن اعتقاله لكنه لم يكن متأكدًا مما إذا كان قد تلقى الرسالة. كان السيد هيل يعرف أشخاصًا سيودون التعرف على مكان مثل نيكل، بمجرد الإمساك به. قال إلوود: "الأمر ليس مثل الأيام الماضية، الآن يمكننا الدفاع عن أنفسنا".

"هذا الهراء بالكاد ينجح هناك في عالم الحريّة، ما الذي تعتقد أنه قد يفعله هنا؟"

"أنت تقول ذلك لأنه لا يوجد شخص آخر قد يفعل شيء من أجلك".

قال تيرنر: "هذا صحيح. هذا لا يعني أنني لا أستطيع رؤية كيف تسير الأمور. ربما أرى الأشياء بشكل أكثر وضوحًا بسبب ذلك". لقد

ارتسم تعبير فوق وجهه كما لو أن مسحوق الصابون أعطاه ركلة. "مفتاح الدخول هنا هو نفسه مفتاح البقاء على قيد الحياة هناك، عليك أن ترى كيف يتصرف الناس، وبعد ذلك عليك معرفة كيفية الالتفاف حولهم مثل العوائق. إذا كنت تريد الخروج من هنا".

"كمتخرج وليس كهارب".

صحح تيرنر: "تخرجُ من هنا، هل تعتقد أنه يمكنك فعل ذلك؟ راقب وفكر! لن يُخرجك أي شخص آخر من هنا، أنت وحدك وفقط".

أعطى الدكتور كوك حذاءً لتيرنر في صباح اليوم التالي مع قرصي أسبرين وكرر وصفته الطبيّة بأن لا يأكل الطعام. كان إلوود فقط في الجناح حينها، الستار الذي كان حول الصبي المجهول، كان مركونًا في الزاوية ملفوفًا حول نفسه، والسرير كان فارغًا، لقد اختفى في وقت ما من الليل دون أن يوقظ أحد.

كان إلوود ينوي اتباع نصيحة تيرنر، وكان يقصد ذلك، لكن كان ذلك قبل أن يرى ساقيه، غلبه ذلك لفترة.

أمضى خمسة أيام أخرى في المستشفى، ثم عاد مع صبية نيكل الآخرين. عاد للمدرسة وللعمل، لقد كان واحداً منهم الآن من نواحٍ عديدة، بما في ذلك اعتناقه الصمت. عندما جاءت جدته للزيارة، لم يستطع إخبارها بما رآه عندما أزال الدكتور كوك الضمادات وسار على البلاط البارد إلى الحمام. ألقى إلوود نظرة على نفسه في ذلك الوقت وعرف أن قلبها لن يكون قادرًا على تحمل ذلك، بالإضافة إلى عاره في السماح بحدوث ذلك. كان بعيدًا عنها مثل باقي أفراد عائلتها الذين اختفوا وكان في الوقت نفسه يجلس أمامها مباشرة. في يوم الزيارة، أخبرها أنه بخير، إلا

أنه حزين، كان الأمر صعبًا لكنه كان عالقًا هناك، حيث كان جُلّ ما يريد قوله هو، انظري إلى ما فعلوه بي، انظري إلى ما فعلوه بي.

الفصل الثامن

عندما خرج إلوود عاد لينضم إلى فريق الفناء. جايمي المكسيكي تم سحبه إلى الجانب الأبيض مرة أخرى، لذلك أصبح صبي آخر هو المسؤول. أكثر من مرة وجد إلوود نفسه يؤرجح المنجل بعنف شديد، كما لو كان يهاجم العشب بحزام جلدي، سيتوقف ويطلب من مشاعره أن تهدأ. بعد عشرة أيام، عاد جايمي مع الصبية السود - اقتلعه سبنسر من جذوره - لكنه لم يمانع. "هذه هي حياتي، ككرة تنس الطاولة".

لن يتقدم إلوود في تعليمه، وكان عليه أن يقبل ذلك. في خارج الفصل ارتطم بذراع المدرس جودال الذي لم يتعرف عليه. كرر جودال وعده بالعثور على عمل أكثر تحديًا، إلا أن إلوود على علم بخبثه الآن، ولن يكرر طلبه مرة أخرى. في وقت متأخر من عصر أحد أيام نوفمبر، أرسلوا إلوود مع فريق لتنظيف الطابق السفلي من مبنى المدرسة، ووجد مجموعة من قوائم طعام مطعم شيبويك البريطاني التاريخي أسفل بعض الصناديق التي تحتوي على تقاويم لعام 1954. ترولوب[47] وديكنز وأشخاص لديهم أسماء من هذا القبيل. تصفح إلوود الكتب واحدًا تلو الآخر خلال ساعات الدراسة بينما كان الصّبية من حوله يتلعثمون ويتعثرون، كان ينوي دراسة الأدب البريطاني في الكلية. الآن عليه أن يعلّم نفسه، لا بدّ من فعل ذلك.

كانت عقوبة تصرفك بشكل أعلى من مستواك قاعدة أساسيًا في تأويل

هاريبت للعالم. في المستشفى، تساءل إلوود عما إذا كانت شراسة عقابه بسبب طلبه دروسًا عِلميّة أوسع: فلنرِ ذلك الزنجي المغرور. الآن يعمل على نظرية جديدة: لم يكن هناك نظام عالي يوجِّه وحشية نيكل، مجرَّد حقد عشوائي، لا علاقة له بالناس. لقد صدمه درس من مادة العلوم المخصصة للصف العاشر: آلة الشقاء الأبدي[48]، آلة تعمل بنفسها من دون قوة بشرية. أيضًا، أرخميدس، أحد اكتشافاته الأولى في موسوعته. العنف هو الرافعة الوحيدة الكبيرة بما يكفي لتحريك العالم.

لقد بحث لكنه لم يحصل على صورة واضحة عن كيفية التخرج مبكرًا. ديزموند، عالم المزايا والعيوب والنقيصة والشرف، لم يساعده في شيء. "تحصل فورًا على مزايا السلوك كل أسبوع إذا فعلت ما يفترض أن تفعله. لكن لو صنفك الموظفون مع شخص آخر، أو تعمّدوا إيذائك، لن تحصل على شيء. بالنسبة إلى العيوب، فأنت لن تعرفها أبدًا". يختلف مقياس العيوب من مسكن إلى آخر. التدخين، والقتال، وإدامة حالة الفوضى، تعتمد العقوبة على المكان الذي أرسلوك إليه وعلى أهواء المشرفين. يكلف التجديف مئة من العيوب في كليفلاند - كان بلاكيلي من النوع الذي يخشى الرّب - لكن خمسين عيبًا فقط في روزفلت. كانت ممارسة العادة السرية بالتأكيد تبلغ مئتي عيب في لينكولن، لكن إذا تم القبض عليك أثناء مساعدة شخص آخر على الاستمناء، فستكون النتيجة مئة فقط.

"مئة فقط؟"

"لينكولن هذه مناسبة تمامًا لك"، قال ديزموند، كما لو كان يفسر شيئًا من ثقافة أخرى، عفاريت الجن ودوكات[49].

لاحظ إلوود أن بلاكيلي أحب الخمر. فالرجل يبقى نصف نعسان حتى الظهر. هل هذا يعني أنه لا يستطيع الاعتماد على حسابات الموظفين؟ سأل إلوود، بفرض أنه بقي بعيدًا عن المشاكل، فعل كل شيء بشكل صحيح، ما مدى السرعة التي يمكن أن يصعد بها من أدنى مستوى بين اليرقات إلى أعلى مستوى بين الرائعين، "إذا سارت الأمور على ما يرام؟"

قال له ديزموند: "لقد فات أوان سير الأمور على ما يرام ما دمت قد نزلت بالفعل".

المشكلة أنك حتى لو تجنبت المتاعب، فقد تمتد المشكلة وتصل إليك على أي حال. قد يشمّ طالب آخر نقطة ضعف ويبدأ شيئًا ما، أحد الموظفين يكره ابتسامتك ويمنعك من الابتسام. قد تتعثر في كومة خشنة من الحظ السيئ من النوع الذي أوصلك إلى هنا في المقام الأول. قرّر إلوود: بحلول يونيو، سيصعد سلم الميّزات للخروج من هذه الهوة، أي أقل من أربعة أشهر مما أعطاه ذلك القاضي. كان الأمر مريحًا، فقد اعتاد على قياس الوقت وفقًا لتقويم المدرسة، لذا فقد جعل التخرج في شهر يونيو من فصله الدراسي في نيكل عامًا ضائعًا. في هذا الوقت من الخريف القادم، سيعود إلى مدرسة لينكولن الثانوية في سنته الأخيرة، وبتوصية من السيد هيل، سيلتحق بميلڤين غريجز مرة أخرى. لقد أنفقوا أموال الكلية على المحامي، لكن إذا عمل إلوود وقتًا إضافيًا في الصيف المقبل، فسوف يفعلها مجددًا.

كان لديه ميعاد، والآن هو بحاجة إلى خطة للعمل. لقد شعر بالعطن في تلك الأيام الأولى من مغادرته المستشفى حتى توصل إلى مخطط يجمع بين نصيحة تيرنر وما تعلمه من أبطاله في الحركة؛ شاهد وفكِّر وخطِّط. دع العالم يعمل في غوغائية، سوف يمرُّ إلوود من خلاله. قد يشتمونه ويبصقون

عليه ويضربونه، لكنه سينتقل إلى الجانب الآخر. ملطخًا بالدماء ومتعبًا، لكنّه ناجح في اجتيازه.

لقد ترقّب، لكن لم يأتِ أي مردود من لوني وبلاك مايك. باستثناء حادثة واحدة عندما دفعه غريف بفخذه، فسقط إلوود على الدرج، بعدها تجاهلوه تمامًا. أما كوري، الصبي الذي تقدّم للدفاع عنه، فقد غمز له مرّة واحدة. لقد استعد الجميع لحادثة نيكل التالية، التي كانت خارجة عن سيطرتهم.

يوم الأربعاء بعد الإفطار، أمر كارتر، إلوود بالذهاب إلى المستودع للحصول على تفاصيل جديدة. كان تيرنر هناك، مع شاب أبيض من النوع الهزيل، أحدب وشعره أشقر طويل مشحم وملابسه رثّة. رآه إلوود في الجوار، وهو يدخّن في ظلال العديد من المباني. كان اسمه هاربر، ووفقًا لسجلات الموظفين كان يعمل في الخدمة المجتمعية. ألقى هاربر نظرة على إلوود وقال: "حسنًا، يصلح". أغلق المشرف الباب الكبير على المستودع، وأغلقه بالمسامير، ثم صعد ثلاثتهم إلى المقعد الأمامي لسيارة رمادية اللون. على عكس المركبات المدرسية الأخرى، لم يكن اسم نيكل مكتوبًا عليها.

جلس إلوود في المنتصف، قال تيرنر: "ها نحن ذا". ثم مال خارج النافذة: "سألني هاربر عمن قد يحل محل سميتي، ورشحتك، أخبرته أنك لست واحدًا آخر من هؤلاء الدمى الذين حضروا هنا".

كان سميتي صبيًا أكبر سنًا من سكن روزفلت المجاور. لقد وصل إلى مَستوى الرائعين وتخرج في الأسبوع السابق. على الرغم من اعتقاد إلوود أنّ التخرج كانت كلمة غبيّة. لم يكن الصبيّ يستطيع القراءة البتة، بديهي جدًا.

قال هاربر: "قيل لي أنك تكتم السّر وهذا المطلوب". ثم قطعوا الطريق.

منذ المستشفى، ترافق إلوود وتيرنر في معظم الأيام، وقضيا وقت الظهيرة في غرفة المعيشة في كليفلاند يلعبان لعبة الداما، وتنس الطاولة مع ديزموند وبعض الصّبية الآخرين ذوي المزاج المعتدل. عادة ما يتلكع تيرنر في الغرفة كما لو كان يبحث عن شيء ما، ثم يبدأ في الهراء وينسى لماذا ذهب هناك. لقد كان أفضل في الشطرنج من إلوود، ويلقي نكاتًا أفضل من ديزموند، وعلى عكس جايمي، كان يعمل وفقًا لجدول زمني أكثر اتساقًا. عرف إلوود أن تيرنر قد تم تعيينه في الخدمة المجتمعية، لكنه أصبح حذرًا عندما ضغط إلوود أكثر: "الأشياء تحدث ونتأكد من أنها ستنتهي حيثما من المفترض أن تنتهي في النهاية".

قال جايمي: "ماذا يعني ذلك الهـ.. الهـ.. الهراء؟". لم يكن الصبي شتّامًا بطبيعته، وقد أدت التأتأة العرضية إلى تقليل تأثير الشتيمة، لكن بسبب الرذائل المتاحة في نيكل، فقد تبنى لغة بذيئة كأحد الخيارات الأليفة.

قال إلوود: "إنها تعني الخدمة المجتمعية".

المعنى المباشر للخدمة المجتمعية؛ هو السماح لإلوود بالتظاهر بأنه لم يسبق له ركوب سيارات للتنقل والذهاب إلى الكليّة، وبجانب ذلك كان يقضي بضع ساعات خارج نيكل، أول رحلة له في عالم الحرّية منذ وصوله. كانت كلمة عالم الحرّية دارجة في السجن، وانتقلت إلى المدرسة الإصلاحية لأنها منطقية، نقلها صبي سمعها من أب أو عم لهما حظّ سيئ، أو من أحد الموظفين الذي كشف عن شعوره الحقيقي تجاه مسؤولياته، على الرغم من مفردات المدرسة التي أحبت نيكل استخدامها لنفسها.

كان الهواء منعشًا في رئتي إلوود، وكان كل شيء خارج النافذة مبهرًا ومتجددًا. "هذا أو ذاك"، سأله طبيب العيون عند إجراء الفحوصات، الاختيار بين عدستين لهما رؤية مختلفة. لم يتوقف إلوود أبدًا عن الإعجاب بكيفية التجول والاعتياد على رؤية جزء صغير فحسب من العالم، دون أن تدرك أنك فقط ترى قطعة صغيرة من الشيء الحقيقي. هذا أم ذاك؟ بالتأكيد هذا، كل ما مرت به الشاحنة، العَظَمَة المفاجئة لكل شيء، حتى الأكواخ الصغيرة الطولية المتهدّمة والبيوت الخرسانية الحزينة، والسيارات القديمة نصفها داخل الغابة بساحة شخص ما. رأى علامة صدئة لماركة هاي سي[50] وشعر بالعطش أكثر من أي وقت كان عليه في حياته.

لاحظ هاربر التحول في وضعية إلوود، فقال: "يحب أن يكون بالخارج"، وضحك هو وتيرنر، ثم أدار الراديو. كان إلفيس يغني، ونقر هاربر فوق عجلة القيادة مع اللحن.

بطبعه، كان هاربر موظفًا لا يُحتملُ وجوده في نيكل. "كان كل الحقّ يعود للرجل الأبيض"، في تقدير تيرنر. نشأ عمليًا وسط الأحداث، حيث ترعرع في رعاية أخت والدته، سكرتيرة في مبنى الإدارة. وأمضى فترات ما بعد الظهيرة في المكان كتميمة حظّ للطلاب البيض وبدأ عملاً غريبًا عندما كبر بشكل كاف، حيث رسم الرنة في عرض الكريسماس السنوي، طوال الوقت الذي استطاع فيه الإمساك بفرشاة. الآن هو في العشرين من عمره ويعمل بدوام كامل. "خالتي تقول إنني من نوع سهل مصداقته"، قالَ للصبية في فترة عمله بينما كانوا يتلكّعون خارج متجر التخفيضات: "أعتقد أنني كذلك، لقد نشأت حولكم أيها الصّبية - البيض والسود - وأعلم أنكم مثلي تمامًا، لكن حظكم كان عاثرًا".

توقفوا أربع مرات حول بلدة إليانور قبل منزل رئيس الإطفاء. أولاً كان مطعم جون داينر[51] كان الصدأ يحدد الحرف والفاصلة اللذان سقطا من الاسم. أوقفوا السيارة في الزقاق وألقى إلوود نظرة على حمولة الشاحنة: علب كرتون وصناديق من مستودعات مطبخ نيكل. علب بازلاء، علب خوخ معلب، عصير تفاح، فاصوليا مطبوخة، مرق. مجموعة مختارة من شحنة هذا الأسبوع من ولاية فلوريدا.

أشعل هاربر سيجارة ووضع أذنه على راديو ترانزستور ليستمع إلى مباراة اليوم. سلم تيرنر صناديق من الفاصوليا الخضراء وأكياس البصل إلى إلوود قبل أن يضعوها أمام المدخل الخلفي لمطبخ المطعم.

قال هاربر: "لا تنسى العسل الأسود".

عندما انتهيا، ظهر المالك، رقبته حمراء تشبه الخنزير ومئزره عبارة عن قماش قديم ممتلئ بالبقع الداكنة. صفع هاربر على ظهره، ثم سلَّمه مظروفًا وسأل عن عائلته.

قال هاربر: "أنت تعرف الخالة لوسيل، يجب عليها أن تجلس أو تستلقي لألمٍ في ساقيها لكنها لا تستجيب لنا أبدًا".

الوقفتان التاليتان كانتا أيضًا مطاعم - مطعم باربيكيو ومطعم مييت أند ثري[52] على حدود المقاطعة، بعدها أفرغوا مخزون الخضروات المعلبة في سوق توب شوب. طوى هاربر كل ظرف نقدي إلى نصفين، ووضع رباطًا مطاطيًّا حولهم، وألقاهم في درج تابلوه السيارة قبل الوجهة التالية.

ترك تيرنر العمل يتحدث عن نفسه، كما أراد هاربر التأكد من راحة إلوود بتفاصيله الجديدة. قال الشاب الأبيض: "لا تبدو متفاجئًا من العمل".

أجاب إلوود: "عليها أن تصل إلى مكان ما".

"تتم الأمور على هذا النحو. يخبرني سبنسر إلى أين أذهب، ويترك الأمر بعد ذلك إلى المدير هاردي". أدار هاربر زرَّ محطات الراديو، وبعد المزيد من موسيقى الروك أند رول؛ ظهر إلفيس مرة أخرى، أغانيه تخرج من كل مكان. قال هاربر: "كان الوضع أسوأ في الأيام الماضية على حد قول خالتي، لكن الولاية اتخذت إجراءات صارمة والآن قمنا بتسريح موظفي الجزء الجنوبي من المدرسة". بمعنى، أنهم باعوا فقط لوازم الطلاب السود. "كان لدينا هذا الصبي العجوز الطيب الذي كان يدير نيكل، روبرتس، الذي كان سيبيع الهواء الذي تتنفسه إذا كان بإمكانه ذلك، الآن نعرف أنه كان محتالا!"

قال تيرنر "يضربون لتنظيف المراحيض، يضربون لقطع العشب، كما أرى".

كان من الجيد أن تكون بالخارج، قال إلوود ذلك. في الأشهر التالية، رأى إلوود كل أنحاء إليانور بولاية فلوريدا، أثناء طواف ثلاثتهم في الجوار. لقد تعرّف على الجزء الخلفي من ماين ستريت القصير، حيث كان هاربر متوقفًا بجوار مدخل الخدمة. في بعض الأحيان يوصلون دفاتر وأقلام رصاص، وأحيانًا أدوية وضمادات، لكن في الغالب كان طعامًا. اختفت الديوك الرومية في عيد الشكر واللحم المقدد من أيدي الطهاة، وفتح مساعد مدير المدرسة الابتدائية صندوقًا من المحايات وعدَّها واحدة تلوَ الأخرى. تساءل إلوود لماذا لم يكن لدى الصّبية معجون أسنان، الآن يعرف ذلك. لقد أوقفوا السيارة خلف متجر التخفيضات، بجانب متجر فيشر دراجز للأدوية، واتصلوا مسبقًا بالطبيب المحلي، الذي تحرك إلى

نافذة السائق بحركة خفيّة. توقفوا من حين لآخر عند منزل أخضر مكون من ثلاثة طوابق في شارع مسدود، وهناك حصل هاربر على أجر من رجل متأنق كان يرتدي سترة صوفية ويعمل من مجلس المدينة. قال هاربر أنّه لا يعرف قصة الرجل، لكنه يتمتع بأخلاق جيدة، وفواتير جديدة، وكان يحب التحدث مع فرق ولاية فلوريدا.

هذا أم ذاك؟ في كل مرة يغادر فيها مبنى المدرسة، تبرز عدسة جديدة في مكان، وكل ما تسمح به فقط هو أن يرى.

في أول يوم وجد الجزء الخلفي من الشاحنة فارغًا، افترض إلوود أنهم سيعودون إلى نيكل، لكنهم اتجهوا إلى شارع نظيف وهادئ يذكره بأجمل أجزاء تالاهاسي، الجزء الخاص بالبيض. توقفوا عند منزل أبيض كبير يطفو على بحر من العشب الأخضر المتموج. رفرف علم أمريكي على عمود فوق السقف. نزلوا، وكشفت نظرة أخرى في خبايا الشاحنة عن قماش الخيش الذي أخفى لوازم الرسم.

"السيدة ديفيز". قال هاربر، وهو يحني رأسه.

لوَّحت سيدة بيضاء مع تسريحة شعر تشبه خلية نحل من الشرفة الأمامية، وقالت: "هذا مدهشٌ للغاية".

لم ينظر إلوود لها مباشرة أثناء اتجاههم إلى الجزء الخلفي من الفناء، حيث يوجد كوخ رمادي اللون متهالك مستندًا على حافة أشجار البلوط.

"هذا هو؟" سأل هاربر.

قالت السيدة ديفيز: "لقد بناه جدي منذ أربعين عامًا، وهنا تقدم لي كونراد بطلبه للزواج". كانت ترتدي فستانًا أصفر كاروهات ونظارات شمسية داكنة مثل جاكي كينيدي. لمحت حشرة خضراء رقيقة على كتفها،

نفضتها وابتسمت.

طُلب منهم طلاء المكان طلاءً جديدًا. أعطت السيدة ديفيز مقشة لهاربر، فأعطاها هاربر لإلوود، وكنّس إلوود الأرض بينما أحضر تيرنر الطلاء من الشاحنة.

أخبرتهم السيدة ديفيز قبل عودتها إلى المنزل: "أنتم لطفاء حقًا لمساعدتنا هنا أيها الصبية".

وقال هاربر: "سأعود في الثالثة"، ثم رحل أيضًا.

أوضح تيرنر أن هاربر كان لديه صديقة تدخن حشيشة مابل، وكان زوجها يعمل في أحد المصانع ويبقى هناك لساعات طويلة.

"هل سنقوم بطلاء الجدران؟"، سأل إلوود دون أن يعلّق على كلامه.

"نعم يا رجل".

"هل سيغادر ويتركنا هنا حقًا؟"

"نعم يا رجل. السيد ديفيز هو رئيس المطافئ، أنه يستدعينا كثيرًا هنا، ونقوم بأشياء صغيرة. سميتي وأنا قمنا بطلاء جميع الغرف في الطابق العلوي". وأشار إلى نوافذ السقوف الناتئة كما لو كان من الممكن لإلوود أن يثمّن عمله اليدوي. "كل هؤلاء الرجال في مجلس المدرسة، جعلونا نقوم بالأعمال المنزلية. في بعض الأحيان يكون هذا هراء، لكنني سأفضل الحضور إلى هنا على أن أكون موجودًا بالمدرسة".

وكذلك كان إلوود. كانت ظهيرة رطبة من شهر نوفمبر، استمتع بأصَوات الحشرات والطيور في عالم الحريّة. لكن سرعان ما تداخلت نداءات التزاوج والتحذيرات مع صفير تيرنر - كان يصفر أحد ألحان تشاك بيري[53]، إذا لم يكن إلوود مخطئًا، أما الطلاء فقد كان أبيض من

ماركة ديكسي.

آخر مرة طلى فيها إلوود جدار، كانت حين دهن طبقة دهان جديدة فوق المبنى الخارجي للسيدة لامونت، وهو عمل روتيني وافقت جدته أن يقوم به من أجل السيدة مقابل عشر سنتات. ضحك تيرنر وأخبر إلوود كيف في الأيام الماضية، كانت المدرسة ترسل فرقًا من الصّبية إلى إليانور طوال الوقت للقيام بعمل من أجل الأشخاص المهمين. وفقًا لهاربر، كان ذلك في بعض الأحيان خدمات، مثل دهان الطلاء هذا، لكن غالبًا كان المقابل مالاً حقيقيًا احتفظت به المدرسة من أجل "الصيانة"، مثل الأموال من جمع المحاصيل، وأعمال الطباعة، والطوب. علاوة على ذلك، كان الأمر أكثر بشاعة. "عندما تتخرج، لا تعود إلى عائلتك، لكن يتم الإفراج عنك إفراجًا مشروطًا حيث يبيعون مؤخرتك المغفلة يا إل لأناس في المدينة. فتعمل مثل العبد، وتعيش في قبوهم أو أيا كان. يضربونك، يركلونك، يطعمونك القذارة".

"طعام قذر، كما نحصل عليه الآن؟"

"قطعا لا. أسوأ". قال: "عليك أن تسدد ديونك أولاً، ثم يسمحوا لك بالذهاب".

"ديوني؟"

أذهله هذا، "لم أفكّر أبدًا بما نواجهه بهذه الطريقة". أمسك ذراع إلوود، وقال: "لا تمضي قُدمًا بسرعة كبيرة. يمكن لهذا العمل أن يكون وظيفة لمدة ثلاثة أيام، ونحن نلعبها بشكل صحيح، والسيدة ديفيز ستحضر لنا عصير الليمون".

ظهر كأسان من عصير الليمون على صينية برونزية، وأعطاهما هذا شعورًا رائعًا.

انتهيا من طلي درابزين وجدران بديكور شبكي. رجَّ إلوود علبة جديدة من دهان ديكسي الأبيض، وفتحها بالقوة ثم قلبها. لقد أخبر تيرنر كيف قُبض عليه وأُرسل إلى نيكل - "يا رجل، لم يكن هذا عادلًا" - لكن تيرنر لم يتحدث أبدًا عن حياته القديمة. كان هذا هو الفصل الدراسي الثاني له في المدرسة وكان قد قضى معظم السنة بالخارج، ربما كان السؤال عن كيفية رجوعه مرة أخرى مدخلًا إلى قصته. لقد امتصّ انحراف نيكل كل شيء، وقد يكون ماضي صديقه جعله متورطًا في هذه القصة.

جلس تيرنر عندما سمع سؤال إلوود. "هل تعرف من هو الشخص الذي يجمع القوارير؟"

قال إلوود: "في صالة البولينغ!".

"كنت أعمل كمجمع قوارير في صالة بولينغ في تامبا، في مركز هوليداي. في معظم الأماكن، جلبوا آلة تقوم بذلك، لكن السيد غارفيلد لم يفعل. كان يحب أن يرى صبية القوارير وهم منحنيين في نهاية الممر كما لو كنا عدائين، أو كلاب على وشك الخروج للصيد. لم تكن وظيفة سيئة، التقاط القوارير بعد كل رمية وإعدادها للجولة التالية. كان السيد غارفيلد صديقًا لعائلة إيفريتس، حيث كنت أعيش. دفعت الولاية المال لعائلة إيفريتس لاستقبال الأطفال، بعض المال وليس الكثير. كان هناك دائمًا الكثير منا ضالون، يأتون ويذهبون".

"كما قلت، كان عملًا جيدًا. كانت ليلة الخميس للسود، وجاء الجَميع من كل مكان، من مختلف بطولات البولينغ الملونة، وكان ذلك وقتًا جيدًا، لكن في الغالب كان هؤلاء المتخلفون الحمقى من تامبا هم الموجودون. بعض الأشخاص سيئون، والبعض الآخر أقل سوءًا، كالأشخاص

البيض مثلاً. كنتُ سريعًا جدًا وكان من السهل أن أبتسم أثناء العمل، وأن أكون في مكان آخر داخل أفكاري بينما أفعل أي شيء، وقد أحبني العملاء، وقدموا لي البقشيش. وهناك تعرفت على بعض أعضاء الفريق؛ لا أحب التعرف عليهم، لكننا رأينا بعضنا البعض كل أسبوع. وهكذا، بدأت ألهو معهم، أتعرف إليهم، كنت ألقي مزحة حين يخطئ أحدهم، أو أقوم بوجه مهرج مثل هذا عندما يلقون بالكرة أو نتبادل النظرات المضحكة. أصبح هذا روتيني، أمزح مع أعضاء الفريق، وقد أحببت البقشيش".

"كان هناك هذا الرجل العجوز الذي كان يعمل في المطبخ، اسمه لو. أحد هؤلاء الرجال الذين عانوا طويلاً. لم يتحدث كثيرًا إلينا نحن عمال القوارير، كان فقط يقلب البرغر. ولأنه لم يكن ودودًا للغاية، لم نتحدث معه بدورنا".

"في هذه الليلة كنت في استراحة وخرجت لتدخين سيجارة خلف الشواية. وهو كان هناك، بمئزره المغطى بالدهون. كانت ليلة حارة، وهو ينظر إليّ من أعلى لأسفل، قال لي: "أراك هناك، أيها الزنجي، تقدم عرضًا. لماذا تتمايل وتلقي المزحات من أجل هؤلاء الأشخاص البيض؟ ألا يعلمك أحد على الإطلاق احترام الذات؟"

"اثنان من العمال الآخرين كانوا بالخارج هناك وسمعوا كلامه هذا، أو كما بدا لي أنهم يسمعون، اللعنة. تصاعد الدم كله إلى وجهي، وكنت على استعداد لضرب هذا الأحمق العجوز، فهو لا يعرفني. لا يعرف أي هراء عني. نظرت إليه، لم يتحرك، يقف هناك ويدخن هذه السيجارة التي لفها، وهو يعلم أنني لن أفعل أي شيء، لأنه محقٌّ فيما قاله".

"في المرة التالية، كنت في وردية عمل، لا أعرف، بدأت في التصرف

بشكل مختلف. بدلاً من المزاح معهم، كنت لئيمًا. حين ضربوا الكرة أو تخطوا الخط، لم يكن هناك شيء ودود في ملامحي. رأيت في عيونهم أنهم أدركوا أن اللعبة قد تغيرت، ربما تظاهرنا بأننا في نفس الجانب من قبل وكان كل شيء متساوٍ، لكن الآن لم يعد كذلك".

"طوال الليلة، كنت أهزأ بهذا الأبيض اللعين أثناء اللعبة، هذا الغبي الكبير. لقد حان دوره وكان عليه ضرب قارورتين متباعدتين أرقامهما 4 و6، قلت: "أليس هذا شخص كريه"، مثل باغز باني[54]، وهذا كل ما قلته له، ثم قذف الكرة على الممر. بدأ يلاحقني في جميع أنحاء المكان، وأنا أقفز من ممر إلى آخر، فوق لعب الجميع، وأتفادى الكرات، ثم أخيرًا أوقفه أصدقاؤه. يأتون إلى هناك طوال الوقت، ولا يتشاجرون أو يصطنعون المشاكل لأجل خاطر السيد غارفيلد. إنّهم يعرفونني، أو اعتقدوا أنهم يعرفونني حتى أسأت التصرّف، شرعوا حينئذ بتهدئة صديقهم ثم رحلوا".

ابتسم تيرنر وهو يمثل القصة حتى آخر جزء منها. ضيّق عينيه وهو يحدق في أرضية البرجولة كأنه يحاول رؤية شيء صغير. قال وهو يحُكُّ الشقّ في أذنه: "كانت تلك نهاية الأمر حقًا. الأسبوع الذي تلى ذلك، رأيت سيارة ذلك الرجل في المرآب وألقيت قالب طوب على نافذتها فاعتقلني رجال الشرطة".

تأخر هاربر ساعة، لن يشتكيا. وقت الفراغ في نيكل من جهة، ووقت العمل في عالم الحرّية من جهة أخرى، لقد كانت عملية حسابية سهلة.

"سأحتاج إلى سلم"، قال إلوود لهاربر عندما خرج.

أجابه هاربر: "بالتأكيد".

لوحت السيدة ديفيز من الشرفة لهم وهم يبتعدون.

"كيف حال امرأتك، هاربر؟"، سأله تيرنر.

ضبط هاربر قميصه داخل سرواله. "فقط عندما تقضي وقتًا ممتعًا، فإنهم يذكرون شيئًا آخر تمامًا كانوا يفكرون فيه منذ آخر مرة رأيتهم فيها".

قال تيرنر: "بالتأكيد، أنا أعلم"، وصل إلى سجائر هاربر وأشعل واحدة.

أغلقَ إلوود ذاكرته على كلّ الأشياء التي رآها في عالم الحريّة ليعيد استرجاعها لاحقًا، كيف أنّ الأشياء بدت له وكيف كانت رائحتها، وغيرها أيضًا. بعد يومين أخبره هاربر أنّه في الخدمة المجتمعية بشكل دائم. لكن بعد ذلك، لاحظ الرجال البيض دائمًا طبيعته الدؤوبة، مما جعل الخبر مزاجه أكثر إشراقًا. في كلِّ مرّة كانوا يعودوا إلى نيكل، كان يسجل التفاصيل في دفتر مدرسي. التاريخ واسم الفرد والمكان. استغرقت كتابة بعض الأسماء وقتًا طويلاً، لكن إلوود كان دائمًا من نوع الصبور والمجتهد.

الفصل التاسع

لقد شجع الصبية غريف، على الرغم من أنه كان متنمرًا بائسًا يتسلط ويتدخل في نقاط ضعفهم ويختلق نقاط الضعف إذا لم يتمكن من العثور على أي منها، مثل مناداتك بـ "ذي الركبتين[55] أو قطعة من القذارة"، حتى لو لم تكن ركبتيك قد ارتطمت ببعضهما في حياتك كلها. وكان يُعرقل سيرهم بقدمه ثم يضحك حين يسقطون على مؤخراتهم ويصفعهم وهو يَهُمّ بالإفلات منهم. لقد جعل منهم أضحوكة، وجرَّهم إلى غرف مظلمة. كانت رائحته مثل الحصان، يقوم بالسخرية من أمهاتهم اللواتي كنّ معدمات بشكل عام بين الطلاب. لقد سرق حلوياتهم في مناسبات متعدّدة – خطفها من الصواني بابتسامة عريضة - وحتى لو لم تكن الحلوى مخفوقة بعناية، فقد كانت السرقة عامة هي المبدأ. شجَّع الصبية غريف لأنه كان سيمثل النصف الأسود من نيكل في مباراة الملاكمة السنوية، وبغضّ النظر عما يفعله بقية العام، في يوم القتال، كان جميعهم في جسد أسود واحد.. فلقد كان هو من سيطرح ذلك الصبي الأبيض أرضًا.

وإذا ما استسلم غريف قبل حدوث ذلك، سيتورم.

حمل الصبية السود لقب بطل نيكل لمدة خمسة عشر عامًا. يتذكر الموظفون القدامى المخضرمون آخر بطل أبيض وما زالوا يتحدثون عنه ويذكرونه؛ أشياء أخرى من الأيام الخوالي نادرًا ما يناقشوها. كان تيري

"دوك" بيرنز صبي كبير طيب له يد حديدية، نشأ في الجزء السيئ في مقاطعة سواني وأُرسل إلى نيكل لخنق دجاج أحد الجيران. 21 دجاجة على وجه الدقة، لأنهم "خرجوا لملاحقته". تدحرج الألم فوقه مثلما تدحرج المطر فوق سقف صخريّ منحدر. بعد خروج دوك بيرنز إلى عالم الحريّة، كان الصّبية البيض الذين وصلوا إلى المعركة النهائية مجرد هواة، غير مستقرين لدرجة أن الحكايات الطويلة عن البطل السابق على مرّ السنين أصبحت مبالغة؛ لقد منحت الطبيعة دوك بيرنز نفسًا طويلًا بشكل غير طبيعي؛ لم يكن يشعر بالتعب. هزّت سيرته الأسطورية كل قادم ورجّت النوافذ. في الواقع، تعرض دوك بيرنز للضرب وسوء المعاملة من قبل الكثيرين في حياته - من أفراد الأسرة والغرباء على حد سواء - حتى أنه بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى نيكل، كانت جميع العقوبات عبارة عن نسمات لطيفة.

كانت هذه أول فترة لغريف في فريق الملاكمة. وصل إلى نيكل في فبراير مباشرة بعد تخرج البطل السابق، أكسل باركس. كان يجب أن يتخرج أكسل قبل موسم القتال، لكن موظفي روزفلت تأكدوا من وجوده للدفاع عن لقبه. أدّى اتهامه بسرقة التفاح من قاعة الطعام إلى سقوطه إلى مستوى اليرقات مرة أخرى وضمنت وجوده. سمعة غريف، باعتباره الأخ الأسوأ في المدرسة، جعلته خليفة أكسل الطبيعي. فلقد كان خارج الحلبة يمارس هوايته؛ ترويع الصبية الأضعف، الصبية ممن ليس لديهم أصدقاء، البكّائين. أما داخل الحلبة، صعدت فريسته مباشرة إليه لذلك لم يهَدر وقته في المطاردة. مثل المحمصة الكهربائية أو الغسالة الآلية، كانت الملاكمة وسيلة راحة حديثة تجعل الحياة أسهل.

مدرّب الفريق الأسود كان من ميسيسيبي يدعى ماكس ديفيد، عمل

في مرآب المدرسة. حصل على مظروف في نهاية العام لتدريس ما تعلمه خلال فترة وزن الوسط، فقدّم عرضه إلى غريف في وقت مبكر من الصيف. قال: "لقد جعلني قتالي الأول غبي، وأدى قتال الوداع إلى إعادة النظر، لذا ثق بي عندما أقول إن هذه الرياضة ستكسرك وتجعلك أفضل، وهذه حقيقة"، ابتسم غريف. سحق العملاق خصومه ومحاهم محوًا وبقسوة خلال الخريف. لم يكن أنيقًا، ولم يكن إنسانًا. لقد كان أداة قويّة للعنف، وكان ذلك كافيًا.

نظرًا للوقت الطويل المعتاد للإعداد في مدرسة نيكل – بسبب تخريب الموظفين - لم يبق معظم الطلاب في الجوار سوى موسم قتال واحد أو اثنين فقط. مع اقتراب البطولة، كان لا بد من تعليم فريق اليرقات أهمية مباريات شهر ديسمبر، التمهيدات داخل المسكن، والمباراة بين رجل المسكن وأفضل لاعبين من المسكنين الآخرين، ثم المباراة بين أفضل ملاكم أسود وأي أحمق من الرجال البيض، البطولة ستكون معرفتهم الوحيدة على عدالة نيكل.

كانت الملاكمة بمثابة تعويذة مهدّئة للتغلب على الإذلال اليومي. أسّسها تريفور نيكل في المدرسة وبدأ بمباريات البطولة في عام 1946؛ بعد فترة وجيزة من تولّيه منصب مدير مدرسة فلوريدا الصناعية للبنين بتفويض للإصلاح. لم يكن نيكل قد أدار مدرسة من قبل؛ كانت خبرته مقتصرة على مجال الزراعة. لكنّه ترك انطباعًا في اجتماعات كلان[56] مع خطاباته المرتجلة حول التحسين الأخلاقي وقيمة العمل، ورغبة النّفوس الشابة المحتاجة إلى الرعاية. تذكّر الأشخاص المحيطون شغفه الذي ظهر في أوّل فرصة. حيث أعطى الكريسماس الأول له في المدرسة الفرصة للبلدة مشاهدة تحسيناته. فكلما أحتاج إلى طبقة جديدة من الطلاء حصل على

طبقة جديدة منه، وتم تحويل الخلايا السوداء لفترة وجيزة إلى صبية أكثر براءة، وتم نقل عقوبة الضرب إلى المبنى الأبيض الصغير. لو رأى أهل إليانور الطيبون المروحة الصناعية، ربما كانت لتثير لديهم سؤالاً أو سؤالين، لكن الورشة لم تكن جزءًا من الجولة.

كان نيكل داعية للملاكمة لفترة طويلة، وقد قاد مجموعة لقوى الضغط حتى توسع اللعب في الأولمبيات. وفي الأساس كانت الملاكمة شائعة في المدرسة، حيث أخذ معظم الصبية نصيبهم من الخدوش، لكن المدير الجديد تبنى تأسيس هذه الرياضة. فعدل ميزانية ألعاب القوى، التي كانت هدفًا سهلاً للمديرين لإعادة ترتيب دفع ثمن معدات اللعب، ودعم طاقم التدريب. كما حافظ نيكل على الاهتمام باللياقة البدنية بشكل عام. كان يمتلك شغفًا بمعجزة النموذج البشري في أعلى أشكاله، وغالبًا ما كان يراقبُ الصبية وهم يستحمون لمراقبة تقدّم استعدادهم البدني.

"المدير؟" سأل إلوود عندما أخبره تيرنر بهذا الجزء الأخير.

"من أين تعتقد أن الدكتور كامبل حصل على هذه الحيلة؟" قال تيرنر. ذهب نيكل، لكن الدكتور كامبل، طبيب المدرسة النفسي، كان معروفًا أنه يتسكع في حمامات الصّبية البيض لاختيار من سيواعده. "كل هؤلاء الرجال المسنين القذرين شكّلوا نادٍ معًا".

كان إلوود وتيرنر يتسكعان في مدرجات صالة الألعاب الرياضية في ظهيرة هذا اليوم. تشاجر غريف مع شيري الخلاسي[57] الذي تولى الملاكمة كمسألة تربوية لتعليم الآخرين كيف لا يتحدثون عن والدته البيضاء. كان سريعًا ورشيقًا إلا أن غريف هزمه.

كان الوصول لحمية غريف الغذائية هو العمل المفضل لكليفلاند

في تلك الأيام الأولى من شهر ديسمبر. خرج الصبية من المساكن السوداء في جولات تدريبيّة، وكذلك الكشافة البيض من أسفل التل من أرادوا النميمة. كان غريف مبتعدًا عن عمله بالمطبخ منذ عيد العمال للتدريب. لقد كان ذلك مَشهدًا، حيث أبقاه ماكس على نظام غذائي غامض من البيض والشوفان النيء، وفي ثلاجة صغيرة خزّن إبريقًا ادّعى أنه دم ماعز. عندما ضبط المدرب الجرعات، ابتلع غريف تلك الأشياء مع الكثير من الدراما وانتقم بضرب كيس الملاكمة بعنف.

رأى تيرنر أكسل يقاتل خلال فصله الدراسي الأول في نيكل، قبل عامين. كان بطيئًا في حركة قدميه لكنه كان صلبًا وثابتًا مثل جسر حجري قديم؛ لقد نجا مما قدّرته السماء. وعلى عكس تصرف غريف الخشن، كان أكسل لطيفًا حاميا للأولاد الصغار. قال تيرنر: "أتساءل أين هو الآن. هذا الأسود ليس لديه أي عقل، وبارع دائما في جعل أموره أسوأ أينما كان"، تربيةُ نيكل.

ترنّح شيري وسقط على مؤخرته، وبصق غريف واقي فمه وصرخ. صعد بلاك مايك إلى الحلبة ورفع يد غريف لأعلى مثل شعلة تمثال الحرية.

"هل تعتقد أنه سيهزم؟" سأل إلوود. كان المنافس الأبيض صبيًا يُدعى بيغ شيت، جاء من قبيلة من سكان المستنقعات وكان أقرب نوعًا للحيوانات.

قال تيرنر: "انظر إلى تلك الأذرع يا رجل، إنها كالمكابس، أو اللحم المدخّن".

رؤية غريف يرتجف بطاقةٍ لم تُطلق بعد، واثنان من التشاكس يفكان قفازاته مثل الخدم، كان من الصعب تخيّل كيف يمكن أن يخسر

العملاق. ولهذا السبب بعد يومين، جلس تيرنر متفاجئًا عندما سمع سبنسر يطلب من غريف أن يتظاهر بالخسارة.

كان تيرنر يغفو في دور علوي بالمستودع، حيث صنع مكانًا بين صناديق مسحوق الغسيل. لم يضايقه أي من الموظفين عندما ذهب بمفرده إلى غرفة التخزين الكبيرة بسبب عمله مع هاربر، مما يعني أن تيرنر لديه مكان للهروب. لا مشرفين ولا طلاب، فقط هو مع وسادة وبطانية عسكرية وراديو ترانزستور خاص بهاربر. كان يقضي ساعتين في الأسبوع هناك، كما لو كان مشرّدًا، لا يهتم بمعرفة أي شخص ولا يهتم أحد بمعرفته. عاش فترات قليلة من حياته هكذا، عندما كان بلا جذور وسقط في الشارع مثل صحيفة قديمة، ذكَّره الدور العلوي بكل هذا.

أيقظه إغلاق باب المستودع، ثم جاء صوت الحمار الغبي غريف: "ما هذا يا سيد سبنسر، يا سيدي؟"

"كيف يسير هذا التدريب، يا غريف؟ ماكس صديقي العتيق يقول إنك معتوه".

عبس تيرنر، في أي وقت يسألك رجل أبيض عن نفسك، يكون على وشك مضاجعتك. كان غريف غبيًا جدًا لدرجة أنه لم يكن يعرف ما الذي يحدث. في الفصل، كافح الصبي ليعرف حاصل جمع اثنين وثلاثة، كما لو أنه لا يعرف عدد أصابع يده اللعينة. ضحك منه بعض المتهورين في المدرسة حينها، فوضع غريف رؤوسهم في المراحيض، واحدًا تلو الآخر طوال الأسبوع الذي أعقب ذلك.

كان تقييم تيرنر صحيحًا؛ رفض غريف استيعاب سبب الاجتماع السري. شرح سبنسر أهمية الملاكمة، تقاليد مباراة ديسمبر. ثم لمّح؛ الروح

الرياضية الجيدة تعني السماح للفريق الآخر بالفوز في بعض الأحيان. جرب التعبير الألطف، يبدو الأمر كما لو كان على فرع الشجرة أن ينحني حتى لا ينكسر. ثم مال إلى القدر شارحًا بشكل مفصّل؛ وفي بعض الأحيان لا ينجح مهما حاول. لكن غريف كان غبيًا جدًا، " نعم سيدي.. أعتقد أن هذا صحيح، سيد سبنسر.. أنا أعتقد هذه هي القضية، سيدي المحترم". حين لم يجدوا فائدة من هذه المحاولات، أخبر المشرف غريف أخيرًا أن مؤخرته السوداء يجب أن تخسر في الجولة الثالثة وإلا سيأخذونه في الخلف مرة أخرى.

قال غريف: "نعم سيدي، سيد سبنسر". لم يستطع تيرنر رؤية وجه غريف من مكانه بالطابق العلوي، لذلك لم يكن يعرف ما إذا كان قد فهم. كان الصبي في قبضتيه حجارة وفي رأسه غباء.

انتهى سبنسر بقوله: "أنت تعلم مدى قوتك وأنك ستتغلب عليه، هذا يكفي". تنحنح وأكمل: "تعال الآن" كما لو كان يرعى خروفًا تائه. ثم أصبح تيرنر بمفرده مرة أخرى.

"أليس هذا هراء؟" قال. كان هو وإلوود يتسكعان على سلم كليفلاند الأمامي بعد جولة إليانور. كان ضوء النهار رقيقًا، والشتاء ينزل مثل غطاء على وعاء قديم. كان إلوود الشخص الوحيد الذي استطاع تيرنر إخباره. سوف يثرثر بقية هؤلاء المغفلون وبعد ذلك سيكون هناك الكثير من الرؤوس المحطمة.

لم يقابل تيرنر صبيًا مثل إلوود من قبل. الثبات كان الكلمة التي عاد إليها، على الرغم من أن صبي تالاهاسي بدا رقيقًا، إلا أنه كان يتصرف باعتداد بنفسه، وكان لديه نزعة مزعجة في النصح؛ مرتديًا نظارة طبية تريد

أن تطحنها تحت قدمك مثل فراشة، ومتحدثًا مثل صبي جامعي أبيض، قرأ كتب عندما لم يكن مضطرًا إلى ذلك، ونقّب بداخلها عن اليورانيوم ليشعل حماسه وشغفه، لا يزال - ثابتًا.

لم يتفاجأ إلوود بأخبار تيرنر. قال بسلطوية: "الملاكمة منظمة فاسدة على كل المستويات، كان هناك الكثير في الصحف حول هذا الموضوع". وصف ما قرأه مرة أخرى في متجر ماركوني، جالسًا على كرسيه خلال ساعات الهدوء. "السبب الوحيد لإصلاح الملاكمة هو أن تراهن عليها".

قال تيرنر: "كنت لأراهن على ذلك، إذا كان لدي أي مال. بعض المرات في مركز هوليداي، راهنا بالمال في المباريات النهائية. وكسبت بعض المال".

قال إلوود: "سوف ينزعج الزملاء". انتصار غريف بالتأكيد سيكون وليمة، لكنها تقريبًا بلذاذة اللقمات التي تداولها الصّبية تحسبًا، السيناريوهات التي فقد فيها المنافس الأبيض السيطرة على أمعائه، أو ألقى بفوارة حارة[58] من الدم في وجه المدير هاردي، أو طارت أسنانه البيضاء من فمه، "كما لو أنها ضُربت بمعول الثلج[59]". التخيلات الحماسية والقاسية.

قال تيرنر: "بالتأكيد. لكن عندما يقول سبنسر أنه سيأخذك للخلف، ليس أمامك سوى الطاعة".

"يأخذه إلى البيت الأبيض؟".

قال تيرنر: "سوف أريك". كان لديهم بعض الوقت قبل العشاء.

سارا عشر دقائق إلى المغسلة التي كانت مغلقة في هذا الوقت من اليوم. سأل تيرنر إلوود عن الكتاب الذي كان تحت ذراعه، فأجابه إلوود إن عائلة بريطانية كانت تحاول تزويج ابنتها الكبرى للاحتفاظ بممتلكاتها

وملكيتها. كانت للقصة منعطفات معقدة.

"لا أحد يريد أن يتزوجها؟ أقبيحة هي؟".

"لقد تم وصفها بأنها ذات وجه وسيم".

"هراء!".

بعد المغسلة، كانت اسطبلات الخيول المتداعية. بدا السقف متداعيًا منذ زمن بعيد وتسللت الطبيعة إلى الداخل، مع شجيرات هيكلية وأعشاب متعرجة ترتفع في أكشاك الاسطبل. يمكنك الإحساس ببعض الشر هناك إذا لم تكن تؤمن بالأشباح، ولكن لم يتوصل أي من الطلاب إلى رأي محدد حول هذه المسألة، لذلك بقي الجميع بعيدًا ليكونوا بأمان. كان هناك نوعان من أشجار البلوط على جانب واحد من الاسطبلات، مع حلقات حديدية مغروزة في اللحاء.

قال تيرنر: "نحن هنا في الخلف، تحديدا خلف الاسطبلات. يقولون إنه من حين لآخر يأخذون فتى أسود ويقيدونه بهذه الحلقات، ذراعيه مشرعتين، ثم يأتون بكرباج حصان ويمزقونه".

قبض إلوود كفيه، ثم أحاط نفسه بذراعيه، "والصّبية البيض؟"

"مكانهم البيت الأبيض، لقد دمجوهم، لكن هذا المكان منفصل. إنهم يأخذونك هنا، هذا هو الخلف، ثم لا يأخذونك إلى المستشفى، يقولون إنك هارب وهذا ما يحدث أيها الصبي".

"ماذا عن عائلتهم؟"

"كم عدد الصّبية الذين تعرفهم هنا لديهم عائلة؟ أو لديهم أُسر تهتم بهم؟ ليسوا مثلك، إلوود". كان تيرنر يشعر بالغيرة حين تزور الجدة إلوود وتجلب له وجبات خفيفة، ويبدو ذلك عليه من وقت لآخر، مثل الآن.

الغمامات التي تغشى إلوود بينما يتجول. القانون واحد، يمكنك الخروج بمسيرة والتلويح باللافتات وتغييره إذا أقنعت عددًا كافيًا من البيض. في تامبا، رأى تيرنر طلاب الكلية بقمصانهم وربطات العنق الجميلة يجلسون في وولوورث[60]. كان عليه أن يعمل، لكنهم كانوا بالخارج للاحتجاج. وقد حدث، فتحوا كاونتر المطعم. لم يكن لدى تيرنر المال لتناول الطعام هناك في كلتا الحالتين. يمكنك تغيير القانون لكن لا يمكنك تغيير الناس وكيف يعاملون بعضهم البعض. كانت نيكل تمارس العنصريّة بشدّة - ربما ارتدى نصف الأشخاص الذين عملوا هنا ملابس مثل كلان في عطلات نهاية الأسبوع، لكن بالطريقة التي رآها بها تيرنر، كان الشرّ أعمق من لون الجلد. لقد كان سبنسر. لقد كان سبنسر وكان غريف وكان جميع الآباء الذين تركوا أطفالهم ينتهي بهم الأمر هنا، لقد كانوا أولئك الناس.

ولهذا السبب أحضر تيرنر إلوود إلى الشجرتين، ليريه شيئًا لم يكن موجودًا في الكتب.

أمسك إلوود بإحدى الحلقات وسحبها؛ كانت صلبة كجزء من الجذع الآن، سوف تنكسر عظام الإنسان قبل أن تنفك.

أكد هاربر أن المضاربة بعد يومين. لقد أوصلوا بعض اللحوم المقددة إلى مطعم تيري باربيكيو. قال تيرنر عندما أغلق هاربر باب الشاحنة: "أوْصِلها لهم". كانت رائحة الذبح تفوح من أيديهم وفي هذا الوقت سأل عن الملاكمة.

قال هاربر: "سأضع بعض المال عندما أرى من الذي سيغلب". كانت المراهنة صغيرة حين كان المدير نيكل يدير المدرسة، لنقاء الرياضة واهتمامه بالأشياء الشبيهة. في الوقت الحاضر، تألق كبار الفاسدين، أي شخص من

الثلاث مقاطعات لديه ذوق يراهن عليه. حسنًا، ليس أي شخص، كان على أحد الموظفين أن يضمنك. "أنت تراهن دائمًا على الصبي الأسود على أي حال. ستكون أحمق إن لم تفعل".

قال إلوود: "تم إصلاح كل أشكال الملاكمة".

وأضاف تيرنر: "إنك أعوج كواعظ وطني".

قال هاربر: "لن يفعلوا ذلك". كانت هذه طفولته التي يتحدث عنها. نشأ على تلك المباريات، وقضم بصوت عالي الفشار داخل قسم الشخصيات المهمة: "إنه شيء جميل".

تذمّر تيرنر من الحديث ثم بدأ في الصفير.

تم تقسيم المباراة الكبيرة على ليلتين. في البداية، استقرّ الجزء المدرسي الأبيض والجزء الأسود على اللاعبين الذين سيقاتلون في الحدث الرئيسي. خلال الشهرين الماضيين، أقيمت ثلاث حلقات ملاكمة في صالة الألعاب الرياضية للتدريب؛ الآن بقيت واحدة فقط في وسط الغرفة الكبيرة. كان الجو باردًا في الخارج ودخل المتفرجون إلى الكهف الرطب. أكد الرجال البيض القادمون من المدينة أن الكراسي القابلة للطي هي الأقرب إلى الحلبة، ثم يأتي الموظفون في صف الكراسي خلفهم، وبعد ذلك تم حشر أجسام الطلاب في المدرجات، قرفصاء على الأرض، والكوع المقشف في الكوع المقشف. وأخذ التقسيم العرقي للمدرسة شكله المعتاد في صالة الألعاب الرياضية، حيث أخذ الصّبية البيض النصف الجنوبي والصبية السود طالبوا بالشمال، لقد تدافعوا عند ملتقى الجزأين.

عمل المدير هاردي كسيِّد للاحتفالات، على الرغم من أنه نادرًا ما يغادر مكتبه في مبنى الإدارة. لم يره تيرنر منذ الهالوين، عندما ارتدى زيّ

دراكولا ووزّع حفنة من حلوى الذرة الرطبة على الطلاب الصغار. كان رجلاً قصير القامة، مثبتًا ببدلاته، وله رأس أصلع يطفو في كومة سحب من الشعر الأبيض. اصطحب هاردي زوجته، ذات الجمال الباهر الذي يصير حديث الطلاب في كل زيارة، وبطريقة خفيّة، يدعو هذا الجمال مقلات الأعين المُغامِرة إلى النظر القهري. لقد كانت ملكة جمال جنوب لويزيانا، أو هكذا وصلت لهم القصة، كانت حينها جالسة بهدوء تبرد رقبتها بمروحة ورقية.

استمتع الزوجين هارديز بمكان متميز في المقدمة بجانب أعضاء مجلس الإدارة. تعرف تيرنر على معظمهم من جرف ساحاتهم أو تقديم اللحم المقدد لهم. حيث ظهرت أعناقهم الوردية من الكتان، هذا هو المكان الذي تضرب فيه الإنسان، نقطته الضعيفة.

جلس هاربر خلف صف الشخصيات المهمة مع باقي الموظفين. لقد تصرف بشكل مختلف في رفقة زملائه المشرفين، متخليًا عن دور المتملص. بعد ظهر عدّة أيام، رأى تيرنر وجه الرجل وحالته يوضعان في المكان الصحيح، كلما يظهر موظف أو مشرف زميل له؛ يتبدل حاله سريعًا، يسقط قناع أو يوضع واحد.

أدلى هاردي ببعض الملاحظات، كان رئيس مجلس الإدارة - السيد تشارلز غرايسون، مدير البنك وداعم نيكل لفترة طويلة - سيبلغ الستين يوم الجمعة، فأشار هاردي للطلاب أن يغنوا "عيد ميلاد سعيد". وقف السيدَ غرايسون وأومأ، ويداه خلف ظهره مثل الديكتاتور.

كانت بداية المباراة عند الصّبية البيض. عُصرَ بيغ شيت بين حبال الحلبة وربطاتها. صفق له الجمهور معبرين عنهم بحيوية، إنه يقود جيشًا.

لم يصب الصّبية البيض بسوء مثل الصبية السود، إلا أنه لم ينتهِ الأمر بهم في نيكل فالعالم مُهتم أكثر من اللازم. كان بيغ شيت أملهم الأبيض العظيم[61]. تمكّنت منه الشائعات وحملته على السير أثناء النوم، أحدث ثقوبًا في جدران الحمام دون أن يستيقظ، وفي الصباح وُجدَ وهو يلعق مفاصل أصابعه الملطخة بالدماء. قال تيرنر: "يبدو الصبي الأسود مثل فرانكنشتاين"، رأس مربع، أذرع طويلة، واسع الخطى.

لعبا في المباراة الافتتاحية ثلاث جولات عادية. أعطى الحكم - الذي كان يدير المطبعة في النهار- نقاطًا لبيغ شيت ولم يجادل أحد في ذلك. كان هذا الحكم يعتبر شخصية عادلة، منذ أن صفع صبيًّا وتسبب خاتمه بالعمى النصفي للطفل. بعد ذلك توسل للرّب ولم يضرب أحدًا مرة أخرى بغضب أبدًا سوى زوجته. أُفتتحت المباراة الثانية لصالح الصّبية البيض بموسيقى البوب، لكمة هوائية دفعت خصم بيغ شيت إلى خوف طفولي. لكنه أمضى ما تبقى من الجولة والجولتين التاليتين قافزًا مثل الأرنب. بناء على قرار الحكم، رجّ بيغ شيت فمه وبصق الواقي مكسورا لقطعتين. بعدها رفع ذراعيه الكبيرتين المنتصرتين إلى السماء.

قال إلوود: "أعتقد أنه يمكن أن يهزم غريف".

"ربما يستطيع، لكن عليهم التأكّد". إذا كانت لديك القوى التي تجعل الناس يفعلون ما تريده لكنك لا تفرضها أبدًا، فما الفائدة من امتلاكها؟

كانت مباريات غريف مع بطلي روزفلت ولينكولن قصيرة. بيتيبون مثلاً كان أقصر من غريف، عدم تطابق واضح عندما تراهما حتى أخمص القدمين، لكنه تغلب على روزفلت وكان هذا هو الحال. لحظة دقّ

الجرس، انطلق غريف وأذل خصمه بضربه لكمات سريعة على جسمه، جفل الحشد، "إنه يأكل ضلوعًا على العشاء!"، صاح صبي خلف تيرنر. صرخت السيدة هاردي عندما ترنّح بيتيبون متهاويًا على أصابع قدميه الرشيقة ثم سقط كأنه يقبل السجادة المتسخة.

كانت الجولة الثانية أقل توازنًا، مسح غريف صبي لينكولن مثل قطعة لحم رخيصة لثلاث جولات، لكن ويلسون ظل واقفًا على قدميه ليثبت لأبيه قيمته. كان لدى ويلسون جولتين، واحدة يمكن للجميع رؤيتها والأخرى بداخله، هو فقط من يستطيع رؤيتها. مات والده منذ سنوات، وبالتالي لم يتمكن من تعديل حكمه حول شخصية ابنه البكر، لكن في تلك الليلة، نام ويلسون دون كوابيس لأول مرة منذ سنوات، فلقد أعطى الحكم النقاط إلى غريف بابتسامة قلقة.

فحص تيرنر الغرفة وفهم الإشارات الموجودة، سواء صدرت من الصّبية أو المراهنين. إنك تدير لعبة مزوّرة، عليك أن تمنح المغفلين نكهتها. بالعودة إلى تامبا، على بُعد بضعة مبانٍ من منزل إيفريتس، نظّم نصّاب من الشوارع وقتًا يتيح فيه للناس رؤية لعبة "اعثر على الملكة[62]" خارج متجر السجائر. أخذ نقود المغفلين على مدار اليوم، ولوح بالبطاقات حول صندوق من الورق المقوى. كانت الخواتم على أصابعه تتلألأ وتكاد تصرخ في الشمس. كان تيرنر يحب التحليق والمشاركة في العرض. تتبع عيون النصاب، وتتبع إشارة الأعين وهو يحاول اتباع ورقة الملكة. يقوم بقلب الورق، ثم يعبس وجهه عندما يعرف أنه لم يكن ذكيًا كما اعتقد. تحدى النصاب تيرنر للتغلب عليه، لكن مع مرور الأسابيع شعر بالملل وترك الصبي يتسكّع. قال لتيرنر ذات يوم: "عليك أن تجعلهم يعتقدون أنهم يعرفون ما يحدث. إنهم يرون

ذلك بأعينهم، وتشتت انتباههم بذلك، فلا يتمكنوا من رؤية اللعبة الأكبر".

عندما اقتادوه رجال الشرطة إلى السجن، ظلّ صندوقه الكرتوني في الزقاق القريب من الزاوية لأسابيع.

مع مباراة الملاكمة المفترض إقامتها في اليوم التالي، عاد تيرنر مرة أخرى إلى زاوية الشارع تلك. مشاهدًا لعبة البحث عن الملكة، لا وجود للنصاب أو الإشارات، إنه خارج اللعبة لكن مع معرفة كل قواعدها. في المساء التالي، سيضع الرجال البيض أموالهم وسيعلق الصبية السود آمالهم، ثم يقلب رجل ثقة الآس البستوني ويجمع كل شيء به. تذكر تيرنر الإثارة في قتال أكسل قبل عامين، فرحة مشوشة في إدراك أنه سُمح لهم بالحصول على شيء من أجل التغيير. كانوا سعداء لبضع ساعات، يقضون الوقت في عالم الحرية، ثم يعودون إلى نيكل.

خاسرون، جميعهم.

في صباح مباراة غريف الكبيرة، استيقظ الطلاب السود وهم مضغوطين من الأرق، وامتلأت قاعة الطعام بالثرثرة حول أبعاد ومدى أهمية انتصار غريف الذي يلوح في الأفق. ذلك الصبي الأبيض سيكون بلا أسنان مثل جدتي العجوز. يمكن للطبيب الساحر أن يعطيه دلو أسبرين بالكامل وسيظل يعاني من الصداع. سيبكي أعضاء كو كلوكس كلان تحت أغطية رؤوسهم طوال الأسبوع. كان الصّبية السود يفورون ويتأملون ويحدقون في الفصل، ويتراخون في حقول البطاطا الحلوة. التفكير في احتمال وجود بطل أسود؛ كانتصار أحدهم من أجل التغيير، وأولئك الذين أحبطوك يتحولون إلى غبار، وأخيرًا يتمكنون من رؤية النجوم.

أرفل غريف مثل الدوق الأسود، وعصابة من التشاكس في أعقابه.

أرجع الصّبية الأصغر سنًا اللكمات في الهواء إلى خصوم غير مرئيين، وألّفوا أغنية عن براعة بطلهم الجديد. لم يقم غريف بإيذاء أو إساءة معاملة أي شخص خارج الحلبة منذ أسبوع، كما لو أنه أقسم على الإنجيل، وكبح بلاك مايك ولوني جماح نفسيهما تضامنًا. بكل المقاييس، لم يكن غريف منزعجًا من أمر سبنسر، أو هكذا بدا لإلوود. "يبدو الأمر كما لو أنه نسي"، همس لتيرنر وهم يسيرون إلى المستودع بعد الإفطار.

قال تيرنر: "إذا حصلتُ على كل هذا الاحترام، فسأستمتعُ به أيضًا".

سيبدو الأمر في اليوم التالي كما لو أنه لم يحدث أبدًا. تذكر البطل أكسل عصر اليوم معركته الكبرى، يحرك عربة يد بها إسمنت، مكتئبًا ومخنوقًا مرة أخرى. قال: "متى تكون المرة القادمة التي سيقوم الحمقى الذين يكرهونك ويخافونك بمعاملتك مثل هاري بيلافونتي[63]؟".

قال إلوود متشاغلاً عن حديثه: "أم أنه نسي حقًا!".

في ذلك المساء، تمدّد الزحام إلى صالة الألعاب الرياضية. شغّل بعض صبية المطبخ غلاية كبيرة، وأخرجوا الفشار ووضعوه في أكواز ورقية. وراح التشاكس يقضمون الفشار بصوت عال بينما المتسابقون في الجزء الخلفي من خط النهاية بثوان. تزاحم تيرنر وإلوود وجايمي معًا في منتصف المدرجات، كانت بقعة جيدة. "مرحبًا جايمي، ألا يفترض أن تكون جالسًا هناك؟" سأله تيرنر.

ابتسم جايمي. "من مكاني هذا، أفوز في كلتا الحالتين".

عقد تيرنر ذراعيه وفحص الوجوه في الجزء السفلي قرب الحلبة. كان هناك سبنسر، يصافح أصحاب المناصب في الصف الأمامي، المدير وزوجته، ثم جلس مع الموظفين، متعجرفًا وواثقًا من الفوز. سحب قارورة فضيّة من

معطفه الواقي من المطر وأخذ رشفة. بينما وزّع مدير البنك السيجار، وأخذت السيّدة هاردي واحدة وشاهدها الجميع وهي تنفخ. أجساد رمادية باهتة تتحرك في الضوء العلوي، أشباح حية.

على الجانب الآخر من الغرفة، نقر الصّبية البيض بأقدامهم على الأرضيّة الخشب وكان الضجيج في أقصى صوره. التقطه الصبية السود وانتقل الحماس بالمكان في تدافع مفاجئ. لفّوا دورة كاملة قبل أن يتوقفوا ويهتفوا.

"أرسله إلى الحانوتي!"

قرع الحكم الجرس. الملاكمان كانا بنفس الطول والبناء الجسدي، مقطوعان من نفس المحجر. مباراة متساوية، لكن سجل السود حافل بالبطولات على الرغم من ذلك. في تلك الجولات الافتتاحية، لم يكن هناك رقص أو تهرب. عض الملاكمان بعضهما البعض مرارًا وتكرارًا، وهما يتبادلان الهجمات، يتقاذفان الألم. صرخ الحشد وتهكّم عند كل تقدم أو ارتداد، تعلق بلاك مايك ولوني على الحبال وهما يطلقان صيحات قذرة في بيغ شيت، حتى ركل الحكم أيديهما بعيدًا. إذا كان غريف يخشى هزيمة بيغ شيت بالمصادفة، فإنه لم يبد أيّ إشارة. ضرب العملاق الأسود الصبيَّ الأبيض دون رحمة، واستوعب هجوم خصمه المضاد، وطعن وجه الصبي كما لو كان يشقّ طريقه عبر جدار زنزانة السجن. عندما أعماه الدم والعرق، استمر في إحساسه الغريب تجاه وضع بيغ شيت وصدّه.

في نهاية الجولة الثانية، كان لا بدّ من قول إن المباراة لغريف، على الرغم من هجمات بيغ شيت الرائعة.

قال تيرنر: "جعلها تبدو جيّدة".

عبس إلوود في ترفّع عن الأداء بأكمله، مما جعل تيرنر يبتسم. كانت المباراة مزوّرة وفاسدة مثل سباقات غسيل الصحون التي أخبر تيرنر عنها، وهي أداة أخرى في ماكينة أبقت السود في الأسفل. استمتع تيرنر بميل صديقه الجديد تجاه السخرية، حتى عندما وجد نفسه متأثرًا بسحر القتال الكبير. رؤية غريف - عدوهم وبطلهم - يلحق الأذى بهذا الصبي الأبيض جعل زميله يشعر بأنه على ما يرام، رغم أنّه لم يتوقع ذلك. الآن، بعد أن كانت الجولة الثالثة والأخيرة أصبحت وشيكة، أراد التمسّك بهذا الشعور. لقد كان حقيقيًّا - في دمائهم وعقولهم - حتى لو كان مجرّد كذبة. كان تيرنر على يقين من أن غريف سيفوز رغم أنه كان يعلم أنه لن يفعل. كان تيرنر بمثابة إشارة رغم كل شيء، مغفّل آخر، لكنّه لم يكترث.

تقدّم بيغ شيت على غريف ووجه سلسلة من اللكمات السريعة التي دفعته إلى ركنه. غريف كان محاصرًا وفكّر تيرنر، هيا الآن. لكن الصبي الأسود حاوط خصمه بمسكة قوية وظل واقفًا على قدميه. الضربات الجسدية جعلت الصبي الأبيض يترنّح. توقفت الجولة لثوانٍ ولم يلن غريف، سحق بيغ شيت أنفه بضربة قوية فانتفض غريف. في كل مرّة رأى فيها تيرنر اللحظة المثالية للانهزام - هجوم بيغ شيت الصارم سيغطي حتى أسوأ تمثيل - لكن غريف أبى الاستسلام.

نغز تيرنر بكوعه إلوود، الذي ارتسمت نظرة رعب على وجهه. لقد رأوا ذلك: غريف لم يسقط، صمد من أجل البطولة.

بغض النظر عما سيحدث بعد ذلك.

عندما دقّ الجرس للمرة الأخيرة، كان صبيّا نيكل الموجودان في الحلبة متشابكين، غارقين في الدماء وزلقين، ويسند كل منهما الآخر

كأنهما دعامتا خيمة بشرية. فرّقهما الحكم وترنّحا بجنون إلى أركانهما، منهكي القوى.

قال تيرنر: "اللّعنة".

قال إلوود: "ربما ألغوا الاتفاق".

بالتأكيد، كان من الممكن أن يكون الحكم متورطًا في الأمر وقرروا إصلاحه بهذه الطريقة بدلًا من الاتفاق. ردّة فعل سبنسر بدّدت تلك النظرية. كان المشرف هو الشخص الوحيد في الصف الثاني الذي لا يزال جالسًا، ووجهه عبوسًا غلولًا. استدار أحد أصحاب المناصب إليه، وجهه أحمر وأمسك بذراعه.

وقف غريف مهتزًا على قدميه، تحرك بتثاقل إلى منتصف الحلبة، وصرخ، خنق ضجيج الحشد كلماته. أوقف بلاك مايك ولوني صديقهما، الذي بدا أنه فقد دهائه، كافح لعبور الحلبة.

دعا الحكم الجميع إلى الهدوء وأصدر قراره: ذهبت أول جولتين إلى غريف، والأخيرة إلى بيغ شيت. فاز الصبية السود.

بدلاً من الوثوب بمرح فوق الحلبة في انتصار، راوغ غريف وانطلق طليقًا واجتاز الحلبة إلى حيث جلس سبنسر. الآن سمع تيرنر كلماته: "اعتقدت أنَها الجولة الثانية! اعتقدت أنَها كانت الثانية!" كان لا يزال يصرخ بينما قاده الصبية السود إلى روزفلت، وهم يهتفون ويصيحون لبطلهم. لم يسبق لهم أن رأوا غريف يبكي من قبل واعتبروا دموعه من أجل النصر.

يمكن أن تؤدي الإصابة في الرأس إلى اهتزاز مخك. إن الضرب في رأسك بهذه الطريقة قد يجعلك مرتبكًا ومشوشًا. لم يعتقد تيرنر أبدًا أنه

سيجعلك تنسى حاصل جمع اثنين زائد واحد، لكن غريف لم يكن أبدًا جيدًا في الحساب، كما افترض.

تلك الليلة في الحلبة، كان هو جميعهم في جسد أسود واحد، وجميعهم عندما أخذه الرجال البيض إلى الخلف بالخارج، حتى هاتين الحلقتين الحديديتين. لقد جاؤوا من أجل غريف في تلك الليلة.. ولم يعد أبدًا. انتشرت القصة أنه كان فخورًا جدًا حتى منعه ذلك من الاستسلام للهزيمة، لقد رفض الخنوع. وإن كان ذلك جعل الصّبية يشعرون بتحسن، باعتقادهم أن غريف هرب إلى عالم الحرية، فلن يخبرهم أحد بعكس ذلك، على الرغم من إشارة البعض إلى غرابة عدم إطلاق المدرسة جرس الإنذار أو إرسال الكلاب. عندما قامت ولاية فلوريدا بالحفر ووجدوا جثمانه بعد خمسين عامًا، لاحظ مفتّش الطب الشرعي الكسور في الرسغين وتكهّن بأنّه قد تم تقييده قبل وفاته، بالإضافة إلى أعمال العنف الأخرى التي تشهدها العظام المكسورة.

معظم هؤلاء الذين يعرفون قصّة الحلقات الحديدية المثبتة بالأشجار هم أموات الآن. الحديد ما زال هناك، صدئ، في أعماق قلب اللحاء، إنّها شهادة لمن يهتم.

الفصل العاشر

كان الأوغاد يثقبون رؤوس الرّنة، لقد توقعوا قدرًا معينًا من الإجهاد بعد الإجازة، عندما تجمع الصبية لتنظيم زينة الكريسماس اللطيفة. قرون منحنية، سيقان ملتوية إثر تمزقات عند المفصل، ما كان يقع أمامهم كان تخريبًا شريرًا.

قالت آنسة بيكر: "انظر إلى هذا"، وزمّت شفتيها. كانت الآنسة أصغر من أن تكون معلمة بنيكل، وتميل للغضب قليلًا. نشأ غضبها المستمر من حالة غرف رسم الصبية السود المؤسفة، والأدوات العشوائية، وما لا يمكن تفسيره إلا على أنه مقاومة جماعية ضد التحسينات المتعددة التي تقوم بها. لا يستمر المعلمون الشباب لفترة طويلة قبل أن ينتقلوا، "كل هذا العمل الشاق".

سحب تيرنر الصحيفة المكرمشة من جمجمة الرنة وفك تجعدها. كان العنوان الرئيسي حول مناظرة نيكسون وكينيدي الأولى[64]: هزيمة. عقّب تيرنر: "هذا الشخص ميؤوس منه".

رفع إلوود يده: "هل تريدين منا صنع مجسم لكل الجدد أم الرؤوس الجديدة فحسب، آنسة بيكر؟"

قالت: "أعتقد أنه بإمكاننا إصلاح الأجساد". تجهّمت ولفّت شعرها الأحمر المجعّد في كعكة: "نصنع الرؤوس فحسب، اضبطوا الفراء فوق الأجساد والعام المقبل سنبدأ من الصفر".

الزوار من جميع أنحاء غرب فلوريدا، وعائلات من جورجيا وألاباما يتنقلون كل عام ليشاهدوا معرض الكريسماس السنوي. لقد كان فخر الإدارة، وإثبات أن منحة جمع التبرعات من أجل الإصلاح، لم تكن مجرد فكرة سامية، بل كان اقتراحًا عمليًا. استثمار قليل مقابل الكثير من المعدات، خمسة أميال من الأضواء الملونة تتدلى من شجر الأرز حتى أسطح الجزء الجنوبي. كما احتاج سانتا طوله ثلاثين قدمًا عند أسفل المحرك إلى رافعة لضبط وقفته، وتم تمرير تعليمات الإدارة للقطار البخاري المصغّر الذي يدور حول ملعب كرة القدم منذ عقود كزخارف موكب ديني مهيب.

جذب عرض العام الماضي أكثر من مئة ألف ضيف. ومع ذلك أصرّ المدير هاردي على عدم وجود سبب لعدم تمكن الصبية الجيّدين في أكاديمية نيكل من تحسين هذا الرقم.

تكفّل الطلاب البيض بتجميل المبنى وإعادة تكوين العروض الكبيرة، الزلاجة العملاقة، ومغارة الميلاد[65] ومسارات القطار، أما الطلاب السود فقد قاموا بمعظم الرسم. اللمسات، وكل الإضافات الجديدة. تصحيح الأخطاء الفنية للأولاد السابقين الأقل اهتماماً بالتفاصيل وتجديد الخيول القديمة. تصطف حلوى العصا التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة أقدام في كل ممر بالمسكن وكانت تتطلب دائمًا بضع لمسات جديدة من الطلاء الأحمر والأبيض. تتميز بطاقات عيد الميلاد القبيحة التي كانت بحجم الملصق، بخدع القطب الشمالي، والمفضلات من القصص الخيالية مثل هانسل وغريتل[66]، والخَنازير الثلاثة الصغيرة[67]، والإبداعات التوراتية. تميل الملصقات المعلقة فوق حامل على طول الطرق التي تؤدي إلى المدرسة كما لو كانت تزين بهو المسرح الكبير.

أحب الطلاب هذا الوقت من العام، كان يذكرهم بالكريسماس في الوطن بائس كحالهم، أو ربما كان أول عطلة حقيقية في حياتهم كلها. الجميع حصل على هدايا - كانت مقاطعة جاكسون سخية فيما يخص ذلك، الأبيض والأسود على حد سواء، ليس فقط السترات والملابس الداخلية، ولكن قفازات البيسبول وصناديق رجال الجيش الصفيح. وهكذا، في صباح أحد الأيام، كانوا مثل الصّبية في منازلهم الجميلة في أحياء بهيّة، حيث كان الجو هادئًا خلال الليل وخالٍ من الكوابيس.

تيرنر كان لديه سبب للابتسام، عدل بطاقة رجل الزنجبيل[68] ولاحت على باله صرخته في القصة: "لا يمكنك الإمساك بي، لا يمكنك الإمساك بي". طريقة جيدة ليكون بها رجلًا حقيقيًا، لكنّه نسي نهاية القصة.

وافقت الآنسة بيكر على عمله ثم انضم إلى جايمي وإلوود وديزموند بالقرب من مكان الورق المعجن، همس ديزموند: "جايمي يقول إيرل".

وجد ديزموند الأشياء؛ لكن جايمي توصل إلى المخطط. لقد كان اقتراحًا غير مرجح من طالب وصل للتو إلى مستوى الرُوّاد بسرعة شديدة. نشأ جايمي في تالاهاسي مثل إلوود، لكنهما لم يتمكنا من تسمية مكانين مشتركين بينهما. أحياء مختلفة ومدن مختلفة. قيل له إن والده كان رجلًا نصابًا بدوام كامل، وبائعًا إقليميًّا بدوام جزئي لشركة مكنسة كهربائية، كان يخرج في مساره حول غرب فلوريدا ويطرق على الأبواب. لم يكن من الواضح كيف التقى بوالدة جايمي، لكن جايمي كان دليلًا على معرفتهما، وكانت المكنسة الكهربائية التي نقلوها من منزل مؤقت إلى منزل آخر مؤقت دليلًا أيضًا.

كانت والدة جايمي، إيلي، عاملة نظافة في مصنع تعبئة كوكاكولا

جنوب مونرو، بشارع أُل سانتس. اعتاد جايمي وعصابته المشاغبة التسكع حول ساحة السكك الحديدية القريبة. لعب كرابس[69]، ومرر نسخة مثيرة من بلاي بوي. لقد كان صبيًّا جيدًا، ولم يكن الأكثر اجتهادًا فيما يتعلق بالالتحاق بالمدرسة، لكنه لم يكن ليُرى داخل نيكل أبدًا لولا المستودع. حيث وضع عجوز سكّير، كان يظهر كالشبح في الساحات، يده داخل سروال أحد أفراد العصابة فضربوه بلا هوادة، كان جايمي الوحيد الذي لم ينجُ من الشرطة في هذه المشادّة.

خلال فترة وجوده في نيكل، تجنب الصبي المكسيكي المشاجرات التي تورط فيها بقيّتهم، المناقشات التي لا حصر لها حول التأثير النفسي والذكريات والانتهاكات التي لا نهاية لها. وعلى الرغم من عمليات إعادة تسكينه المستمرة، حافظ جايمي على ملف شخصي هادئ وتصرف وفقًا لقواعد السلوك في كتيّب نيكل، كمعجزة، حيث لم يسبق لأحد أن شاهد ذاك الكتيّب رغم دعوات الموظفين المستمرة لاتّباعه! مثل العدالة، كان وجود الكتيّب نظريًّا فقط.

لذلك، إنّ وضع الخمر في مشروب المشرف لم يكن من سماته.

ومع ذلك قال: إيرل.

عمل ديزموند في حقول البطاطا الحلوة، دون شكوى. كان يحب رائحة البطاطا عندما يحين وقت قطفها، تلك الرائحة الدافئة التي تشبه الطحالب، مثل عَرَقِ والده عندما يعود إلى المنزل من العمل ويتأكد من أنه موجودٌ في مكانه الصحيح.

في الأسبوع السابق كان ديزموند جزءًا من فريق أُمر بإعادة ترتيب الكوخ، كان رماديًّا كبيرًا احتفظوا داخله بالجرارات. احترقت نصف

المصابيح وأقامت الحشرات منزلًا في أماكن مختلفة، كما غطّت شبكات العنكبوت إحدى الزوايا. طعن ديزموند الزهور البيضاء بالمقشّة، حذرًا مما قد ينفجر بداخلها. وجد بعض العلب المفكوكة المكدسة هناك واستطاع قراءة ما عليها ثم وجد مكانًا لها، لكن كان هناك علبة خضراء باهتة لدرجة يصعب قراءة ما كتب فوقها. هزها: كان ما بداخلها صلبًا. سأل أحد الصّبية الأكبر سنًا ماذا يفعل بها، فقال الصبي أنه ينبغي أن لا تكون هناك: "هذا دواء للخيول، لجعلهم يتقيأون عندما يأكلون شيئًا يجب عليهم تجنّبه". كانت الاسطبلات القديمة في مكان قريب، ربما انتهى الأمر بهذه القمامة هنا عندما أغلقوها. في نيكل، تميل الأشياء إلى أن تنتهي حيث كان من المفترض أن تكون، لكن الروح الكسولة أو المؤذية أحيانًا تخرّب النظام.

أخفى ديزموند الدواء في سترته وأخذه إلى كليفلاند.

أحدهم اقترح - عندما انتهى كل شيء، ولم يتذكر أحد من - أن يضعه في شراب موظف ما. وإلا لماذا أخذها ديزموند؟ لكن جايمي هو الذي جعل المخطط حقيقيًا في تفنيده الهادئ لأي رأي مخالف. "ستختار من؟" سأل جايمي أصدقاءه بدورهم، في أجواء بلاغية. كان جايمي يعاني من تأتأة ظهرت عندما طرح أسئلة - كان يحمل ضميرًا يقظًا - لكنها اختفت أثناء مناقشات العلبة.

وقع اختيار ديزموند على باتريك الموظف؛ الذي كان يضربه لتبليل سريره، ثم يجعله يسحب مرتبته المتسخة إلى الغسيل في منتصف الليل. "هذا الأبيض اللعين.. أود أن أراه يتقيأ أحشائه".

كانوا في غرفة المعيشة في كليفلاند، بعد خروجهم من المدرسة، لا أحد في الجوار. من حين لآخر تهب هتافات من أحد الملاعب الرياضية

المنتشرة. ستختار من؟ اقترح إلوود دوجين، ما كان أحد يعرف أن بينه وبين دوجين عداوة. كان دوجين رجلاً أبيض ثريًّا يدوس في الأرجاء بنظرة ناعسة تشبه عين بقرة. كانت لديه طريقة للظهور أمامك فجأة، مثل بركة أو حفرة، وستتعلم أن يديه الكبيرتين القويتين أسرع مما كنت تعتقد، يقبضان على لوحي الكتفين، يعلقان رقبة نحيفة وهكذا. أخبرهم إلوود أن المشرف لكمه ببطنه بسبب حديثه إلى طالب أبيض، كان قد التقى به في المستشفى. تم تثبيط التآخي بين طلاب الجزأين. أومأ الصّبية برأسهم - "أمر منطقي" - لكنهم جميعًا يعرفون أنه يريد حقًّا إعطاء الدواء لسبنسر، انتقاما لساقيه. لم يجرؤ أحد على ذكر اسم سبنسر بالقرب من حلم اليقظة هذا وإلا فلن يضيعوا أبدًا وقتهم على شيء كهذا.

قال تيرنر: "سأختار وينرايت"، عندها أخبرهم كيف أمسكه وينرايت وهو يدخن السجائر، خلال فصله الدراسي الأول في نيكل. ضربه على رأسه لدرجة أورمت خده. كان وينرايت شاحب البشرة، لكن كل الصبية السود يعرفون من شعره وأنفه أنه منحدر من دم أسود. لقد ضرب الصبية السود لكشفهم إخفاء ما يعرفه عن نفسه. "كنت أصغر سنًّا منك يا إل، في ذلك الوقت"، ومنذ ذلك الحين لم يصادفه أحد يدخن.

كان دور جايمي، قال ببساطة: "إيرل" ولم يخض في التفاصيل.

"لماذا؟"

"هو يعرف!".

مَرّت الأيام وتداولوا المزحة بين لعبة الداما وتنس الطاولة. وكانت أهداف مختلفة تظهر حين يروا إساءة معاملة طالب آخر أو يتذكرون فجأة بعض المواجهات الشخصية، أو التوبيخ، أو لكمة ما على الأذن. لكن بقي

اسم واحد ثابتًا: "إيرل". أسقط إلوود دوجين من اقتراحاته وأضاف إيرل يومًا ما. لم يكن إيرل قد ضرب إلوود في الليلة التي أخذوه فيها إلى البيت الأبيض، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب حتى من سبنسر الذي أسقطه من المزحة مرة. فكان إيرل قريبًا بما فيه الكفاية.

من المحتمل أن إلوود كان يعرف الإجابة بالفعل عندما سأل، "ما هو غداء العطلة؟"

تم وضع علامة على يوم غداء العطلة بالتقويم الكبير في قاعة مدخل المسكن. قال ديزموند أن هذا الغداء لم يكن لهم، بل للموظفين فقط. وجبة لذيذة في قاعة الطعام للاحتفال بسنة أخرى من العمل الجاد في الجزء الشمالي.

قال تيرنر: "ويقومون بمداهمة خزانات اللحوم من أجل اللحم البقري الممتاز لأنفسهم". كان الصبية يتطوعون في هذه المناسبة للعمل كنادلين، وبذلك تتاح لهم الفرصة للحصول على بعض المزايا التي تساعدهم في الترقية.

قال ديزموند: "سيكون هذا هو الوقت المناسب للقيام بذلك"، قال ولم يقل.

جايمي، كما كان دائمًا، قال: "إيرل".

عمل إيرل أحيانًا في الجزء الجنوبي، وأحيانًا في الشمالي. في معظم الظروف، كانوا قد سمعوا عن العداوة بين جايمي والمشرف، لكن كلاهما قضى وقتًا في النصف الأبيض ولا أحد يعرف ما حدث بينهما هناك. قد يكون جولة لزقاق العشاق[70]، أو حديث دار في الخلف، أو مقلب من أحد الصّبية البيض. كان إيرل منتظمًا في جلسات الشرب في مرآب السيارات

غير المستعملة. عندما يكون مصباح مرآب السيارات مضاءً في الليل وتسمع صياحهم، تدعو أن لا يضربون رأسك أو يختارونك لموعد في زقاق العشاق، لأنه سينتهي الأمر في كل الأحوال نهاية سيئة.

دواء غريب في علبة خضراء قديمة، جمع الصّبية الكلمات والترانيم من تعويذة العدالة، العدل أو الانتقام. لم يرغب أحد في الاعتراف بأنها كانت خطة حقيقية طهوها على مهل طوال الوقت. استمروا في العودة إليها مع اقتراب الكريسماس، ومرروا الفكرة بينهم، لذلك اعتبر كل منهم مسؤول عنها. مع تطور المزحة من التجريد إلى شيء أكثر واقعية، مليء بأسئلة الكيفية والأوقات المناسبة وماذا لو، توقف ديزموند وتيرنر وجايمي عن ضم إلوود دون أن يدركوا ذلك. كانت المزحة ضد ضميره الأخلاقي، من الصعب تصوير القس مارتن لوثر كينغ الابن وهو يعطي الحاكم أورفال فاوبوس[71] بضع أونصات من هذه الدواء. وضرب إلوود في البيت الأبيض جعله يعاني من ندوب في كل مكان، وليس فقط ساقيه. لقد نخر الضرب عميقًا في شخصيته، تلك الطريقة التي تغرق بها أكتافه عندما يظهر سبنسر، يجفل وينكمش. لم يكن بإمكانه تحمل الحديث كثيرًا عن الانتقام إلا قبل أن يصدمه الواقع.

ثم خبت الفكرة ولم يعد الصبية يتحدثون عنها. قال ديزموند: "سيقتلوننا"، عندما أثار جايمي جولة أخرى مِن "سنختار مَن؟"، قال: "علينا توخي الحذر".

قال ديزموند: "سأذهب إلى لعب كرة سلة"، وخرج.

تنهّد تيرنر، كان عليه أن يعترف بأن الفكرة أصبحت مملة. كان من الجيد لبعض الوقت أن يتخيلوا أحد معذبيهم يتقيأ في جميع أنحاء المأدبة

اللذيذة في غداء العطلة، وهو يلوث كل هؤلاء الحمقى البيض بفوضاه. يوسخ سرواله، ووجهه يصبح أحمر كالفراولة من الألم، يتقيأ كل شيء حتى يصبح ما يخرج ليس طعامًا؛ بل دمه الأسود. رؤية ممتعة، نوع مختلف من الأدوية. لكنهم لن يفعلوا ذلك، وهذه الحقيقة أفسدت المتعة. وقف تيرنر، وهزّ جايمي رأسه وانضم إليهم في كرة السلة.

الجمعة، يوم غداء العطلة، كان طاقم الخدمة المجتمعية في الخارج في جولات. انتهى هاربر، وتيرنر، وإلوود للتو من متجر "التخفيضات" عندما قال المشرف إن لديه شيئًا ما عليه القيام به. قال لهم: "سأعود في على الفور، يمكنكم الانتظار هنا".

اختفت الشاحنة. سار تيرنر وإلوود في زقاق مليء بالحصى إلى الشارع. كان هاربر قد تركهما بمفردهما من قبل، عندما كانوا يعملان في منزل أحد أعضاء مجلس الإدارة. لكن لم يفعل ذلك قط في ماين ستريت. حتى بعد شهرين من العمل في الأزقة الخلفية، كان إلوود مرتابًا. "يمكننا أن نتجول؟" قال لتيرنر.

قال تيرنر، متظاهرًا أن ذلك حدث من قبل مرات عديدة: "لا يتعين علينا إثارة الضجة، لكن نعم". لم تكن رؤية طلاب نيكل في ماين ستريت أمرًا غير مألوف. كان الطلاب يغادرون الحافلات المدرسية الرمادية في زيهم الجينز الذي أصدرته الدولة للخدمة المجتمعية - خدمة المجتمع الحقيقية، وليست الخدمات الخاصة التي يقوم بها تيرنر وإلوود - لتنظيف القمامة من الحديقة بعد ألعاب الرابع من يوليو[72] النارية أو بعد موكب يوم المؤسسين[73]. مرة واحدة في الموسم، زارت الجوقة الكنيسةَ المعمدانية لعرض أصواتهم الجميلة حيث وزع سكرتير المدير هاردي مظاريف للتبرعات.

كما قد يرى الناس صبي بصحبة مشرف يندفع إلى المدينة للعمل. ومع ذلك، كان هناك صبيان أسودان متسخان بمفردهما، كانت ساعة الغداء. حاول الناس البيض في إليانور الاستفسار منهما، ولم يبد على الصبيان المكر أو الخوف. ربما كان مشرفهما داخل متجر الأجهزة، كان السيد بونتمبز يكره الزنوج لذلك جعلهما ينتظران في الخارج. سار البيض، لم يكن هذا من شأنهم على أي حال.

ملأت ألعاب الكريسماس - الروبوتات المتحركة والمسدسات الهوائية والقطارات الملونة - النافذة الأمامية لنافذة متجر "التخفيضات". استطاع الصبيان أن يخفيا حماسهما تجاه أغراض الأطفال الصغار التي لا تزال تتمتع بجاذبية. سارا بسرعة بجانب البنك. بدا وكأنه مكان قد يظهر فيه أعضاء مجلس الإدارة، أو على الأقل رجال بيض يتمتعون بالسلطة ويوقعون على وثائق رسمية، مثل أوامر المدرسة الإصلاحية.

قال إلوود: "من الغريب أن نكون هنا".

قال تيرنر: "لا بأس".

قال إلوود: "لا أحد يراقبنا".

كان الرصيف خاليًا، وحركة المرور خفيفة في الظهيرة. نظر تيرنر حوله وابتسم. كان يعرف ما كان يفكر فيه إلوود. قال تيرنر: "يتحدث معظمهم عن الهرب عبر المستنقع، يغسلون رائحتهم حتى لا تتمكن الكلاب من تتبعهم، ثم يختبئون هناك حتى يصبح الساحل خاليًا ثم يذهبون إلى أي مكَان. غربًا أو شمالاً. هذه هي الطريقة التي يوصلون بها إليك، لأن هذا هو المكان الذي يركض إليه الجميع، ولا يمكنك غسل أي رائحة، هذا فقط في الأفلام".

"كيف ستفعلها إذن؟".

لقد قلبها تيرنر في رأسه عدة مرات لكنه لم يشارك الفكرة مع أي شخص. "تخرج هنا إلى عالم الحرية، لا عبر المستنقع. تنتزع الملابس من أي حبل غسيل. ثم تتجه جنوبًا، وليس شمالًا، لأنهم لا يتوقعون ذلك. تلك المنازل الفارغة التي نمر عليها أثناء توصيلاتنا؟ منزل السيد توليفر، إنه دائمًا متغيب في العاصمة من أجل الأعمال، ومنزله فارغ. داهم المنزل للحصول على الإمدادات ثم ضع العديد من الأميال بينك وبين الكلاب قدر الإمكان، وقم بإرهاقهم. الحيلة أنك لا تفعل ما يتوقعونه منك". ثم تذكر الجزء الأكثر أهمية: "ولا تأخذ أحدًا معك، ليس واحدًا من هؤلاء الدمى، سوف يثبطونك معهم".

تمهّلا أمام الصيدلية، كانت تقف امرأة شقراء خلف زجاج الفاترينة منحنية فوق عربة، وتضع الآيس كريم في فم طفلها بملعقة. كان الصغير في حالة فوضى، ملطخًا بالشوكولاتة ويصيح من السعادة.

"هل لديك أي نقود؟" سأل تيرنر.

قال إلوود: "أكثر مما حصلت أنت عليه".

لا مال على الإطلاق، ضحكا لأنهما كانا يعرفان أن الصيدلية لا تخدم الزبائن السود، أحيانًا كان الضحك يزيل بعض قطع الطوب من متراس التمييز العنصري، عاليًا جدًا وواسعًا جدًا، وضحكا لأن الآيس كريم كان آخر شيء أراداه.

كان نفور إلوود مفهومًا، فقد تركت زيارة مصنع الآيس كريم بصماتها. أما تيرنر فقد كره الآيس كريم بسبب صديق خالته، الذي انتقل للعيش معهما عندما كان في الحادية عشرة من عمره. مافيس كانت أخت والدته

وعائلته الوحيدة. لم تكن ولاية فلوريدا على علم بها، وبالتالي كانت هي المساحة الفارغة في الملفات حيث كان يجب كتابة اسمها، عاش معها لفترة من الوقت. كان والده كلارنس، "متسكعًا" إلى حد ما، عرف من دون إخباره لأنه كان يعاني من نفس البلاء. تذكره تيرنر، كان لديه يدان بنيتان كبيرتان وضحكة مكتومة خشنة. عندما يسمع أوراق الخريف تشخشخ في الريح، يتذكر تلك الضحكة الخافتة. بنفس الطريقة التي يتذكر بها صبية نيكل بعد عقود من زيارات البيت الأبيض، عندما يسمعون صوت مكابس الجلد.

رأى تيرنر والده آخر مرة عندما كان في الثالثة من عمره. بعد ذلك، ذهبَ الرجل مع الريح. أمه – دوروثي - ظلت تنتظر عودته لفترة طويلة، بما يكفي لتختنق من القيء. كان الخمر الرخيص الرديء هو ذائقتها، الأقوى منه كان أفضل. الأشياء التي شربتها ليلة وفاتها تركتها ملتوية وزرقاء باردة على أريكة الغرفة الأمامية. يعرف مكانها الآن - تحت ستة أقدام في مقبرة القديس سيباستيان - وهو الشيء الذي تفوّق به على صديقه النبيل إلوود. رحلت والدة إلوود ووالده غربًا ولم يرسلا حتى بطاقة بريدية. أي نوع من الأمهات هي التي تترك طفلها في منتصف الليل؟ أمٌّ لا تكترث على الإطلاق. دوّن هذه الملاحظة في رأسه ليستخدمها كضربة أسفل الحزام إذا دخل هو وإلوود في قتال حقيقي. عرف تيرنر أن والدته أحبته، لكنها أحبت الخمور أكثر.

استقبلته خالته مافيس وتأكدت من أن تيرنر لديه ملابس جميلة للمَدرسة وثلاث وجبات. في يوم السبت الأخير من كل شهر كانت ترتدي فستانها الأحمر الجميل وتضع العطر حول رقبتها وتخرج مع صديقاتها، لكن بصرف النظر عن ذلك كانت حياتها هي تيرنر والمستشفى، حيث عملت

ممرضة. لم يسبق لأحد أن وصفها بأنها جميلة. كانت لديها عيون سوداء صغيرة، أُضيف لهما ذقن، وعندما بدأ إشمائيل يغازلها، لانَت بسرعة.

وصفها بالجميلة وغيرها من الصفات الأخرى التي لم تسمع بها من قبل. إشمائيل، الذي كان عامل صيانة في مطار هيوستن، قدم نفسه لها كأنه زهرة طبيعية، وكاد ينجح في إخفاء الرائحة المصطنعة المتغلغلة في جلده بغض النظر عن عدد مرات استحمامه.

كان إشمائيل رجلًا مزعجًا، احتفظ داخله بالعنف مثل البطاريات، تعلم تيرنر التعرف على هؤلاء الرجال منذ ذلك الحين. كيف سطعت مافيس عند التفكير به، حيث غنت مقتطفات من المسرحيات الموسيقية التي أحبتها، وحبست نفسها في حمام القاعة بصحبة مكواة شعر بينما كان الراديو يهمس. تغني مع اللحن وتنشز عنه. لم يخطر ببال تيرنر أبدًا سبب ارتدائها للنظارات الشمسية لمدة أسبوعين متتاليين في المرة الواحدة، لماذا بقيت في غرفتها في بعض الصباحات ولم تخرج إلا بعد الظهيرة، وهي تعرج بأنين ناعم.

بعد يوم من وضع تيرنر نفسه بين مافيس وقبضتي إشمائيل، أخذه الرجل لتناول الآيس كريم. متجر أ. جي. سميث، في شارع ماركت. "احضر لهذا الشاب أكبر مثلجات لديك"، كانت كل قضمة مثل الصفعة على الفم. لقد أكل كل ملعقة بائسة ومنذ ذلك الحين صدمه فكرة أن الكبار يحاولون دائمًا شراء الأطفال لجعلهم ينسون أفعالهم السيئة. كان طعم الحقيقة هذه في فمه عندما هرب من منزل خالته في المرة الأخيرة.

تقدّم نيكل للطلاب آيس كريم الفانيليا مرة واحدة في الشهر، مما يجعلهم سعداء للغاية، كمجموعة من البهائم السائبة الغبية في الزريبة، لدرجة أن تيرنر أراد أن يطرحهم أرضًا جميعًا. يوم الأربعاء الثالث من

الشهر، حمل تيرنر وإلوود معظم حصص الجزء الشمالي من الآيس كريم عبر الباب الخلفي لصيدلية إليانور. شعر تيرنر أنه كان يؤدي خدمة لزملائه الطلاب، تجنيبهم أكله.

دفعت السيدة الشقراء العربة باتجاه الباب وأمسك إلوود الباب ليبقى مفتوحًا لها، لم تقل كلمة واحدة.

توقف هاربر بالشاحنة أمامهما وأشار لهما ليركبا على المقعد الأمامي. "أيها الصّبية، هل أزعجتما أي أحد؟"

قال تيرنر "لا يا سيدي"، همس إلى إلوود: "لا تسرق خطتي الآن يا إل. هذا القذر من الذهب الخالص". ثم ركبا الشاحنة.

عندما تجاوزوا مبنى الإدارة باتجاه الجزء الأسود، وجدوا الطلاب واقفين في تجمعات قلقة على العشب. أبطأ هاربر واستدعى أحد الصّبية البيض، وسأله: "ماذا يحدث؟"

"لقد أخذوا السيد إيرل إلى المستشفى، لقد مرض فجأة".

أوقف هاربر الشاحنة عند المستودع وركض إلى المستشفى. اندفع إلوود وتيرنر إلى كليفلاند. مسح إلوود كل الطرق بنظره مثل سنجاب وحاول تيرنر الحفاظ على معنوياته مرتفعة، مما جعله يتحرك مثل روبوت الفضاء، كانوا بحاجة إلى أخبار. على الرغم من تباعد جزئي المدرسة، تناقل الصبية السود والبيض الأخبار لتفادي المشاكل. في بعض الأحيان، كانت نيكل تشبه العودة إلى المنزل، حيث يقوم أخواتك الكبار الذين كرهتهم بتحذيرَك من المزاج المتعكر لأحد الوالدين لكونه شرب الخمور طوال اليوم، كي تتمكن من اتخاذ استعدادات المواجهة.

وجدا ديزموند خارج قاعة طعام السود، نظر تيرنر إلى الداخل. كانت

طاولة الموظفين لا تزال موضوعة في أعقاب تلك الكارثة؛ نصف مجموعة، وتشير الكراسي المقلوبة إلى حدوث ضجة، وأظهرت لطخة الدم المكان الذي سحبوا منه إيرل.

قال ديزموند: "لا أعتقد أنه دواء". أضاف صوته العميق لهجة مؤلمة.

لكمه تيرنر في كتفه: "ستتسبب في قتلنا!".

"لم أكن أنا! لم أكن أنا!" قال ديزموند. نظر من فوق كتف تيرنر باتجاه البيت الأبيض.

غطت يد إلوود فمه؛ كان هناك نصف بصمة حذاء في الدم، انطلق نحو المنحدر واستدار لمعرفة ما إذا كانوا آتون من أجلهم: "أين جايمي؟"

قال ديزموند متوعدًا: "هذا الزنجي!".

لقد وضعوا خطة على سلالم قاعة الطعام، اقترح تيرنر أن يخرجوا ويجمعوا معلومات عن حالة إيرل من الطلاب الآخرين. لم يقل إنه يريد البقاء هناك لأن رؤية الطريق المتاخم للجانب الشرقي من المباني مفتوحة ومباشرة. إذا جاء سبنسر بصحبة مجموعة، سيهرب إلى الخارج بأسرع طريقة. لا تستطيع الإمساك بي، أنا رجل الزنجبيل.

ظهر جايمي بعد ساعة، وبدا أشعث ومصابًا بالدوار بعض الشيء، كما لو كان قد نزل لتوه من أرجوحة الساقية، أكمل القصة التي حصلوا عليها من الصّبية الآخرين؛ بدأت مأدبة غداء العطلة كما المعتاد دائمًا، غطاء المائدة الخاص الذي لا يرى النور سوى مرة واحدة فقط في السنة يغطي طاولة الموظفين، وتم مسح الأطباق اللطيفة من الغبار. جلس المشرفون بأماكنهم وشربوا البيرة، وتبادلوا القصص الصاخبة والتكهنات المشكوك بها حول الأمناء والمدرسين. كانوا صاخبين ورفّهوا عن أنفسهم.

بعد دقائق قليلة من تناول الوجبة، اندفع إيرل وأمسك بطنه، ظنوا أنه كان يختنق. ثم بدأ في تقيؤ ما بداخله مثل بخاخ. عندما بدأ الدم في الظهور، حملوه إلى أسفل التل نحو المستشفى.

أخبرهم جايمي أنه انتظر بين الصبية خارج الجناح حتى نقلته سيارة الإسعاف بعيدًا.

قال إلوود: "أنت مجنون".

قال جايمي: "لم أفعل ذلك"، كان وجهه خالي من التعبير: "كنت ألعب كرة القدم، الجميع رآني".

قال ديزموند: "لقد اختفت العلبة من خزانتي".

قال جايمي: "قلت لك.. إنني لم آخذها، ربما سرق شخص ما هذه المصيبة وفعلها"، ضرب كتف ديزموند وأكمل: "ثم إنك قلت إنه مجرّد دواء للأحصنة!".

قال ديزموند: "هذا ما قالوه لي، لقد رأيتها، كان مرسومًا عليها حصان".

قال تيرنر: "يمكن أن يكون عنزة".

قال إلوود: "ربما كان سم أحصنة".

وأضاف تيرنر: "أو سم ماعز".

قال ديزموند: "إنهم ليسوا جرذان يا غبي. نطلق النار على الخيول، لا نسممها".

قال جايمي: "إنه محظوظ لأنه لم يمت حينها"، واصل إلوود وديزموند الضغط عليه، لكن أقواله لم تتغير.

كان من الصعب أن تفوت الابتسامة التي كانت توسع فم جايمي من

وقت لآخر. لم يكن تيرنر غاضبًا لأن جايمي كذب عليهم، لقد أعجب بالكذابين الذين استمروا في الكذب على الرغم من أن أكاذيبهم كانت واضحة، لكن لم يكن هناك شيء يمكن لأي شخص فعله حيال ذلك. دليل آخر على عجز المرء أمام الآخرين؛ لم يكن جايمي سيعترف بذلك، لذا راقب تيرنر فحسب الصبية والحركة أسفل التل.

لم يمت إيرل، كما أنه لم يعد إلى العمل، كانت أوامر الطبيب. سوف يسمعون عن ذلك في الأيام القادمة، وبعد أسابيع قليلة من ذلك، اكتشفوا أن بديل إيرل رجل طويل القامة يُدعى هينيبين، كان مصنوعًا من أشياء أكثر حقارة، وقد أخضع العديد من الصبية لأهوائه القاسية. لكنهم اجتازوا ذلك المساء الأول دون قلق، وعندما وردت أنباء أن الدكتور كوك أرجع صحة إيرل إلى حالته الصحية - كان لديه تاريخ مرضي عائلي على ما يبدو - فتوقف تيرنر عن التخطيط لهروبه.

قبل إطفاء الأنوار بقليل، كان هو وإلوود يتسكعان بالقرب من شجرة البلوط الكبيرة أمام المسكن. هدأ فناء المدرسة، أراد تيرنر سيجارة، لكن حقيبته كانت في طابق المستودع العلوي، فصفر بدلاً من ذلك أغنية ألفيس التي استمر هاربر في غنائها أثناء رحلاتهم معًا.

بدأت حشرات الليل في إصدار أصواتها، قال تيرنر: "إيرل، إنه قذر".

قال إلوود: "أتمنى لو كنت هناك لرؤيته".

"ها!".

قال إلوود: "كنت أتمنى لو كان سبنسر، لصار أمرًا لطيفًا"، ذهبت كفه إلى أسفل فخذه، إلى البقعة التي كان يفركها عندما يتذكر.

سمعوا صوتًا صاخبًا أسفل التل، أشعل المشرفون أضواء احتفالات

الكريسماس وألقى الصّبية نظرة على نتائج كل العمل الشاق في الأسابيع القليلة الماضية. رسمت المصابيح الخضراء والحمراء والبيضاء طريق بهجة العيد على طول الأشجار ومباني الجزء الجنوبي. بعيدًا في الظلام، توهّج سانتا الكبير عند المدخل من الداخل بنيران شيطانية.

قال تيرنر: "هذه بعض الأضواء".

بعد البيت الأبيض، حددت الأضواء الوامضة الخطوط العريضة لخزان المياه القديم، حيثما سقط أحد الصّبية البيض من على السلم بينما كان يثبتهم بالمسامير وكسر عظمة الترقوة. زينت الأضواء على السندات الخشبية على شكل حرف X، ودارت حول الخزان الضخم، وحددت قمته المثلثية. مثل سفينة الفضاء التي تستعد للإقلاع. ذكّر هذا تيرنر بشيء ما، ثم خطرت له مدينة الملاهي تلك، فن تاون، من الإعلانات التجارية التلفزيونية. تلك الموسيقى الغبية السعيدة، والعربات الكثيرة ولعبة قطار الموت، والصاروخ الذري. تحدث الصّبية الآخرون عن المكان من وقت لآخر، وإنهم سيذهبون إلى هناك عندما يكونون في عالم الحريّة مرة أخرى. فكر تيرنر أن ذلك من الغباء. لم يسمحوا للسود الدخول إلى تلك الأماكن الجميلة حتى الآن. لكنه كان هناك أمامه، يصل إلى النجوم، ومزين بمئة ضوء وامض، في انتظار الإقلاع: الصاروخ؛ ينطلق في الظلام باتجاه كوكب مظلم آخر لا يمكنهم رؤيته.

قال تيرنر: "يبدو جميلاً".

قال إلوود: "لقد قمنا بعمل جيد".

الجزء الثالث

الفصل الحادي عشر

"إلوود؟"

لقد همهم ردًا من غرفة المعيشة، حيث أوصلت النافذة بعض من ضوضاء برودواي أدناه؛ متجر سامي لتصليح الأحذية، وكالة السفر المغلقة، والمَنصَف الممتد على مدى الطريق. سمحت له زاوية جلوسه برؤية الشارع أمامه على شكل شبه منحرف، كان بمثابة قبة ثلجية يملكها في المدينة. وبدا له مكانًا جيدًا للتدخين واحتفظ بمكان جيد عند عتبة النافذة ليجلس فيه دون أن يؤذي ظهره.

قالت دينيس: "سأذهب للحصول على كيس ثلج، لا أطيق صبرًا"، وأغلقت خلفها الباب، لقد حصلت على مفتاح شقته الأسبوع الماضي.

لم يكن يمانع حرارة الجو، بالطبع فقد عرفت هذه المدينة كيف تفتعلُ صيفًا بائسًا، باستثناء أنه لم يكن في الجنوب أي شيء غير تلك الأيام الحارة. الطريقة التي اشتكى بها سكان نيويورك من حرارة الصيف في مترو الأنفاق، في البقالات، جعلته يقهقه منذ وصوله إلى هنا. كان هناك إضراب لجمع القمامة أيضًا في أول يوم له في المدينة، كان ذلك في شهر فبراير، لذلك لم تكن رائحتها سيئة، الآن كلما غادر مدخل الطابق السفلي، شعر بالرائحة كريهة كالأحراش، لدرجة أنه بحث عن منجلٍ لاختراقها. كان ذلك اليوم الثاني فقط من الإضراب.

الإضراب الجامح لعام 68 [74]؛ كان تمهيدًا للمدينة البائسة التي وصلها للتو، وكان عليه تفسيره بأنه مضايقات. تراصت صفائح القمامة الفولاذية على الرصيف - فاضت ولم يلمسها أحد لأيام - وتجمعت القمامات الحديثة في أكياس متراصة داخل صناديق من الورق المقوى بمحاذاتها. لقد تجنب دائمًا المواصلات العامة في أي مكان جديد حتى يستكشف الوضع العام، ولم يكن قد ركب مترو الأنفاق من قبل. مشى على طول الطريق من ميناء نيويورك، كان السيرُ في خط مستقيم مستحيلًا بسبب هذه التكدسات، فكان يدور حول أكوام النفايات. عندما وصل إلى فندق ستاتلر، ومجمع الغرف الواحدة[75] في شارع 99، كان السكان قد فتحوا طريقًا إلى الباب الأمامي خلال كومة من القمامة الرهيبة. كانت الفئران تندفع جيئة وذهابًا. إذا أردت اقتحام إحدى غرف الطابق الثاني، كل ما عليك فعله هو تكديس أكوام القمامة لتصبح أعلى.

أعطاه المسؤول مفتاحًا لغرفة خلفية في الطابق الثالث، غرفة دافئة مع حمام أسفل الردهة. أخبره رجل عمل معه في بالتيمور عن نُزُلٍ رخيص يحوي صورًا ولوحات مروعة. لكن المكان لم يكن بالسوء الذي صوره الرجل، لقد مكث في أماكن أسوأ. بعد يومين، اشترى منظفًا من المول وأخذ على عاتقه تنظيف المرحاض والمغاسل. هذا النوع من المشاركة لم يزعج أحدًا، لقد نظّف حمامات قذرة مرات عدّة في أماكن كثيرة.

جثا على ركبتيه المنغمستين في القذارة، مرحبًا بك في نيويورك.

بالأسفل في برودواي، عبرت دينيس أمام ناظريه، رآها من النافذة. كان المَنصفُ نظيفًا في معظم الأيام. تتأملُ المقاعد والأشجار من الطابق الثالث، وترى القمامة تتكدس في فتحاتِ تهوية مترو الأنفاق، وعلى أرصفة

الطريق؛ الأكياس الورقية وزجاجات البيرة والصحف. أصبحت القمامة مُكوّمة في كل مكان. ومع بدء الإضراب الأخير، رأى الجميع ما كان يراه طوال الوقت؛ كانت المدينة في حالة من الفوضى.

أطفأ سيجارته في فنجان الشاي ووصل إلى الأريكة دون أن يصيب ظهره. منذ تعبه، كان يشعر أحيانًا أنه بخير وينسى ويتحرك بسرعة كبيرة ثم بوم.. انفجار في عموده الفقري، انفجار أثناء جلوسه على المرحاض، انفجار أثناء رفع سرواله. عوى مثل كلب ثم انحنى على الأرض لبضع دقائق، بلاط الحمام بارد على جلده، إنها مشكلته. أنت لا تعرف أبدًا ما في تلك الأدراج والصناديق؛ ذات مرة عندما كانوا ينقلون أشياء هذا الرجل الأوكراني العجوز - شرطي حصل على معاشه التقاعدي وعزم الانتقال نهائيًّا إلى فيلادلفيا حيث ابنة أخته - انحنى لرفع طاولة عشاء ثم طقطق عموده الفقري، حتى أن لاري قال إنه سمعه من الردهة. احتفظ الشرطي بثقّالات الحديد خاصته داخل أدراجها، حوالي ثلاثمئة رطل من الأوزان، إن كنت ترغب برفعها في منتصف الليل. وما أدى إلى أذية ظهره الأسبوع الماضي كان مكتبًا خشبيًا كبيرًا. كان مظهره سليمًا لكنه كان بليدًا ومهملًا، رغم احتياجه إلى ورديّات عمل إضافية مقابل المال. قال له لاري: "عليك أن تكون حذرًا لهذه الزخارف الدنماركية الحديثة اللعينة". عندما عادت دينيس، طلب منها ملء زجاجة ماء ساخن أخرى، طالما أنها في المطبخ تخلط مزيدًا من مشروب الروم والكولا.

كان المبنى صاخبًا في معظم الليالي بموسيقى السالسا وكان الصوت صاخبًا هذا المساء، بسبب إبقاء الجميع نوافذهم مفتوحة بسبب الحرارة، بالإضافة إلى أن غدًا هو الرابع من يوليو، ما يعني أن الجميع في عطلة. في

حال لم يكن ظهره مؤلمًا للغاية، فإنهما سيذهبان إلى جزيرة كوني من أجل الألعاب النارية، لكن الليلة سيبقيان في البيت، يشاهدان فيلم المتحديان[76] على القناة الرابعة. سيدني بواتييه وتوني كيرتس، متهمين مقيدين بالسلاسل سويًا هاربين عبر المستنقع، استطاعا الهرب من كلاب الصيد ورجال الشرطة الأغبياء وبنادقهم. هراء هوليوود المزيف، لكنه دائمًا ما كان يشاهد الفيلم عندما يُعرض، عادةً في برنامج ذا ليت ليت شو[77]، وكانت دينيس تحب سيدني بواتييه.

كانت غرفته مؤثثة ببقايا أثاث من العمل. كصالة من صالات عرض أثاث سكان نيويورك من جميع أنحاء المدينة. بالتناوب، كانت توضع الأشياء الجديدة وتذهب القديمة مع أصحابها الجدد. سريره الضخم مع نوع المراتب شديدة الصلابة التي يحبها، وخزانة الملابس كانت ذات مقابض نحاسية فاخرة، وجميع المصابيح والسجاد. يتخلص الناس من الكثير عندما ينتقلون، أحيانًا لا يغيرون الأماكن فحسب، بل الشخصيات أيضًا، صعودًا أو هبوطًا "السلم الاقتصادي". ربما لا يتناسب السرير مع المكان الجديد، أو أن الأريكة ضخمة مربعة، أو أنهما متزوجين حديثًا ويؤسسان غرفة معيشة جديدة معًا. الكثير من هذه العائلات البيضاء المهاجرة التي انتقلت إلى الضواحي، لونغ آيلاند وويستشيستر، بدأوا بداية جديدة تمامًا، هزوا المدينة، وهذا يعني التخلص من الطريقة التي اعتادوا على رؤية أنفسهم بها. كان هو وبقية الطاقم من شركة هوريزون للنقل يحصلون على المال قبل أن يضع صاحبها يديه عليه. كانت الأريكة التي يرقد عليها الآن هي الثانية عشرة له خلال سبع سنوات. ذلك التطور المستمر، واحد من مزايا العمل في شركة نقل على الرغم من أنها كانت

تصيب ظهرك أحيانًا بالجحيم.

حتى لو كان يقتات على الأثاث مثل شخص بلا مأوى، فقد بدا مستقرًّا. بعد منزل طفولته، كان هذا هو المكان الذي عاش فيه أطول فترة. بدأ مهمته في نيويورك في مجمع الغرف الواحدة، وبقي هناك لبضعة أشهر حتى حصل على وظيفة في مطعم فور براذرز لغسل الصحون. لقد انتقل إلى الجزء الفاخر، هارلم الأسبانية، حتى حصل على وظيفة في شركة هوريزون، وظيفة ثابتة أوصلته إلى هنا، إلى شارع 82 قبالة برودواي. كان يعلم أنه سيأخذ الشقة عندما فتح المالك الباب على مصراعيه؛ هنا.. أربع سنوات والعدد في تصاعد. قال مازحًا لنفسه: "أنا من الطبقة الوسطى الآن". حتى الصراصير كانت من النوع النبيل، تسرع عندما يشعل ضوء الحمام بدلاً من تجاهل وجوده، لقد اعتبر خجلهم لمسة من الرقي.

عادت دينيس، "هل سمعتني بالخارج؟"، دخلت المطبخ وطعنت كيس الثلج بسكين زبدة.

"ماذا؟"

"ركض هذا الجرذ بين قدمي وصرخت، كان هذا أنا".

كانت دينيس طويلة القامة، ابنة هارلم القوية، وكان بإمكانها لعب كرة السلة في إحدى بطولات الدوري للسيدات. إحدى فتيات المدينة اللواتي لم يكن يخفن من أي شيء. لقد رآها تلعن رجلاً منفوشًا بالعضلات راح يهمس لها أثناء مرورها في الشارع، وبّخته في وجهه، لكن فأرًا جعلها تصرخ مثل فتاة صغيرة. لم تكن دينيس بالتأكيد فتاة صغيرة، لذلك عندما تترك هذا الجزء منها ينطلق، يكون دائمًا مفاجئًا. عاشت في شارع 126 بجوار قطعة أرض خالية، الحرارة والقمامة الآن جعلتا المكان الفارغ أكثر

حيوية للفئران. كان الأوغاد في كل مكان، ينفجرون من جحورهم المخبأة تحت الأرض. قالت إنها رأت جرذًا كبيرًا مثل كلب الليلة الماضية: "نبح مثلهم أيضًا". قال لها ربما كان كلبًا، لكنها لن تعود اليوم إلى بيتها وكان سعيدًا باستضافتها.

تم إلغاء دروسها مساء الأربعاء بسبب عطلة الرابع من يوليو، لقد كان في عطلة أيضًا. كان نائمًا بعد ظهر ذلك اليوم، عندما جاءت ونامت بجواره. قرطها الفضي الكبير على الطاولة بجانب السرير، وتناهى إلى مسامعه ملاطفة عائلة أتكينسون، حي ترتل باي إلى طريق يورك أفينيو، وثلاثة أطفال وكلب وغرفة طعام مول جيمبلز، فصحى من نومه. عرفت الآن موضع الألم في ظهره، دلّكته ثم أخبرته أن يتدحرج ويقفز فوقها، كانت الغرفة أكثر حرارة بعشر درجات عندما فرغا، وكانا متشابكين جدًا، عمل شراب الروم الدافئ والكولا لفترة من الوقت، ثم توقف مفعولهما وكان الجليد المفتت جاهز.

التقيا في المدرسة الثانوية في شارع 131، في الليل كانت هناك فصول للبالغين. حيث دَرَس GED [78]، وقد درّست هي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية للدومينيكان والبولنديين في الفصل المجاور. انتظر حتى نهاية الفصل الدراسي، ثم سألها أن يخرجا معًا. حصوله على شهادته وشعوره بالفخر، كان إحدى تلك اللحظات التي تجعلك تدرك أنه لا يوجد أحد في حياتك يهتم بهذه النجاحات العارضة. لقد كان يفكر في الحصول على GED لفترة من الوقت. وشعر أنه يميل إلى هذه الدراسة كما لو كانت لهب شمعة مقعرة في يده من أثر هبوب الريح. استمر في رؤية الإعلانات في مترو الأنفاق - أكمل دراساتك ليلًا وفقًا لشروطك الخاصة - وكان سعيدًا جدًا للحصول

على تلك القطعة من الورق حيث قال: "اللعنة عليها"، وتوجه إلى دينيس مباشرة. عيونها بنية كبيرة وجسر من النمش على أنفها.

وفقا لشروطه الخاصة، نادرًا ما فعل أي شيء على طريقته الخاصة.

طلب منها موعدًا وقالت لا، كانت على علاقة بشخص ما. ثم بعد شهر اتصلت به وتقابلا في المطعم الكوبي الصيني.

أحضرت دينيس الروم والكولا بالثلج. قالت: "وأحضرت لنا بعض الساندويتشات".

أعدّ الطاولة الصغيرة، التي تركها السيد ووترز خلفه عندما أخذ كل أثاثه من جادة أمستردام إلى جادة آرثر في برونكس. قابلة للطي؛ لذلك تناسب بشكل أنيق المساحة بين الأريكة والطاولة الأخرى، هكذا، جائزة نوبل في الفيزياء للرجل الذي اخترعها.

علّقت دينيس من المطبخ: "إنهم بحاجة إلى تحريك مؤخراتهم لإزالة كل شيء، على بيم[79] أن يلتقط الهاتف ويتحدث إلى هؤلاء الأشخاص".

اعتقدت أن عمدة نيويورك كان سيئًا، واستغلت الاضراب كفرصة لتقديم شكواها. عدّدت قائمة من الشكاوى بينما يحاول هو ضبط السلك الهوائي في أفضل مكان من أجل التقاط القناة الرابعة. قالت أنّ الرائحة المنبعثة كانت لطعام متعفن وذاك المبيد الذي رُشَّ فوقه. كان المبيد مخصصًا للذباب الذي يهوى التدفّق فوق أكوام القمامة مسببًا ضبابًا كبيرًا، وللديدان الملتوية على الرصيف. ثم كان هناك الدخان، لقد أشعل الناس النار في القمامة للتخلص منها، لم يفهم ذلك، واعتبر نفسه تلميذًا للحيوان البشري، وحمل النسيم العليل الدخان بين المباني إلى كل مكان، صرخت سيارات الإطفاء المنتشرة في جميع أنحاء المدينة في الجادات

والشوارع الجانبية.

هذا بالإضافة إلى الفئران.

تنهّد، في كل حجة كان يتخذ جانبًا ما ويلصقه بشخص ما، كقاعدة أولى. رجال شرطة وسياسيون، ورجال أعمال أثرياء، قضاة وسفلة متنوّعون يعملون كعصا تحكم. قال: "لقد وضعوهم تحت رحمتهم، عليهم التحرك، إنهم رجال عاملين". العمدة بيم ونيكسون وهراءه، كان ذلك كافيًا تقريبًا لجعله يريد التصويت. لكنه تجنب الحكومة كلما أمكن ذلك حتى لا يخسر شيئًا.

قال: "لماذا لا تجلسين يا حبيبتي، سأحضرهما أنا".

"لقد قمت بذلك بالفعل"، حتى أنها غلت الماء بالغلاية من أجل زجاجة الماء الساخن التي طلبها، إنه الآن يطلق صفارته.

تسلّل دخان حريق القمامة من خلال النافذة، لذا فتح النافذة في غرفة النوم للتهوية. كانت محقة، ستكون مشكلة حقًا إذا استمر هذا الإضراب كما استمر الإضراب الأخير. كان الأمر فظيعًا في الشوارع، لكن كان من الجيد لبقية المدينة معرفة نوع المكان الذي كانوا يعيشون فيه فعلاً.

جرّب وجهة نظره على سبيل التغيير، وانظر كيف سيعجبهم ذلك.

عرض مذيع الأخبار حالة الطقس خلال العطلة وقدم تحديثًا موجزًا للإضراب - "تستمر المحادثات" - وأخبر المشاهدين أن يستمروا في المشاهدة مَن أجل فيلم السهرة على الساعة التاسعة.

لقد نقر كأسها بكأسه: "أنتِ زوجتي الآن، ها هو الخاتم".

"ماذا؟"

"في الفيلم، سيدني بواتييه يقول ذلك"، ممسكًا بالأغلال التي تربطه بالرجل الأبيض، "يجب أن تراقب ما تقوله".

بالتأكيد، تغير الحوار اعتمادًا على من كان يقول ذلك ولمن كان يُقال له ذلك، مثل نهاية الفيلم. مثلًا لم ينجح أي من السجينين في الهرب، أو يمكن النظر إلى الأمر بطريقة أخرى حيث لا يمكن لأي منهما أن يصل إلى الحرية إذا ترك الآخر يموت. ربما لم يكن الأمر مهمًا، لقد عانا في كلتا الحالتين. توقف عن مشاهدة الفيلم بعد بضع سنوات عندما أدرك أنه لم يعد يشاهده لأنه كان نوعًا ما مبتذلًا، أو ربما فهما الحقائق بشكل خاطئ، أو لأنه يشير إلى المدى الذي وصل إليه، لكن لأن مشاهدته جعلته حزينًا، والجزء الغريب منه يميل إلى هذا الحزن. في مرحلة معينة؛ تعلم أن اللعب الأكثر ذكاءً هو تجنب الأشياء التي تحبطك.

في تلك الليلة، على الرغم من ذلك، لم ير نهاية الفيلم لأن دينيس كانت ترتدي تنورة جينز وكان فخذاها الكبيران يشتتان انتباهه كثيرًا، وقد وصل للذروة عندما ظهر إعلان مضاد الحموضة في التلفاز.

المتحديان، ثم الجنس، ثم النوم. سيارات الإطفاء تدوي ليلًا، وكان عليه أن ينهض في صباح الغد ويخرج، حتى وإن ظل ظهره متعبًا، فهو سيقابل رجلًا في العاشرة ليشتري الشاحنة. كان يحمل لفافة من الأوراق النقدية مدسوسة في حذائه تحت سريره، ويميل إلى الرضا بإضافة عشرين دولارًا إليهم يوم الدفع. كان قد مزّق الإعلان على جدار المغسلة حتى لا يتمكّن أي شخص آخر من شرائها قبله؛ شاحنة فورد إيكونولين طراز 67، تحتاج إلى لمسة نهائية جديدة من اللمعان. الرجال في شارع 125 شعروا بالامتنان له، الآن باستطاعته إكمال ورديات العمل في هوريزون

بعمله الخاص، كما يمكن للاري العمل أيضًا معه بعطلات نهاية الأسبوع حتى يتمكن من سداد ديونه لزوجته. لا يمكنك الاعتماد على إدارة الصرف الصحي، وشكوى لاري المستمرة بشأن دفع الأموال لطفله؛ يمكن الاعتماد عليها مثل شركة فولاذ أمريكا.

قرر أن يطلق على شركته اسم شركة الأروع للنقّل. سُميت شركات كثيرة بحرف (أ) لكنه أراد أن يُحفظ اسم شركته في الجزء العلوي من دفتر الهاتف. مرّت ستة أشهر قبل أن يدرك أن اسم شركته قادم أساساً من نيكل. الأروع: انطلق في عالم الحرية لتشق طريقك المتعرج.

الفصل الثاني عشر

هناك أربع طرق للخروج من نيكل.

الطريقة الأولى: اقض فترة خدمتك؛ حُكم نموذجي بين ستة أشهر إلى عامين، لكن الإدارة تمتّعت بسلطة منح إطلاق سراح قانوني قبل ذلك وفقًا لتقديرها. كان السلوك النموذجي حافزًا لإطلاق السراح القانوني، إذا جمع الصبي المتأهب ما يكفي من المزايا ليرتقي إلى الرّائعين. وهكذا يُطلق سراحه ليكون في حضن عائلته، الذين قد يكونون سعداء جدًا بعودته أو يشمئزون عند رؤية وجهه وهو يتمايل في المشي أمامهم، بداية عدّ تنازلي آخر للكارثة التالية؛ هذا إن كان لديك عائلة. أما إذا كان الأمر عكس ذلك، فإن جهاز رعاية الأطفال في ولاية فلوريدا قد شكّل حضانات إصلاحية، بعضها أفضل حالًا من سواها.

يمكنك أيضًا قضاء فترة خدمتك من خلال الوصول إلى سن الاستقلال. سمحت المدرسة للأولاد بالرحيل في عيد ميلادهم الثامن عشر، مصافحة سريعة مع إعطائهم مصاريف جيبهم. أحرار في العودة إلى الوطن أو شق طريقهم في عالم غير مبال، من المحتمل أن يسلكوا إحدى مسارات الحياة الأكثر صعوبة. ليصل الصبية متخبطين بطرق مختلفة قبل أن يبلغوا نيكل، ويلتقطوا مزيدًا من الخدوش والكدمات خلال إقامتهم هناك. في كثير من الأحيان، تنتظرهم عقبات أكبر ومؤسسات أكثر شراسة.

عانى صبية نيكل من قبل دخولها، وأثناء دخولها، وبعد دخولها، إذا كان بإمكاننا رصد مسارهم بشكل عام.

الطريقة الثانية: يجوز للمحكمة أن تتدخل، وهو أمر سحري. لربما عمة تقطن بعيدًا منذ زمن طويل، أو ابن عم أكبر سنًا يظهر للتخفيف من حكمك. المحامي الذي استعانت به أمٌّ عزيزة، إذا كانت لديها الوسائل، تنازع الرحمة من أجل تغيير الظروف: الآن بعد أن رحل والده، نحتاج إلى معيل في المنزل. أو ربما يكون القاضي المسؤول - شخص مختلف أو نفس الشخص - قد تدخل لأسبابه الخاصة، كتلقي رشوة مثلًا. لكن إذا كانت أموال الرشوة موجودة، فلن يتم إلقاء الصبي في نيكل من البداية. ومع هذا، كان القانون فاسدًا ومتقلبًا بمقاييس مختلفة، وأحيانًا كان الصبي يسير عبر كل ذلك بسبب أمر إلهي.

الطريقة الثالثة: يمكن أن تموت لـ"أسباب طبيعية"، حتى لو كان السبب هو الظروف غير الصحية وسوء التغذية والإهمال التام. توفي صبي صغير في صيف عام 1945 بسبب قصور في القلب بينما كان محبوسًا في صندوق التعرق[80]، وهو أداة إصلاحية شائعة وقتئذ، تقرير الطب الشرعي قال: إن أسباب الوفاة طبيعية. تخيل التحميص في أحد تلك الصناديق الحديدية حتى يُرهق جسدك تمامًا ويُعتصر. أخذ كل من الأنفلونزا والسل والالتهاب الرئوي نصيبهم، وكذلك الحوادث والغرق والسقوط. حريق عام 1921 أودى بحياة 23 شخصًا، وأغلقت نصف مخارج المسكن وتم منع الصَبيان الموجودين في الزنزانات المظلمة بالطابق الثالث من الهرب.

وُضع الصّبية الموتى في تراب بووت هيل أو أُطلق سراحهم في رعاية أسرهم. كانت بعض الوفيات أكثر شناعة من غيرها. تحقق من السجلات

المدرسية، غير مكتملة كما قد تكون. صدمة حادة، انفجار بندقية. في النصف الأول من القرن العشرين، الصّبية الذين يرسلونهم لخدمة العائلات المحلية كانوا يموتون أحيانًا. قُتل الطلاب أثناء "إجازة غير مصرح بها"، دهست الشاحنات صبيّين، ولم يتم التحقيق قط في هذه الوفيات. لاحظ علماء الآثار في جامعة جنوب فلوريدا أن معدلات وفيات أولئك الذين حاولوا الهروب المكرر، كانت أعلى من أولئك الذين لم يفعلوا ذلك، يتكهن المرء. أما المقبرة التي لا تحمل شواهد فقد أبقت أسرارها في طي الكتمان.

الطريقة الرابعة: أخيرًا، يمكنك الجري؛ قم بالركض وراقب ما سيحدث.

هرب بعض الصبية نحو مستقبل صامت بأسماء مغايرة في أماكن مختلفة، ليعيشوا في الظل، خائفين لبقية حياتهم من اليوم الذي قد تُمسك بهم نيكل. في أغلب الأحيان يتم القبض على الهاربين، واصطحابهم في جولة إلى مصنع الآيس كريم، ثم يقتادون إلى زنزانة مظلمة لمدة أسبوعين؛ كان من الجنون أن تهرب ومن الجنون ألا تهرب. كيف يمكن لصبي أن يتجاهل حدود مبنى المدرسة، ويرى عالم من الحرية وهو عالق فيما وراءه، دون أن تراوده فكرة الوثوب نحوه؟ ليكتب المرء قصته لمرة واحدة، لمنع فكرة الهرب، حتى تلك الفراشة الصغيرة التي فكرت في الهروب، كان لأجل قتل إنسانية المرء.

أحد الهاربين المشهورين من نيكل كان يدعى كلايتون سميث. قصته تشق طريقها عبر السنين، لذا حرص المشرفون والمسؤولون على استمراريتها.

كان ذلك عام 1952، لم يكن كلايتون أكثر الهاربين موهبة. ما كان ذكيًّا أو معافى، ولا جريئًا أو مفعمًا بالحيوية. إنما ببساطة يفتقر القدرة

على التحمل. تعب كثيرًا قبل أن يخطو إلى الإصلاحية، فنيكل ضخّمت وصقلت وحشيّة هذا العالم، وفتحت عينيه على المسارات الكئيبة بين البشر. إذا كان قد عانى كل هذا في السنوات الخمس عشرة من عمره، فماذا يخبأ له أكثر؟

يشترك الرجال في عائلة كلايتون في الشبه الفعلي. يتعرف عليهم سكان الحي على الفور من ملامحهم المحددّة، وعيونهم العسلية، والطريقة التي يحركون بها أيديهم للأمام والخلف وحركة أفواههم عندما يتحدثون. التشابه كان عميقًا، رغم أن رجال سميث لم يحالفهم الحظ بالعيش طويلًا، ومع كلايتون كان من الصعب ألا ترى هذا التشابه.

أصيب والد كلايتون بنوبة قلبية عندما كان الصبي في الرابعة من عمره. يده ملقاة على الملاءات مع فم منفرج وعينين متسعتين. في العاشرة من عمره، ترك كلايتون المدرسة للعمل في بساتين البرتقال في مانشستر، والتحق بأشقائه الثلاثة وشقيقتيه. طفل العائلة بدأ رحلته للتو. تدهورت صحّة والدته بعد نوبة من الالتهاب الرئوي، ثم تولّت ولاية فلوريدا الوصاية على الأطفال الذين تشتتوا بعدها. في تامبا، ما زالوا يطلقون على نيكل مدرسة فلوريدا الصناعية للبنين، حيث ذاع صيتها في تحسين شخصية الشاب، سواء كان بذرة سيئة أو ببساطة لم يكن لديه مكان آخر يذهب إليه. قرأ له زملاؤه رسائل وصلته من إخوته، لقد سلكوا طرقًا بين هنا وهناك، فانجرفوا بعيدًا.

لَم يتعلم كلايتون القتال بعد، ليس وهو بصحبة إخوته الذين حوله في صدّ المتنمرين. في نيكل، كان أداؤه ضعيفًا في المواجهات. المرة الوحيدة التي أحسّ فيها بالارتياح والثبات عندما عمل في المطبخ على تقشير البطاطس.

حيث شعر بالهدوء والنظام آنذاك. أما مسؤول روزفلت في ذلك الوقت يُدعى فريدي ريتش، وكان تاريخه الوظيفي عبارة عن خريطة من الأطفال العاجزين؛ من منزل مارك جي جيدينز، ومدرسة جاردنفيل للشباب، وملجأ سانت فنسنت للأيتام في كليروورتر، وأكاديمية نيكل للبنين. كان فريدي ريتش يُحَدّد المؤهلين من خلال طريقة مشيتهم ووضعيّة أجسادهم، وعزّزت طلبات القبول حجّته، وعلاجهم بجانب الصبية الآخرين دعّمت القبول النهائي. فحص الشاب كلايتون سريعًا، حيث وضع أصابعه على فقرتين لتُخبرَ الصبي، هيّا الآن.

كان مسكن فريدي ريتش في الطابق الثالث من روزفلت، لكنّه فضّل اصطحاب فريسته إلى قبو المدرسة البيضاء تماشيًا مع تقاليد نيكل. بعد تلك الرحلة الأخيرة نحو ممر العشاق، كان كلايتون قد انتهى. المشرفان اللذان أمسكاه وهو يعبر المكان في تلك الليلة، اعتادا على رؤيته راجِعًا إلى السكن بمفرده، فسمحا للصبي بالمرور، فالأفضلية كانت له.

خطّة الصبي تضمّنت شقيقته بيل، التي استقرت في نُزُلٍ للفتيات في ضواحي غينزفيل، وعلى عكس بقية أفراد الأسرة، تمتّعت بيل بظروف أفضل. كان الأشخاص الذين يديرون النُزل من النوع اللطيف والمثقّف عندما يتعلق الأمر بالمسائل العرقية. لا مزيد من الذرة المهروسة والفساتين المهترئة، عادت إلى المدرسة وعملت فقط في عطلات نهاية الأسبوع، حيث بدأت هي وبقية الفتيات في طريق الإصلاح. عندما أصبحت كبيرة بما يكفي، كتبت لكلايتون أنها ستأتي من أجله وسوف يجتمعان مرة أخرى. اعتنت بملابس كلايتون وحمّامه عندما كان صغيرًا، وكانت كل مفاهيم الراحة في حياته إشارة إلى تلك الأيام المبكرة في ذاكرته المشوشة. في ليلة

هروبه، وصل إلى حافة المستنقع، حيث قاده إحساسه إلى المياه المظلمة، لكنه لم يستطع النزول. ثمّة رهبة شديدة بين سيمفونية الأشباح والظلام، وحيوانية الجنس والعنف. الظلام يخيف كلايتون دومًا، كانت بيل الوحيدة التي تعرف الأغنيات التي تهدّئه، بينما يخفي رأسه في حجرها ويلف ضفائرها على أصابعه، لذلك اتجه شرقًا إلى أطراف حقول الليمون حتى وصل إلى طريق جوردان.

تسلّل إلى الغابة بمحاذاة الطريق مع ضوء الفجر الأول وحتى فترة الظهيرة. جعلته كل سيارة مارّة يسير على النتوءات والنباتات القصيرة أسفل الشجر ليختبئ منها. عندما لم يتمكّن من اتخاذ خطوة أخرى اختبأ تحت منزل رماديّ معزول وجلس القرفصاء في ماء نتن يشبه القبو، أعدّته الحشرات طعامًا لنفسها ولاطف هو النتوءات الموجودة على جلده، ليرى إلى أي مدى يمكنه تهدئتها دون أن يخدش اللدغات. عادت الأسرة إلى المنزل، المكونة من أم وأب وفتاة في سن المراهقة لم يرَ سوى قدميها وركبتيها. علم أن الفتاة كانت حاملًا، مما أدى ذلك إلى قلب الأولويات. أو ربما كان المنزل عاصفًا بالمشاحنات وهذه هي طقوسه المعتادة، انزلق للخارج عندما هدأوا وناموا.

كان جانب الطريق موحشًا ومخيفًا، ولم يكن لدى الصبي أي فكرة عن وجهته، ولم يُبدِ اهتمامًا. طالما أنه لم يسمع نباح كلاب الصيد، فقد كان بخير. وهذا ما حصل، تم نشر كلاب الصيد في مكان آخر، لتهتم بهروبَ ثلاثة مدانين من بيدمونت، ولم يبلّغ فريدي ريتش عن اختفاء كلايتون لمدة أربع وعشرين ساعة، كان خائفًا كجرذ محاصر من الكشف عن فرائسه. تم فصله من الوظائف السابقة، كان قد أحب مكافأته السهلة في عمله الأخير.

هل كان كلايتون وحيدًا؟ في المنزل الواقع في ذلك الطريق المسدود في تامبا، كان إخوته وأخواته على رأسه، وكلهم محشورين في الغرف الثلاث للشقة الصغيرة. آنذاك في نيكل مع انحطاطها العرقي؛ لم يكن معتادًا على تمضية الوقت مع أفكاره التي كانت تدور حول جمجمته مثل النرد. لم يفكر فيما سيأتي بعد العودة إلى عائلته. في اليوم الثالث، ابتكر سيناريو، بضع سنوات كطاهٍ، ثم ادخار من أجل مطعمه الخاص.

بعد فترة وجيزة من بدء كلايتون في قطف بساتين البرتقال، أُفتتح مطعم تشيتس للسيارات على طريق غير ممهد متفرعًا من طريق المقاطعة. نظر من خلال شقوق الشاحنة في طريقه إلى العمل، منتظرًا ظهور الأحمر والأبيض والأزرق لواجهة المطعم ومظلته الفولاذية. علقوا اللافتات، ونُشرت الإعلانات على طول الطريق، ثم أُفتتح: تشيتس. ارتدى النُّدُل والنادلات البيض الشباب بذلات مقلمة باللونين الأخضر والأبيض، وابتسموا وهم يحملون البرغر ويقدمونها إلى المنتظرين في سيارتهم. البذلات اللامعة رمز للفضائل، والمثابرة والاعتماد على الذات. تلك السيارات الفاخرة والأيادي الممتدة لتتلقى الطعام. لقد كان مشهدًا ملهمًا.

صحيح أن كلايتون لم يأكل قط في المطعم وقد بالغ في تقدير فخامته. وربما غذى جوعه فكرة امتلاك مطعم. أثناء هروبه، كانت رؤية مطعمه - وهو يتجول بين العملاء ليسأل كيف استمتعوا بالوجبة، ويتحقق من إيصالات اليوم في المكتب الخلفي كما في الأفلام - حلمًا ملازمًا له.

في اليوم الرابع، كان بعيدًا بما فيه الكفاية لدرجة أنه قرّر التوقّف. كانت ملابس نيكل الجينز وقميص العمل معروفة. لذا سرق ملابس عمل من حبل غسيل بعد أن رأى شاحنة صغيرة محطمة تسير مبتعدة عن مزرعة

كبيرة لعائلة بيضاء. لقد راقب المنزل لبعض الوقت وانتزع الزي والقميص، عندما اعتقد أن المكان آمن. شاهدته امرأة عجوز في الطابق الثاني يخرج من الغابة ويمسك بهما. كانت ملابس عمل زوجها الراحل وأعاد حفيدها استخدامها. لقد شعرت بالراحة لرؤيتها الملابس ترحل، كان يؤلمها أن تجدها على شخص آخر غير زوجها وخاصة على حفيدها، الذي كان قاسيًا على الحيوانات وملحدًا.

لم يهتم إلى أين تتجه رحلته طالما استغرق الأمر بضع ساعات. كان كلايتون يتضور جوعًا. فلم يحدث أنه أمضى مثل هذه المدة الطويلة دون أن يأكل ولم يعرف كيف يعالج ذلك، لكن قطع أميالاً بعيدة، وهذا ما يهم في الأمر. لم تكن تمر سيارات كثيرة إلا وأخافته الوجوه البيضاء، حتى لو كان جريئًا بما يكفي ليخرج إلى طريق الأسفلت. لم يكن هناك سائقون من الزنوج؛ ربما لم يكن منهم من يملك سيارات في هذا الجزء من الولاية، أجبر نفسه أخيرًا على رفع إبهامه عندما دارت سيارة باكارد بيضاء بزخارف زرقاء حول المنعطف. لم يستطع رؤية السائق لكن باكارد كانت أولى السيارات التي تعلم تمييزها وكان مولعًا بها.

كان السائق رجلاً أبيض في منتصف العمر يرتدي بذلة كريمية اللون. بالطبع كان رجلاً أبيض، من يمكن أن يكون في تلك السيارة بخلاف ذلك؟ كان يفرق شعره الأشقر ولديه مربعات فضية من شعره على صدغيه. تغيرت عيناه من الأزرق إلى الأبيض الجليدي خلف نظارته ذات الإطار السلكي، بفعلَ أشعة الشمس.

مشّط الرجل كلايتون بعينيه، وأشار للصبي أن يركب: "إلى أين تتّجه يا فتى؟"

أجاب كلايتون بأول شيء لمع في رأسه: "ريتشاردز"، اسم الشارع الذي نشأ فيه.

قال الرجل الأبيض: "لا أعرفه!". ذكر بلدة لم يسمع بها كلايتون من قبل وقال سيأخذه إلى أبعد نقطة ممكنة.

لم يكن كلايتون في باكارد من قبل، فرك جلد الكرسي بجانب فخذه الأيمن، حيث لا يستطيع الرجل أن يرى؛ تحسس تموجاته وليونته. تساءل بعد حيرة من رؤية المكابس والصمامات تحت غطاء المحرك، كيف سيبدو الأمر وهو يراقب العمال الطيبين في المصنع وهم يقومون بتجميع القطع معًا.

"هل تعيش هناك يا فتى؟" سأل الرجل، "في ريتشاردز؟" بدا متعلّمًا.

"نعم سيدي، مع أمي وأبي"، قال الرجل: "طيب، وما هو اسمك؟" قال كلايتون: "هاري".

"يمكنك مناداتي السيد سيمونز"، وأومأ كما لو أنهم عقدا اتفاقًا.

قاد السيارة لبعض الوقت؛ كلايتون لا يتحدث إلا إذا وُجه الحديث إليه، وأبقى فمه مطبقًا حتى يمنع نفسه من قول شيء غبي. الآن لم تكن قدماه الخرقاوان هي ما تحركه، أحسّ بالقلق وجال بعينه يبحث عن سيارات الشرطة. لامَ نفسه لأنه لم يبتعد عن الأنظار فترة أطول. وبدأ في تخيل فريدي ريتش على رأس ممثلي القانون، ماسكًا مصباحًا يدويًا وأشعة الشمس تلمع فوق مشبك حزامه المدموغ بصورة جاموس كبير، شكله المعروف جدًا لدى كلايتون، وكذلك صوت فرقعته على الأرضية الخرسانية. غدت البيوت أقرب بعضها إلى بعض وخرجت سيارة الباكارد من شارع رئيس قصير، وغاص الصبي في مقعده لكنه حاول ألا يدع الرجل يلاحظ، ثم سلكا طريقًا هادئًا مرة أخرى.

"كم عمرك؟" سأل السيد سيمونز، وهما يتجاوزان محطة بنزين إيسو المغلقة، بدت الخزانات الصدئة كفزاعات، بينما هناك كنيسة بيضاء تقف بجوار مقبرة صغيرة. وعلى مدى بصرهما امتدت الأرض بشواهد القبور، متباينة الحواف أشبه بأسنان يأكلها السّوس.

ردّ كلايتون: "خمسة عشر"، لقد ذكره الرجل بالسيد لويس صاحب منزلهم القديم. من الأفضل أن تبادره بدفع أجرتك أول كل شهر، أو ستلقى نفسك في الشارع في اليوم التالي. أصيب كلايتون بالغثيان، فشد على قبضة يده. كان يعرف ما سيفعله إذا حاول الرجل وضع يده على ساقه أو تجرأ على لمس عضوه، لقد أقسم على لكم فريدي ريتش في وجهه عدة مرات، ثم تخشّب أمامه عندما حان الوقت، اليوم شعر أن باستطاعته فعلها.

لقد شحذ القوة من عالم الحرية.

"تدرس في المدرسة يا فتى؟"

"نعم سيدي"، كان يوم الثلاثاء، وهو واثق من ذلك. عاد بذاكرته إلى الماضي، أحب فريدي ريتش أن يبحث عنه في ليالي السبت، أرخص من رقصة العشرة سنتات حيث تحصل على المزيد مقابل نقودك.

قال السيد سيمونز: "التعليم مهم، إنه يفتح الأبواب خاصة لعرقك"، مرت لحظات ثم فتح كلايتون كف يده على قماش غطاء الكرسي كما لو كان يداعب كرة سلة.

كم يومًا قبل أن يصل إلى غينزفيل؟ يذكر اسم نُزل أخته بيل – إنه للآنسَة ماري - لكن عليه أن يسأل هناك عن مكانه بالضبط. أي نوع من المدينة كانت غينزفيل؟ الكثير من الأمور كان عليه التأكد منها قبل أن يضع خططًا لنفسه. ستبتكر بيل تلميحات سرية، وأماكن للقاءات لا

يعرفها سواها؛ كانت ذكية بأسلوبها. مضى وقت طويل قبل أن تدثره بسريره بعناية مرة أخرى، وتخبره أن كل شيء على ما يرام، لكن كان عليه الانتظار فقط، إذ كانت هي قريبة. "اصمت الآن، كلايتون. . ."

هذا ما كان يفكر فيه عندما مرت سيارة الباكارد عبر الأعمدة الحجرية عند سفح ممر نيكل، كان السيد سيمونز قد تقاعد للتو من منصب عمدة إليانور، لكنه ظل عضوًا في المجلس وظل على اطّلاع دائم بحياة المدرسة. رأى ثلاثة طلاب بيض في طريقهم إلى ورشة المعادن، كلايتون يخرج من السيارة، لكنهم لم يعرفوا أنه هو الصبي الذي هرب، وفي منتصف الليل وزّعت المروحة مع هوائها أخبار الهرب إلى الذين لم يتمكّن منهم النوم بعد، لكنها لم تخبرهم من الذي حصل على الآيس كريم، ولا أن السيارات المتجهة إلى مكب المدرسة في منتصف الليل تعني أن المقبرة السرية استقبلت ساكنًا جديدًا. استغرق الأمر وقتًا من فريدي ريتش ليروي قصة كلايتون سميث على الطلاب، عندما قصّها على صبي مستجدٍّ له كدرس هادف.

مارس الركض وأوغل في الابتعاد، بعضهم يستطيع والآخر لا.

حسب إلوود، ثمّة طريقة خامسة للخروج من نيكل، خطط لها بعد أن جاءت جدته في يوم الزيارة. كانت ظهيرة يوم دافئ من شهر فبراير، وقت تجمّع العائلات حول طاولات النزهة خارج قاعة الطعام. الصّبية يأتون هناك من الجوار، وكانت أمهاتهم وآباؤهم يظهرون في نهاية كل أسبوع بأكياس من الطعام وجوارب جديدة وأخبار الجيران. لكن هناك طلاب جاءوا من جميع أنحاء الولاية، من بينساكولا حتى كيز، وكان على معظم العائلات أن تسافر لمسافات طويلة إذا أرادوا رؤية أبنائهم الضالين. الرحلات الطويلة

في الحافلات المزدحمة والعصير الدافئ وفتات الساندويتش تتساقط من ورق المشمع على حجرهم. ظروف العمل والمسافة جعلت من الزيارات شبه مستحيلة، وكان هناك بعض الصّبية قد فهموا أن أسرهم تخلوا عنهم. في يوم الزيارة، بعد انتهاء عملهم، يبلغ المشرفون الصّبية ما إذا كانت هناك إحدى الأسر قادمة من أعلى التلة أم لا، وإذا لم يكن أحد هناك فعليًّا، يشغل الصّبية أنفسهم في الملاعب، حتى يبقوا متجاهلين فكرة إعادة لم شملهم مع عائلاتهم، ويصرفون نظرهم بالانشغال في اللعب على طاولات الورشة أو في حمام السباحة - الصّبية البيض في الصباح والسود في الظهيرة.

تذهب هارييت إلى إليانور مرتين في الشهر لكن فاتتها آخر زيارة بسبب المرض. أرسلت خطابًا لإخبار إلوود بأنه كان بردًا في الصدر ووضعت معه بعض المقالات الصحفية التي اعتقدت أنه سيحبها، تقرير عن خطاب مارتن لوثر كينغ في مدينة نيوآرك، نيو جيرسي، والتغيير الكبير الذي حدث في سباق الفضاء[81]. بدت أكبر سنًّا بسنوات، تمشي ببطء نحوه. سرق مرضها جسدها الخفيف أصلًا. وعظام ترقوتها رسمت خطًّا أسفل فستانها الأخضر. عندما لمحت إلوود، توقفت وتركته يقترب من أجل العناق، لقد وفر لها لحظة من الراحة قبل خطوات أخيرة نحو طاولة النزهة التي كان ينوي أن يُجلسها إليها.

احتضنها إلوود لفترة أطول من المعتاد، ورأسه على كتفها، ثم تذكر الصّبية الآخرين وابتعد. من الأفضل عدم التعبير عن مشاعره هكذا، لقد انتظرَ وقتًا طويلًا إلى حين عودتها، ليس لأنها وعدت ببعض الأخبار السارة في المرة القادمة التي ستحضر فيها من تالاهاسي، أبدًا.

تباطأت حياته في نيكل وتحولت إلى مراوغة مطيعة. كانت الفترة التي

أعقبت احتفالات رأس السنة الجديدة عادية. مرت أوقات عادية وهادئة على إليانور، وعرف إلوود ما يمكن توقعه في كل محطة، حتى أنه ذكّر هاربر أكثر من مرة أن هذا الأربعاء هو موعد متجر توب شوب والمطعم، كما لو أنه عاد لمساعدة السيد ماركوني مرة أخرى في متجر التبغ. كانت المساكن أكثر هدوءًا مما كانت عليه خلال الخريف، حتى أن المعارك والاشتباكات نادرة وظل البيت الأبيض شاغرًا. بمجرد أن اتضح أن إيرل لن يموت، سامح كل من إلوود وتيرنر وديزموند، جايمي. في معظم فترات الظهيرة، لعبوا مونوبولي، لعبتهم المتآمرة على قواعد المنزل والعهود الملتبسة والانتقام، كما حلّت الأزرار محل أحجار اللعبة المفقودة.

كلما كانت أيامه روتينية أكثر، أصبحت لياليه أكثر جموحًا. استيقظ بعد منتصف الليل عندما كان المسكن هادئًا تمامًا، بدأ يتوهم أصواتًا كخطوات على الدرج أو جلد يضرب السقف. حدق في الظلام، لا شيء يحدث فعليًا. ثم ظل لساعات سارحًا مضطربًا بسبب أفكاره المتهالكة، والوهن الذي أصاب روحه. لم يكن سبنسر من حطمه، أو مشرفًا أو خصمًا جديدًا نائمًا في الغرفة 2، إنما بسبب توقفه عن الشجار. من خلال إبقاء رأسه مطأطأ في طريقه، حذرًا حتى الوصول إلى وقت النوم دون وقوع أي حادث، وهكذا خدع نفسه بأنه قد انتصر. لقد تفوق على نيكل في تعايشه وبقائه بعيدًا عن المشاكل، في الحقيقة كان قد دُمّر، مثل أحد الزنوج الذين تحدث عنهم الدكتور كينغ في رسالته من السجن، عندما شعر بالتقاعس والتراخي بعد سنوات من القهر لدرجة أنهم تكيفوا معه وتعلموا الاستلقاء فوقه كسريرهم الوحيد.

في لحظات ندرت فيها الطيبة من قلب إلوود، كان يرى أن هارييت

أصبحت واحدة منهم، لها نفس المظهر المتضائل، بالكاد تذكرها حينما هدأت العاصفة.

"هل يمكننا الانضمام إليكم؟"

صبي آخر من كليفلاند يدعى بيرت، واحد من التشاكس، أراد مشاركة إلوود وجدته طاولة النزهة. شكرتهما والدة بيرت وابتسمت، كانت صغيرة السن ربما في الخامسة والعشرين من عمرها، بوجه مستدير ومشرق. كانت رشيقة وهي تلاعب أخت بيرت الصغيرة، التي جلست في حجرها وهي توبخ الحشرات. تشتت إلوود وهو يتابع مرحهم ولعبهم بينما كانت جدته تتحدث، كانوا صاخبين وسعداء، بينما جلس إلوود وجدته كأنّ على رؤوسهم الطير؛ هادئين قربهما. كان بيرت طفلاً نزقًا لكنه طيّب القلب وهذا ما لاحظه إلوود. لم يكن يعرف الصبي جيدًا، أو حتى مشاكله، لكنه يعتدل ويحلّق سعيدًا فور خروجه. كانت والدته تنتظره في العالم الطليق وهذا أمر رائع، أكثر روعة مما لدى معظم الصبية.

قد لا تكون جدة إلوود هناك عندما يخرج، لم يخطر ذاك له من قبل. فنادرًا ما كانت تمرض، وعندما تفعل، فإنها ترفض تمامًا الاستسلام للمرض والاستلقاء في فراشها. كانت معمّرة لكن الزمن أخذ من جسدها. مات زوجها صغيرًا، واختفت ابنتها في الغرب، والآن حُكم على حفيدها الوحيد في هذا المكان. كانت قد ابتلعت جزءًا من البؤس الذي قدّمه العالم لها، وها هي الآن، وحدها في شارع بريفارد، عائلتها تتأرجح واحدة تلو الأخرى، وقد لا تكون يومًا هناك.

عرف إلوود أن لديها أخبارًا سيئة لأنها استمرت في الحديث لفترة أطول من المعتاد لما يجري حول بيتهما في فرينشتاون. دخلت ابنة كلاريس

جينكينز إلى أكاديمية سبيلمان، وكان تيرون جيمس يدخن في السرير وأحرق منزله، وافتتح متجر قبعات جديد في ماكومب، أخبرته بالأحداث سريعًا: "ليندون جونسون متحمس لمشروع قانون الحقوق المدنية مع الرئيس كينيدي، وأوصله إلى الكونجرس، وإذا كان هذا الصبيّ الطيب يعمل بشكل صحيح، فأنت تعلم أن الأمور ستتغير، سيكون كل شيء مختلفًا تمامًا عندما تعود إلى المنزل يا إلوود".

قال بيرت: "إبهامك متسخ، أخرجيه من فمك، خذي إصبعي بدلاً من ذلك"، دسه في فم أخته فتجهمت ثم ضحكت.

مدّ إلوود ذراعه عبر الطاولة وأمسك بيدي هارييت، لم يلمسها هكذا من قبل، وكأنه يطمئن طفل: "جدتي، ماذا بك؟"

يبكي معظم الأهالي يوم الزيارة، لحظة المغادرة، مولين ظهورهم لأبنائهم، على مرمى بصر من طريق نيكل الجانبي الممتد على الطريق. أخرجت والدة بيرت منديلاً وأعطته لجدته، التي بدورها التفتت بعيدًا لمسح دموعها.

ارتجفت أصابع هارييت فربّت إلوود عليها.

قالت إن المحامي ذهب... السيد أندروز، المحامي الأبيض اللطيف المهذب الذي كان متفائلاً للغاية بشأن استئناف إلوود، نقل حياته إلى أتلانتا دون أي كلمة مسبقة، وأخذ معه مئتي دولار من أموالهما. كان السيد ماركوني قد أعطاه مئة أخرى بعد لقائه، وهو ضد طبيعته، نعم، لكن السيد أندروز كان عنيدًا ومقنعًا. ما كان في أيديهم كان خطأً تقليديًا في تطبيق العدالة. قالت إن مكتب المحامي كان خاليًا عندما استقلت الحافلة إلى وسط المدينة لرؤيته، ومالك المكتب كان يعرضه على مستأجر

محتمل، طبيب أسنان، نظروا إلى الغرفة وكأنها لا شيء.

قالت الجدة: "لقد خذلتُك يا إل".

ردّ قائلًا: "أنا بخير، لقد ترقيت إلى مستكشف للتو". لقد ابتعد إلوود عن المشاكل وتمت مكافأته، تمامًا كما أرادا.

كانت هناك أربع طرق للخروج، لكن في براثن انفعالاته التالية عند منتصف الليل، قرر إلوود أن هناك طريقًا خامسًا.

ألا وهو التخلص من نيكل.

الفصل الثالث عشر

لم يسبق أن فاته حضور سباق ماراثون. لم يهتم بالفائزين، أولئك من نوع سوبرمان الذين يصطادون الأرقام القياسية العالمية، ويسحقون أسفلت نيويورك المفروش في جسورها وشوارعها الواسعة. سيارات طواقم التصوير تتعقب المتسابقين؛ كبّروا كل قطرة عرق والأوردة النافرة في أعناقهم، يرافقهم رجال شرطة بيض على دراجات نارية لمنع أيّ مخبول من اقتحام السباق من الطرق الجانبية والعبث مع المتسابقين. أولئك الرجال الفائزون يحصلون على ما يكفي من التصفيق، لماذا يحتاجون إليه؟ الفائز العام الماضي كان ذاك الأخ الأفريقي، رجل من كينيا، أمّا هذا العام فكان رجلاً أبيض بريطاني، لهما البنية نفسها، مع ترك لون البشرة جانبًا، بمجرّد النظر إلى تلك الأرجل ستعرف أن صورها ستُنشر في الصحف. المحترفون، يتدربون طوال العام، يتحركون في جميع أنحاء العالم للمنافسة. كان من السهل عليه أن يقدّم الدعم للفائزين.

لا، لقد أحبّ مجموعة المرهقين، الذين يعْدُون متأخرين في منتصف الماراثون في الميل الثالث والعشرين، بألسنتهم المُدلاة الخافقة كأنهم جِراء لابرادور، إنهم يتجاوزون خط النهاية عن طريق إعاقة المتسابقين حولهم أو بالاحتيال، وبذلك تُسحق الأقدام حتى تتحول إلى لحوم دموية داخل الأحذية الرياضية ماركة نايكي. أحبّ المتلكّئين والضعفاء الذين لم يركضوا

في المسار لكنهم ركضوا بعمق داخل أنفسهم، نزولاً إلى الكهف ليعودوا إلى الضوء بما وجدوه. بحلول وقت وصول المتسابقين إلى ميدان كولومبوس[82]، انقسم طاقم التلفاز، وتناثرت أكواب الماء المخروطية ومشروب غاتوريد[83] في مسار الجري مثل أقحوانات المروج، وراحوا يخلعون بطانيّاتهم الفضائيّة الفضيّة [84]ويرفعونها في مهب الريح. ربما كان لديهم من ينتظرهم وربما لا. من منا لا يحتفل بذلك؟

ركض الفائزون بمفردهم في المقدمة، ثم امتلأ مسار السباق بعدهم بمجموعات المتسابقين العاديين. لقد خرج من شقته من أجل المتسابقين الذين كانوا في المؤخرة، وللحشود على الأرصفة وفي زوايا الشوارع، خرج من أجل الغوغاء النيويوركيّين غريبي الأطوار، اللطيفين الذين استدعاه صخبهم من شقته في شمال المدينة بقوّة لا يمكنه إلّا تسميتها بالقرابة. ففي نوفمبر من كل عام، يُثير السباق الشّكوك بشأن الطِّباع البشريّة، ضد واقع أنهم معًا في هذه المدينة القذرة وليسوا فعلًا أقرباء.

وقف المتفرجون على أطراف أصابعهم، فيما بطونهم تحتك بحواجز الشرطة الخشبية الزرقاء القابلة للطيّ والمخصصة للسباقات وفضّ أعمال الشغب واستقبال الرؤساء. المتفرجون يتزاحمون على مرمى البصر، بعضهم على أكتاف الآباء والأصدقاء وسط ضجيج الأبواق والصّفير الذئبيّ، ومندفعو الغيتو الصارخين بإيقاعات كاليبسو[85] القديمة. "اجري!"، و"يمكنك ذلك!"، و"لقد فعلتها!"، تهبّ تلك النداءات مع نسيم الهواء ورائحة عربات المقانق والآباط المُشعرة للفتاة المجاورة عارية الذراعين. كل هذا الضجيج والازدحام بعد ليالي نيكل تلك، حيث الأصوات الوحيدة هي البكاء وأزيز الحشرات، ورغم النوم في غرفة مكتظة بستين صبيًّا فإنك

تدرك أنك وحدك، وحيد على وجه الأرض. الناس حولك لكن لا أحد حولك حقًّا. الجميع هنا حولك أيضًا، وبمعجزة ما لا ترغب في خنق رقبة أحد منهم، بل تودّ معانقتهم، معانقة المدينة بأكملها: الفقراء والأغنياء من جادات الأثرياء، السود والبيض، والبورتوريكيّين على الرصيف، وحاملي اللافتات والأعلام الوطنية، يشجعون الناس الذين كانوا خصومهم في اليوم السابق، حيث كانوا يزاحمونهم عند الخروج من المول، أو يهرولون إلى المقعد الأخير في عربة مترو الأنفاق، أو يمشون في بطء على الرصيف مثل أفيال البحر والمتنافسين على الشقق والمدارس والهواء ذاته، اختفت تلك العداوات العزيزة بضع ساعات وبشق الأنفس فيما الناس يحتفلون بطقوس تتطلّب التحمّل والمعاناة بطريقة غير مباشرة. يمكنك أن تفعل ذلك.

غدًا، يعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي، لكن الهدنة صمدت منذ عصر هذا اليوم حتى آخر هتاف للعدّاء الأخير.

غربت الشمس. قرّر نوفمبر تذكير كل من عاش في مملكته الآن بنفسه، وأمَر بهبّات من الرياح. خرج من الحديقة من طريق 66، واندفع بين اثنين من رجال الشرطة فوق الجياد، انعكس في نظاراتهم الشمسية على هيئة سمكة سوداء. تفرق المتفرجون القليلون أمامه وهو يخرج من ناحية ويست سنترال بارك.

" مرحبا، أنت، مهلًا يا رجل، انتظر دقيقة!"

مثل العديد من سكان نيويورك، كان لديه جهاز تنبيه طبيعي ضد بائعي الكوكايين، فاستدار، وأعد نفسه للمواجهة.

وجد رجلًا مبتسمًا قال له: "أنت تعرفني يا رجل - تشيكي!"

"تشيكي بيت!"

وهكذا كان. تشيكي بيت من كليفلاند، صار رجلًا الآن.

لم يصادف أحدًا من الأيّام الخوالي. وهذه واحدة من مزايا العيش في شماليّ المدينة. رأى ماكسويل مرّة في قاعة ماديسون سكوير جاردن في مباراة مصارعة لجيمي "سوبر فلاي" سنوكا، مباراة فولاذية، انقض سنوكا على خصمه طائرًا في الهواء مثل خفاش عملاق. كان ماكسويل في طابور المقاعد الخاصّة، قريبًا بما يكفي لرؤية الندبة التي يبلغ طولها ست بوصات على جبهة سنوكا والتي امتدت إلى محجر عينه وأصبحت غائرة في فكه. ويعتقد أنه رأى معقوف القدمين، بيردي، خارج سوبرماركت جريستدز، وكان يحمل شعره الذهبيّ المجعّد نفسه، الرجل لم يتعرف إليه، أو نظر من خلاله كأنه لا يراه، كأنه متنكّر، يعبر الحدود بوثائق مزوّرة.

"كيف حالك يا رجل؟"، ارتدى رفيقه القديم في نيكل سترةً خضراء وسروالًا رياضيًّا أحمر بمقاس كبير جدًا، على ما يبدو أنه مستعار.

"لا زلت أحاول، تبدو بخير"، لقد كان يحاول فهم الأمر فهمًا صائبًا - لم يكن تشيكي بائع كوكايين لكنه يدور في المنطقة عدة مرات، مع ذلك كان قريب الشبه جدًا من الشيء الذي يمتلكه مدمنو المخدرات عندما يخرجون للتو من السجن أو المصحة. ها هو، يصفعه خمس مرات، يمسك بكتفه، ويتحدث بصوت عالٍ بألفة شديدة، إلا أن له خطوة خجولة.

"صديقي!"

"تشيكي بيت".

"إلى أين أنت ذاهب؟" اقترح تشيكي أن يشربا بيرة على حسابه. حاول الانسحاب لكن تشيكي بيت لم يسمح بذلك، وبعد الماراثون ربما كان اختبار حسن النية لزميله في محلّه، حتى عندما جاء الرجل من

الأيام المظلمة.

عرف حانة تشيبس منذ أيامه في شارع 82، قبل أن ينتقل إلى شماليّ المدينة، عندما كان ميدان كولومبوس يمتدّ هادئًا وكل شيء يُغلق بحلول الثامنة مساءً، بعدها راحت المحلّات تُفتح في تقاطعات الجادات العريضة: حانات العزّاب ومطاعم المقاعد المحجوزة، ثم حدث ما حدث في كافّة أرجاء المدينة: يرون في البدء أماكن مهملة ثم تنطلق منها المعازف، من الداخل. بدت له تشيبس حانة مناسبة، السقاة الذين يحفظون طلبك من البرغر المعتاد، ويتحدثون إذا أردت الحديث، ويومئون إذا لزمت الصمت. لا تحدث المشاكل في الحانة، ولا يتذكر سوى مشكلة عنصريّة واحدة وعرَضيّة سببها مدمن كوكايين - كان يرتدي قبعةً حمراء لفريق بوستن لكرة السلّة- راح يزعج رُوّاد الحانة بالقول "هذا الزّنجي" و"ذاك الزّنجي"، فطُرد بسرعة.

أحبّ متابعو بطولة هواريزن لكرةِ السلة أن يحتشدوا في الحانة أيام الاثنين والخميس، في ورديّات آني، بسبب سياستها الخاصة بإرجاع ما يقومون بشرائه مقابل شراء شيء مختلف، وللوفرة في نهديها أيضًا. بعد أن أنشأ شركته وبدأ العمل، اصطحب موظفيه إلى هنا من وقت لآخر، حتى تعلّم أنه حين يشرب مع موظفيه فإنه يسمح لهم بتعدّي حدودهم، فيحضرون متأخرين أو لا يحضرون في الأساس لأعذار واهية. أو لا يعودون يهتمون بملابسهم المخصصة للعمل، يتركونها قذرة ومجعّدة. لقد دفع مالاً جيدًا من أجل تلك الملابس، وصمّم الشعار الذي تحمله بنفسه.

المباراة في التلفاز، والصوت منخفض. جلس هو وتشيكي إلى البار

ووضع النادل كؤوس البيرة فوق واقيات خشبية تحمل إعلانًا لحانة سمايلز، وهي حانة راقية كانت تعمل على بعد بضعة مبانٍ في الشارع. كان الساقي جديدًا، رجلًا أبيض، أحمر الشعر وريفيّ السّلوك، وبدا أنه يمارس رياضة حمل الأوزان، فأكمام قميصه ضيقة مثل المطاط على عضلة ساعده المحدبة. إنه من نوع الغوريلا الذي تستأجره في ليالي السبت إذا كان لديك حشد من الناس في الحانة.

دفع عشرين دولارًا رغم أن تشيكي تعهد بدفع ثمن المشروبات، قال: "كنت تعزف البوق". كان تشيكي في الفرقة السوداء ونجح في عرض المواهب للعام الجديد مع نسخة جاز من أغنية "جرينسليفز"، إذا كان يتذكر ذلك جيًدا، كان أداؤه قريبًا من البيبوب[86].

ابتسم تشيكي عندما تذكر موهبته: "هذا كان قبل زمن طويل، انظر إلى يدَي"، رفع إصبعين معقوفين مثل أقدام السلطعون، قال إنه قضى للتو ثلاثين يومًا في مصحة للإقلاع عن الكحول.

بعد قوله ذاك عن المصحّة، بدا جلوسهما في الحانة الآن ومعًا أمرًا خاطئًا.

لطالما تكيّف تشيكي مع عيوبه، فقد كان صبيًّا رفيعًا وقصيرًا مثل عود قصب عندما وصل إلى نيكل وقضى عامه الأوّل ملتزمًا بالقواعد، حتى تعلّم القتال، ثم راح يفترس الصّبية الصّغار، ويأخذهم إلى الخزائن وغرف الإمداد، فأنت تُدرّس ما تعلّمته. هذا، وكان البوق هو كل ما يتذكره عن صبيَّ نيكل، قبل أن يبدأ تشيكي حياته بعد التخرج. لقد كانت هذه نغمة مألوفة، واحدة سمعها على مرّ السنين؛ ليس من صبية نيكل فقط، بل من الرجال الذين قضوا وقتًا في أماكن مماثلة. الالتحاق بالجيش، الروتين

والانضباط يروقهم. "ذهب رجال كثر من مركز الاحتجاز إلى الجيش. إنه خيار طبيعي، خاصة إذا لم يكن لديك منزل تعود إليه، أو تريد العودة إليه". قضى تشيكي في الجيش اثني عشر عامًا، بعدها أدمن المخدرات، فطردوه. تزوج عدة مرات، يمكنه الحصول على أي وظيفة، كانت أفضلها بيع أجهزة إستريو في بالتيمور، يمكنه أن يستمر إلى الأبد في الحديث عن أجهزة الستريو عالية الدقة.

قال تشيكي: "لطالما ثملت، وصرتُ كلّما حاولتُ الاستقرار عانيت أكثر".

في مايو الماضي ضرب رجلاً في حانة، قال القاضي إن عقابه السّجن أو العلاج، لا خيار آخر على الإطلاق. كان في البلدة يزور شقيقته التي تعيش في هارلم. "لقد سمحت لي بالبقاء حتى أكتشف خطوتي التالية. لطالما أحببت الحي هنا".

سأله تشيكي عما ينوي فعله، وشعر إلوود بالسوء عندما أخبره عن شركته، لذلك خفض عدد الشاحنات والموظفين إلى النصف ولم يذكر المكتب الجديد في لينوكس، والذي كان فخورًا به، عقد إيجار لمدة عشر سنوات، أطول شيء التزم به على الإطلاق، وكان غريبًا لأن الشيء الوحيد الذي أزعجه حيال ذلك هو أنه لم يكن يشعر بالإزعاج حياله.

قال تشيكي: "يا صديقي، تسير أمورك بخير وتتقدم! هل تزوّجت؟"

"لم أستقر قط، كما أعتقد. أخرج، عندما لا يكون العمل متعبًا للغاية".

"أفهمك، أفهمك".

ألقى ضوء الشارع بظلاله على المباني الشاهقة التي كانت تبشر

بأمسية مبكرة، كانت إشارة لجرعة كآبة في ليلة العودة إلى العمل، ليلة الأحد، ولم يكن الوحيد المتأثر كأن هناك هجمة على الحانة. خدم الساقي ذو العضلات تلميذتين شقراوَين أولاً، ربما كانتا دون السن القانونية وتختبران تطبيق قانون الكحول بعدم بيعه للقُصر في جنوب أراضي جامعة كولومبيا التي تدرسان بها. طلب تشيكي بيرة أخرى، متجاوزًا إياه.

بدَءا الحديث من الأيام الخوالي وسرعان ما انزلقا إلى الأشياء المظلمة، أسوأ المسؤولين والمشرفين. لم يذكرا اسم سبنسر، كما لو أن نُطق اسمه قد يستحضره في جادة كولومبوس مثل شبح رجل أبيض فقير، حيث خوف الطفولة لا يزال قريبًا. ذكر تشيكي صِبية نيكل الذين صادفهم على مر السنين، سامي ونيلسون ولوني. الأول أصبح محتالاً، والثاني فقد ذراعًا له في فيتنام، والأخير بات مدمن مخدرات. قال تشيكي إن أسماء الرجال الذين لم يفكر فيهم إطلاقًا كانت مثل جدارية العشاء الأخير، اثنا عشر خاسرًا مع تشيكي في المنتصف، هذا ما فعلته المدرسة بصبي. لا يتوقف الأمر عند خروجك، تجعلك تنحرف لتسلك كلّ طريق فتصبح غير لائق للحياة المستقيمة، تغادر المدرسة ملتويًا.

ثم أين تركه ذلك، وإلى أي درجة كان التواءه؟

سأله تشيكي: "هل خرجت في 64؟".

"أنت لا تتذكر؟"

"ماذا؟"

"لا شيء، قضيت وقتي بأكمله" - كانت كذبة قيلت عدة مرات، عندما يخطئ ويذكر مدرسة الإصلاح - "ثم طردوني، توجهت إلى أتلانتا

ثم واصلت التوجه شمالاً، كما تعرف أنا هنا منذ عام 68، عشرون عامًا".
كل هذا الوقت كان يعتبر أن هروبه من أساطير نيكل، يمرر الطلاب قصته بعضهم لبعض كما لو كان بطلاً شعبيًا، كما قُلِّصَت شخصية ستاغر لي[87]، لتناسب المراهقين. لكن هذا لم يحدث، لم يتذكر تشيكي بيت حتى كيف خرج. لو أراد لاسمه أن يُذكَر، لحفره حفرًا كما يفعل بقية الناس عندما يحفرون أسماءهم في مقاعد الكنائس. أشعل سيجارة أخرى.

ضيّق تشيكي بيت عينيه: "ها، ما الذي حدث لذلك الصبي الذي اعتدت أن تتسكع معه طوال الوقت؟".

"أي صبي؟"

"الصبي مع هذا الشيء، أحاول أن أتذكر".

"ممم".

قال: "سأتذكره"، وذهب إلى الحمام. ألقى بتعليق بجانب طاولة بنات يحتفلن بعيد ميلاد، سخرن منه بعدما دخل حمام الرجال.

تشيكي بيت وبوقه، لأصبح الآن عازفًا محترفًا، لمَ لا؟ موسيقي ستوديو[88]، في فرقة فانك[89] أو أوركسترا، لو كانت الأوضاع مختلفة. لأصبح كلّ صبيّ في نيكل شيئًا مختلفًا الآن لو لم يدمّرهم ذاك المكان. أطباء يعالجون الأمراض أو يُجرون جراحة في الدماغ، أو يخترعون ذلك الهراء الذي يُنقذ الأرواح أو يترشحون للرئاسة. كل أولئك العباقرة المفقودون - ليس جميعهم عباقرة، تشيكي بيت على سبيل المثال لم يتعلّم قانون النسبية - لكنهم حُرموا حتى من متعة كونهم عاديين. متعثرون ومطاردون قبل بدء السباق حتى، ولم يكتشفوا أبدًا كيف يكونوا طبيعيين.

كانت مفارش المائدة جديدة منذ آخر مرة كان فيها هنا؛ الكاروهات

الحمراء والبيضاء. اعتادت دينيس أن تشكو من سطوح الطاولات المتسخة بقاعدة الزجاجات والأكواب في تلك الأيام. دينيس، كانت واحدة من الأشياء التي أفسدها. كان المواطنون من حوله يأكلون برغر الجبن ويشربون البيرة في ظل ابتهاج العالم الحُر. انطلقت سيارة إسعاف مسرعة في الخارج وفي المرآة المظلمة خلف زجاجات الخمور، رأى نفسه محدداً بلون أحمر فاتح، وهالة متلألئة تميزه أنه دخيل. رآها الجميع، مثلما كان يعرف هو قصة تشيكي بعد علامتين. سيكونون دائماً مُطاردين، بغض النظر عن كيفية خروجهم من تلك المدرسة.

لم يبق أحد في حياته طويلاً.

صفعه تشيكي بيت على ظهره عند عودته، أصيب بالغضب فجأة، وهو يفكر كيف أن رجلاً غبيًّا مثل تشيكي لا يزال يتنفس وصديقه لم يعد كذلك. نهض مغادرًا: "يجب أن أذهب يا رجل".

"لا ، لا ، أنا أسمعك، أنا.. أيضًا"، قال تشيكي، بثقة أولئك الذين ليس لديهم ما يفعلونه، ثم أردف: "لا أريد أن أسأل".

ها هي آتية.

"لكن إذا كنت تبحث عن عامل، فأنا يمكنني العمل، إنني أنام على أيّ أريكة مُتاحة...".

"حسنًا".

"ألديك بطاقة؟"

مَدّ يده حيث محفظته وبطاقات الأروع للنقل: السيد. إلوود كيرتس، المدير. لكنه أعاد التفكير وقرّر أن يقول: "لا أحملها معي".

"يمكنني التعامل مع هذه الوظيفة، هذا ما أستطيع عمله هنا"،

فكتب تشيكي رقم أخته على منديل البار الأحمر، "اتصل بي.. من أجل الأيام الخوالي".

"سأفعل".

ما إن تأكّد أن تشيكي في حال جيّدة وغادر أخيرًا، توجّه إلى شارع المسارح، برودواي. شعر بدافع غير معهود لركوب الحافلة 104 صعودًا إلى برودواي، سالكًا الطريق الخلاب ومستغرقًا في التفكير في حياة المدينة. لقد رفضها: انتهى الماراثون، وانتهى إحساسه بالانسجام أيضًا. في بروكلين وكوينز وبرونكس ومانهاتن، استأنفت السيارات والشاحنات سيطرتها على الشوارع التي كانت مسدودة لأجل الماراثون، واختفى طريق الماراثون ميلاً بعد ميل أيضًا. كان الطلاء الأزرق على الإسفلت يميّز المسار، ويتقشّر كل عام قبل أن تُدرك ذلك. عادت الأكياس البلاستيكية البيضاء إلى التطاير أسفل المبنى وعلب القمامة الفائضة، وأغلفة ماكدونالدز وزجاجات مكسورة بغطاء أحمر تنسحق تحت الأقدام. استقل سيارة أجرة وفكر في العشاء.

كان مضحكا، إلى أي مدى أحب فكرة أن قصة هروبه الكبير تطوف في جولات بالمدرسة. وتغيظ الموظفين عندما يسمعون الأولاد يتحدثون عنها. اعتقَد أن هذه المدينة مكان جيد له لأن أحدًا لا يعرفه هنا، وأحبّ تناقض أن المكان الوحيد الذي عَرَفه تمامًا هو الوحيد الذي لا يريد أن يكون فيه. لكن هذه المدينة ربطته بكل أولئك الآخرين الذين يأتون إلى نيويورك، هاربين من مسقط رأسهم وما هو أسوأ. لكن حتى نيكل نسيت قصته.

صدم تشيكي المضطرب، فكر في ذلك أثناء عودته إلى شقته الفارغة.

مزّق المنديل الأحمر ورماه من النافذة. لا أحد يحب حشرة القمامة[90]
طرقت تلك العبارة رأسه، وقد كانت شعارًا للمدينة تسوّق بها طريقتها الجديدة للحياة فيها، لقد أجرت حمْلةً توعويّة ناجحة بذلك الشّعار، وهو ناجح لأنه بقيّ يرنّ في الرأس من حين لآخر. قال: "لذا أعطني تذكرة".

الفصل الرابع عشر

عطّل المدير هاردي الدراسة لمدة يومين من أجل تنظيف المباني وضبط أوضاعها قبل زيارة وفد التفتيش من مجلس الولاية. لقد كان تفتيشًا مفاجئًا، لكن شقيقه في رابطة العمل ويدير رعاية الأطفال في تالاهاسي، اتصل به وأخبره بشأن الزيارة. تتطلب الإصلاحات التجميلية الطويلة اهتمامًا على الرغم من عمل الطلاب الدقيق عليها. فقد احتاج ملعب كرة السلة مثلًا، الذي تشقق بسبب الشمس، إلى سطح وأطواق جديدة لمرمى الكرة، وأصاب الصدأ الجرارات والمسلفات[91] في المزارع. تألق ضوء فضائي غريب عندما مسح الصبية طبقات من الأوساخ المتراكمة لأجيال عن نوافذ الضوء الطبيعي العُلوية في المطبعة. كانت معظم المباني، المستشفى ومباني المدرسة وأكثر من مرآب، في حاجة ملحّة إلى طبقة طلاء جديدة، والأهم من ذلك كله هو المساكن، وعلى وجه الخصوص مساكن الطلاب السود. لقد كان مشهدًا رائعًا، الصبية جميعهم كبارًا وصغارًا يندفعون نحو عمل واحد، غارقون في الطلاء والمشاكسة، يتأرجحون وهم ينقلون علب صفيح طلاء ديكسي عبر الفناء.

في كليفلاند، ساعد كارتر في البناء وشرح كيفية ضبط الشقوق بين طوب نيكل الجيّد. شقت العتلات ألواح الأرضية الفاسدة حيث تم قطع وتثبيت ألواح جديدة. استدعى هاردي عاملين من الخارج للعمل

التخصصي. أخيرًا رُكِّب المرجل الجديد، الذي اشتروه قبل عامين.

استبدل السبّاكون مبولتين مكسورتين في الطابق الثاني، واعتنى عُمّال الأسقف الجِلْفين بالعيوب والثقوب في الأعلى. لا مزيد من التسربات الصباحية لإيقاظ صِبية الغرفة 2.

البيت الأبيض حصل على طبقة طلاء جديدة، لا أحد رأى من فعل ذلك. ذات يوم كانت الجدران قذرة، وفي اليوم التالي كانت الشمس تتلألأ في مقل العيون.

وفقًا لوجه هاردي بينما كان يتفقد التقدم، عرف الصبية أنهم على الطريق الصحيح لتقديم عرض جيّد. كل بضعة عقود، يبدأ استطلاع صحفيٌّ محقق من قبل الولاية عن قضية اختلاس أو اعتداء جسدي في المدرسة. وعلى أثر ذلك جاء منع (الصفع) واستخدام الزنزانات المظلمة وصناديق التعرق. وضعت الإدارة محاسبة صرامة جدًا للّوازم المدرسية، والتي كانت تميل إلى الاختفاء، وكذلك الأرباح من مختلف الأعمال الطلابية، والتي كانت تحب أن تختفي أيضًا. تم إنهاء الإفراج المشروط عن الطلاب لصالح الأسر والشركات المحلية وزادوا عدد الطاقم الطبي، ثم فصلوا طبيب الأسنان الذي استمر معهم فترة طويلة ووجدوا شخصًا لا يتقاضى رسومًا على خلع الأسنان.

مرّت سنوات على وجود المزاعم ضد نيكل. في هذه المناسبة، كانت المدرسة مجرد بند آخر في قائمة طويلة من التسهيلات الحكومية المستحقة لمرة واَحدة.

استمرّت مهام العمل كالزراعة، والطباعة، وصناعة الطوب، وما شابه ذلك كالمعتاد، لأنها عززت المسؤولية، وبناء الشخصية، وما إلى ذلك.

وكانت مصدرًا مهمًا للإيرادات. قبل يومين من التفتيش، أوصل هاربر إلوود وتيرنر إلى منزل السيد إدوارد تشايلدز، مشرف المقاطعة السابق والداعم لأكاديمية نيكل للبنين منذ فترة طويلة، كل من المدرسة والعائلة كانتا عريقتين. تشارك إدوارد تشايلدز مع نادي كيوانيس[92] في شراء زيٍّ فريق كرة القدم الخمسين مناصفة منذ خمس سنوات. من المأمول أن يكرر كرمه هذا إذا بقيَ حافزه متّقدًا.

كان والد السيد تشايلدز- بيرترام- قد خدم في الحكومة المحلية وترأس منصبًا أيضًا في مجلس إدارة المدرسة. كما كان مؤيدًا متعطشًا للعاملين بالسخرة، عندما كان مسموحًا بذلك، وغالبًا ما كان يؤجر الطلاب المفرج عنهم إفراجًا مشروطًا ليعتنوا بالخيول لمّا كان هناك إسطبل في الخلف، وبالدجاج أيضًا. القبو الذي نظفه إلوود وتيرنر في ظهيرة ذلك اليوم هو المكان الذي كان ينام فيه الصبية المستأجرون. وقتها حين يكون القمر بدرًا، وقف الصبية على سرير الأطفال وحدقوا في عينه اللبنية من خلال النافذة الوحيدة المكسورة.

لم يكن إلوود وتيرنر على دراية بتاريخ القبو، كانا مسؤولين عن إزالة ستين عامًا من الخردة بحيث يمكن تحويله إلى غرفة معيشة، مع بلاط أرضيات مثل رقعة الشطرنج وألواح خشبية تغطي الجدران. كان مراهقو تشايلدز يمارسون الضغط ولم يكن إدوارد تشايلدز قد دوَّن أفكاره الخاصة لهذه المساحة، حيث كانت زوجته وأطفاله يزورون عائلتها لمدة أسبوعين في أغسطس من كل عام وتركته للقيام بما يحلو له. وضع طاولة مشْرَب مبلّلة، وثبّت إضاءات حديثة، وتلك الأشياء التي رأوها في المجلات. قبل أن تتحقق هذه الأحلام، كانت الدراجات والصناديق الخشبية القديمة،

وعجلات المغزل[93] المعطلة، والعديد من الآثار الترابية الأخرى تنتظر مكافأتها النهائية، فتح الصبية أبواب القبو الثقيلة وذهبوا إلى العمل، بينما جلس هاربر في الشاحنة وهو يدخن ويستمع إلى مباراة البيسبول.

قال تيرنر: "سيحبنا رجل الروبابيكيا".

حمل إلوود كومة جرائد ساترداي إيفينج بوست[94] المغبّرة بالطابق الأعلى وأضافها إلى كومة إمبريال نايتهاوكز [95] على حافة الرصيف. كانت إمبريال جريدة كلان، العدد الذي في أعلى الكومة أبرز قضية متسابق ليلي يرتدي رداءً أسود يحمل صليبًا محترقًا. لو قطع إلوود خيوط لفة الجرائد، لكان اكتشف أنه كان شعارًا لغلاف مطبوعة مشهورة. لقد قلب الحزمة لإخفاء الصورة فظهر له إعلان لكريم الحلاقة كليمنتين.

بينما كان تيرنر يلقي النكات بصوت منخفض ويصفر ألحان مارثا أند ذا فانديلز [96]، تفاعلت أفكار إلوود، صحف مختلفة لدول مختلفة. لقد تذكر البحث عن كلمة المحبة [97] في مجلد موسوعته بعد أن قرأ خطاب الدكتور كينغ في ذا ديفندر. نشرت الصحيفة العنوان بالكامل بعد ظهور القس في كلية كورنيل. إذا كان إلوود قد صادف الكلمة من قبل، خلال كل تلك السنوات من القفز حول الكتاب، فإنها لم تعلق في رأسه. وصف كينغ المحبة بأنها حب إلهي يدور في قلب الإنسان، حبٌّ غير أناني إنما حبٌّ متوهج، في قمة ما؛ مكان قد يوجد به. دعا جمهوره الزنوج إلى صقل هذا الحب النقي لمضطهديهم، ذلك الحب الذي قد ينقلهم إلى الجانب الآخر من الصِراع.

حاول إلوود أن يتقبل هذه الفكرة، الآن بعدما توقف التجريد عن الطفو في أفكاره منذ الربيع الماضي؛ أصبح واقعيًّا الآن.

القِ بنا في السجن وسنظل نحبك. اقصف منازلنا وهدد أطفالنا، وعلى الرغم من صعوبة الأمر، فإننا سنظل نحبك. أرسل مرتكبي أعمال العنف المقنعين إلى مجتمعاتنا بعد ساعات منتصف الليل، واسحبنا إلى جانب الطريق، واضربنا واتركنا نصف ميتين، وسنظل نحبك. لكن كن متأكدا أننا سننهكك بقدرتنا على المعاناة، وفي يوم من الأيام سنكسب حريتنا.

القدرة على المعاناة، إلوود - جميع صبية نيكل – مجبولون على هذه القدرة؛ يتنفسونها ويأكلونها ويحلمون بها. كانت تلك حياتهم الآن، وإلا لكانوا قد هلكوا. الضرب والاغتصاب وغربلة أنفسهم بصرامة، لقد تحملوا. لكن أن يحبوا أولئك الذين دمروهم؟ القيام بهذه الطفرة؟ سنقابل قوتك الجسدية بقوة الروح. افعل بنا ما تشاء وسنظل نحبك.

هزَّ إلوود رأسه، يا له من شيء ليطلبه من نفسه، يا له من شيء مستحيل.

"هل تسمعني؟"، سأل تيرنر، يهز أصابعه في وجه إلوود الخالي من التعبير.

"ماذا؟"

احتاج تيرنر إلى مساعدة في الداخل، لقد أحرزا تقدمًا جيدًا حتى مع أسلوب التأجيل الذي يتبعه تيرنر، حيث وجدا صناديق قديمة مخبأة أسفل الدرج. هربت حشرات السمكة الفضية وأم أربعة وأربعين بينما كان الصبيّان يسحبان الصناديق إلى مركز القبو. خلّدت الأختام - التي تزين اللوحة القماشية السوداء القذرة، رحلاتٍ إلى دبلن وشلالات نياجرا وسان فرانسيسكو والموانئ المؤقتة الأخرى. رحلة سفر غريبة من الأيام المنصرمة، أماكن لن يراها الصبيّان أبدًا في حياتهما، نفخ تيرنر في ضجر: "ماذا يوجد

داخل هذه الأشياء؟"

قال إلوود: "لقد كنت أكتب كل شيء".

"كل شيء ماذا؟"

"التوصيلات، ساحة العمل والأعمال المنزلية، أسماء الجميع والتواريخ، كل خدماتنا المجتمعية".

"أيها الزنجي، لماذا تفعل شيئًا كهذا؟"، يعرف السبب لكن لديه فضول لمعرفة كيف سيصيغه صديقه.

"قلت لي لا أحد يستطيع إخراجي من هنا، إلا نفسي".

"لم يستمع أحد إليّ أبدًا - لماذا فعلتَ أنت؟"

"لم أكن أعرف لماذا فعلت ذلك في البداية. في ذلك اليوم الأول مع هاربر، كتبت ما رأيته. وظللت أفعل ذلك في أحد دفاتر المدرسة، جعلني هذا أشعر بشكل أفضل، أفترض أن الأمر كان لإخبار شخص ما يومًا، والآن سأفعل ذلك. سأعطيها للمفتشين عندما يأتون".

"ماذا تعتقد أنهم سيفعلون؟ يضعون صورتك على غلاف مجلة "تايم"؟"

"سأفعل ذلك لإيقاف ما يحدث!"

"إنهم دمى أخرى من هؤلاء"، سمعا خطوات أقدام فوق رأسيهما - لم ير عائلة تشايلدز في ذلك اليوم بأكمله - وشغل تيرنر نفسه كما لو كان لديه القدرة على الرؤية بالأشعة السينية من خلال الأشياء. "أنت تسير على ما يرام، لم تواجه مشكلة منذ ما حدث، سوف يأخذونك إلى الخارج نحو الخلفَ ويغتصبونك ثم يأخذونني للخارج أيضًا. ماذا بك؟ اللعنة عليك".

"أنت مخطئ يا تيرنر"، ضغط إلوود على مقبض صندوق خشبي بني، انكسر إلى النصف. قال: "هذا مسار للعوائق، لا يمكنك الالتفاف

حوله.. إنما عليك أن تمر به، امش ورأسك مرفوعة بغض النظر عما سيفعلونه بك".

قال تيرنر وهو يمسح يديه في سرواله: "أنا صادق معك، لقد شعرتَ بالغضب وتحتاج إلى إزالته عن صدرك، هذا رائع" واضعًا نهاية لحديثهما.

عندما انتهيا من السحب، أجرى الصبيّان عملية جراحية؛ استأصلا الأنسجة الفاسدة من المنزل ووضعاها على حافة الرصيف. قرع تيرنر باب الشاحنة لإيقاظ هاربر، كان الراديو ينقل أزيزًا ثابتًا.

"ماذا حلّ به؟"، سأل هاربر إلوود. كان تيرنر صامتًا، ولفت هذا انتباهه.

هزّ إلوود رأسه ونظر من النافذة.

تجوّلت أفكاره وطافت بعد منتصف الليل، انضمّ سؤال تيرنر الغاضب إلى سلاسل القلق في باله. لم يكن هذا ما أرّقه، إنما ماذا يمكن للرجال البيض فعله، هل كان ليثق بهم لفعل ذلك؟

كان وحيدًا مع ضجيجه العميق. كتب لصحيفة ذا شيكاغو ديفندر مرتين، لكنه لم يتلقَّ أي رد، حتى عندما ذكر كلمة العدد التي كتبها باسم مستعار. لقد مرّ أسبوعان. كان الأمر الأكثر إزعاجًا من فكرةٍ تقول بأن الصحيفة لا تهتم بما كان يحدث في نيكل؛ هو أنهم تلقوا العديد من الرسائل مثلها، والعديد من المناشدات لدرجة أنهم لم يتمكنوا من معالجتها جميعًا. كانت الولاية كبيرة وشهيتها للتعصّب والنهب لا حدود لها، فكيف يمكنها مواكبة مجموعات الظلم الكبيرة والصغيرة. كان هذا مجرّد مكان واحد؛ مكتب غداء في نيو أورلينز، مسبح عام في بالتيمور ملوؤه بالخرسانة حتى لا يتمكن الأطفال السود بغمس إصبع قدم فيه. كان هذا مكانًا واحدًا، لكن

إذا وجد هذا، فهناك المئات والمئات من نيكل والبيوت البيضاء المنتشرة في جميع أنحاء الأرض مثل مصانع الألم.

لو طلب من جدته إرسال الخطاب ليتجنب مسألة ما إذا كان بريده قد أرسله بالفعل، كانت ستفتحه بسرعة ثم تلقي به في سلة المهملات. خائفة مما قد يحدث له، وهي لا تعرف حتى ما فعلوه به حتى الآن. كان عليه أن يثق في شخص غريب ليفعل هذا. لكنه من المستحيل، مثل حب شخص أراد تدميرك، لكن هذه كانت رسالة الحركة: أن تثق في الكرامة المطلقة التي تعيش في قلب كل إنسان.

هذا أو ذاك. هذا العالم الذي جعلك بظلمه خنوعًا ومراوغًا، أو ذاك الأصدق.. ينتظر منك للحاق بركبه؟

في وجبة الإفطار صباح زيارة تفتيش الولاية، أوضح بلاكيلي ومسؤولو نيكل في الجزء الشمالي رسالتهم اليومية: "أيها الصبية، تحسسوا مؤخرتكم إذا أخطأتم!". بلاكيلي وتيرانس كرو من لينكولن، وفريدي ريتش الذي اعتنى بالصّبية في روزفلت، في كل يوم كان يرتدي نفس إبزيم حزام الجاموس، القابع فوق وسطه وعانته مثل حيوان يتجول بين التلال.

أعطى بلاكيلي الصّبية جدول التفتيش. كان يقظًا ومستيقظًا، بعد أن تخلى عن أغطية نومه الليلية. قال إن الصّبية السود لن يتعرضوا للتفتيش حتى الظهيرة. بدأ التفتيش في الجزء الأبيض. ومبنى المدرسة والمساكن والمرافق الكبيرة مثل المستشفى وصالة الألعاب الرياضية. أراد هاردي التباهَي بالملاعب الرياضية وملعب كرة السلة الجديد، لذا كانت زيارتهم تالية لما قبل توجه الرجال من تالاهاسي عبر التل إلى المزارع والمطبعة ومصنع طوب نيكل الشهير. وجاء جزء السود في نهاية الزيارة. قال بلاكيلي: "أنت

تعلم أن السيد سبنسر سيوبخك إذا رآك بقميص غير مثبت داخل السروال أو تلك الأدراج المتسخة تتدلى من دولابك. ولن يكون الأمر لطيفًا".

وقف مسؤولو نيكل الثلاثة أمام صواني التقديم، التي كانت مليئة في ذلك اليوم بالطعام والمفترض أن يحصل عليه الطلاب كل صباح: البيض المخفوق، واللحم المقدّد، والعصير الطازج، والكمثرى.

"متى سيصلون إلى هنا، يا سيدي؟"، سأل أحد التشاكس تيرانس. كان تيرانس رجلًا ضخمًا وله لحية بيضاء هزيلة وعيون دامعة. لقد عمل في نيكل لأكثر من عشرين عامًا، مما يعني أنه رأى أنواعًا مختلفة من الدناءة، الأمر الذي جعله أحد أكبر المتواطئين في تقدير إلوود.

قال تيرانس: "في أي لحظة".

عندما جلس المسؤولون على مقاعدهم، سُمح للصّبية بتناول الطعام.

نظر ديزموند لأعلى وهو يأكل وقال: "لم آكل طعامًا جيدًا مثل هذا منذ. . ." لم يستطع التفكير في الأمر: "يجب أن يتفقدوا هذا المكان طوال الوقت".

قال جايمي: "لا أحد يتحدث الآن، كُل".

بدأ الطلاب يأكلون في سعادة ومسحوا كل الأطباق. لقد قامت الرشوة بعملها على الرغم من الكلمات الصارمة. كان الصّبية في مزاج لطيف بين الطعام والملابس الجديدة، وقاعة الطعام المعاد طلاءها. وأعطي أولئك ذوي الملابس الممزقة من الأكمام أو الركبة سراويل جديدة وأحذيتهم ملمَّعة. كان الطابور خارج صالون الحلاقة قد لف حول المبنى مرتين. بدا الطلاب في قمة أناقتهم، حتى الصّبية المصابين بأمراض جلدية.

بحث إلوود عن تيرنر، وجده جالسًا مع بعض صبية روزفلت الذين

كان يستلقي بجانبهم في الأسرّة خلال فصله الدراسي الأول. من ابتسامته المزيفة عرف أنّ إلوود كان ينظر إليه. بالكاد تحدّث تيرنر معه منذ ذاك اليوم في القبو، حيث يتسكع مع جايمي وديزموند ويغادر خلسة عندما يظهر إلوود. كما كان أيضًا نادر الظهور في غرفة المعيشة وافترض إلوود أنه كان يتسكع في الدور العلوي. كان الصبي بارعًا مثل هارييت في المعاملة الصامتة، خاصةً بالنظر إلى السنوات التي مارستها جدته عليه. أ هذا درسًا في الصمت؟ اخرس.

عادة، كانت أيام الأربعاء عبارة عن خدمة مجتمعية، لكن لأسباب واضحة تم إعادة توظيف إلوود وتيرنر. أمسك بهم هاربر بعد الإفطار وطلب منهم الانضمام إلى فريق المدرجات. كانت مدرجات كرة القدم في حالة من الفوضى، متناثرة، ومخلخلة، وغير ثابتة. لقد أجّل هاردي تجديدهم ليوم التفتيش كما لو أن الالتزامات الكبرى هذه كانت مجرد يوم آخر في المدرسة. تم إرسال عشرة صبية لكشط واستبدال ودهان الألواح الخشبية في جانب من الحقل، واعتنى عشرة آخرون بالمدرجات في الجانب الآخر المقابل. بحلول الوقت الذي ينتهي فيه المفتشون من الجزء الأبيض، سيكون الصبية أدوا أداء جميلًا على قدم وساق، كان إلوود وتيرنر في فريقين مختلفين حينها.

تولى إلوود استكشاف الألواح المستهلكة أو الفاسدة. كانت الحشرات الرمادية الصغيرة تتحرك وتتسلل مبتعدة عن ضوء النهار. وشعر بدخوله في إيَقاع لطيف عندما جاءت الإشارة، غادر المفتشون الصالة الرياضية وتوجهوا نحو ملعب كرة القدم. حاول أن يفكر في الأسماء المستعارة التي سيطلقها تيرنر عليهم، كان الشخص البدين نسخة من جاكي جليسون[98]،

كما بدا الشخص ذو قصة الشعر القصيرة مثل لاجئ من مايبيري[99]، والطويل كان جون كينيدي ولديه ملامح واسب[100]، عظامه بارزة مثل الرئيس الميت "كينيدي" ونفس الأسنان البيضاء الساطعة، اختار نفس قصة الشعر لزيادة التشابه. في الشمس، خلع المفتشون ستراتهم - كان يومًا رطبًا – وتحتها قمصانًا بأكمام قصيرة وربطات عنق سوداء بمشبك مما جعل إلوود يفكر في رأس كانافيرال[101]، هؤلاء الرجال الأذكياء ذوي المسارات المستحيلة المكتظة في جماجمهم.

أدخل كلمات مثل سندان إلى دفتره الذي يسجل به كل شيء، قال القس: إنّ الظلام لا يمكن أن يطرد الظلام، فالنور وحده يمكنه فعل ذلك. الكراهية لا يمكن أن تطرد الكراهية، فقط الحب يمكنه فعل ذلك. كان قد سجل قائمة بأربعة أشهر من عمليات التسليم والمستلمين، والأسماء والتواريخ والبضائع المتبادلة، وأكياس الأرز وعلب الخوخ، وأنصاف لحم البقر واللحم المقدّد للكريسماس. ثم أضاف ثلاثة سطور عن البيت الأبيض وبلاك بيوتي، وأن أحد الطلاب – يدعى غريف - اختفى بعد بطولة الملاكمة. كل ذلك في خط جميل. لم يكتب اسمه، ليضحك على نفسه بأنهم لن يعرفوا هوية الكاتب، سيعرفون أنه كان الواشي بالطبع، لكنهم سيكونون في السجن حينها.

هل هذا هو الشعور؟ أن تمشي ذراعًا بذراع وسط الشارع، تكون واحدًا في أول سلسلة حية، تعلم أنه في الزاوية التالية ينتظر الجماهير البيض بمضاربهم البيسبول وخراطيم الإطفاء والشتائم. لكنه كان هو فحسب، كما أخبره تيرنر ذلك اليوم في المستشفى.

دُرّب الصّبية على الانتظار حتى يُوجه إليهم الكلام قبل التحدث إلى

رجل أبيض. تعلموا هذا في أيامهم الأولى، في المدرسة، في الشوارع وطرق مدنهم المتربة. تعزز هذا في نيكل: أنت صبي أسود في عالم الرجل الأبيض. لقد كان هناك مسارح مختلفة لكينونته: مبنى المدرسة، خارج قاعة الطعام، ساحة انتظار السيارات بجوار مبنى الإدارة. لم ينجح أبدًا في لعب مسرحية العتق هذه دون تدخل، هاردي وسبنسر، على الأغلب سبنسر، كانا لا محالة يضعان قيودًا على خشبة المسرح، مما أدى إلى تدمير المشهد. كان يتوقع من المدير والمشرف أن يكونا بصحبة المفتشين، لكنه وجد رجال الولاية يتجولون من دون مرافقين. يمرون بتمهل على الممرات الخرسانية، مشيرين إلى هذا أو ذاك، يتبادلون وجهات النظر. أوقفوا الطلاب لإجراء محادثات صغيرة ونادوا على صبي أبيض كان يركض إلى المكتبة، وأمسكوا بالآنسة بيكر ومعلمة أخرى للدردشة.

ربما كان ذلك ممكنًا.

تباطأ جون كينيدي وجاكي جليسون ومايبيري أمام ملاعب كرة السلة الجديدة - التي كانت عبارة عن دهاء بارع من جانب هاردي - واقتربوا من ملاعب كرة القدم، تمتم هاربر: "تبدون مشغولين يا أولاد"، ولوح للمفتشين. سار في خطّ الخمسين ياردة إلى المدرجات المقابلة ليعطيهم إحساس واهم بعدم التدخل. نزل إلوود المدرجات وخطا حول لوني وبلاك مايك، اللذين كانا يضعان بارتباك لوحًا من خشب الصنوبر على السقالة. كان في الزاوية المناسبة لاعتراض سيرهم أخيرًا. تسليم سريعة، وإذا رأى هاربر وسأل عما يوجدَ في هذا الظرف، فإنه سيقول مجرد مقال عن قدرة الحقوق المدنية على تغيير الأشياء بالنسبة للجيل الأصغر من السود، وأنه عمل عليه منذ أسابيع، بدا وكأنه بعض هراء مبتذل ذلك الذي اتهمه تيرنر به.

كان إلوود على بعد ياردتين من الرجال البيض. انقبض قلبه، فهذا السندان لا يتزحزح من فوقه، لكنه غير اتجاهه فجأة نحو كومة الخشب ووضع يديه على ركبتيه.

صعد المفتشون إلى أعلى التل، ألقى جاكي جليسون مزحة وضحك الاثنان الآخران، لقد مروا عبر البيت الأبيض دون أي تعليق.

أحدث الطلاب الآخرون الكثير من الضوضاء عندما رأوا ما طبخه الطباخ لتناول طعام الغداء - هامبرغر وبطاطا مهروسة وآيس كريم لن تراه داخل متجر فيشر للأدوية مطلقًا - لدرجة أن بلاكيلي طلب منهم أن يهدأوا: "هل تريدونهم الاعتقاد أن ما يحدث هنا سيرك؟". رفضت معدة إلوود الطعام، لقد كان متوترًا وقرر المحاولة مرة أخرى في كليفلاند. بغرفة المعيشة، سيقول "عفوًا سيدي" على عجالة في الردهة. أو بدلًا من ذلك يخرج إلى العراء شاقًّا اللون الأخضر، سيستطيع الانتهاء من الأمر، سيعطيه لجون كينيدي. لكن ماذا لو فتحه المفتش هناك؟ أو قرأه أثناء السير أسفل التل حيث التقى بهم هاردي وسبنسر لمرافقتهم خارج المكان؟

لقد هزموا إلوود لكنه لملم نفسه ولا يزال هنا. لم يكن هناك شيء يمكنهم فعله لم يفعله البيض بالسود بالفعل من قبل، ولم يفعلوه في هذه اللحظة في مكان ما في مونتغمري وباتون روج، بوضح النهار في أحد شوارع المدينة خارج وولورثس. أو في طريق ريفي مجهول مع عدم وجود أحد ليروي الحكاية. كانوا يهزمونه ويضربونه بالسوء، لكنهم لا يستطيعون قتله، ليس إذا عرفت الحكومة ما يجري هنا. شرد عقله، ورأى الحرس الوطني يقود سيارته عبر بوابة نيكل في قافلة من الشاحنات ذات اللون الأخضر الداكن، والجنود يقفزون إلى الخارج ويقفون في تشكيل. ربّما لم

يوافق الجنود على ما تم إرسالهم للقيام به، وكان تعاطفهم مع النظام القديم بدلاً عما هو صحيح، لكن كان عليهم الالتزام بقوانين الأرض. بنفس الطريقة التي اصطفوا بها في ليتل روك للسماح للزنوج التسعة بالدخول إلى المدرسة الثانوية المركزية[102]، مكونين جدارًا بشريًا بين البيض الغاضبين والأطفال، وبين الماضي والمستقبل. لم يستطع الحاكم فوبوس فعل أي شيء حيال ذلك؛ لأن الأمر كان أكبر من أركنساس وشريرها المتخلف، كان هو أمريكا ذاتها. آلية العدالة التي وضعتها امرأة جالسة في حافلة حيث طُلب منها عدم الجلوس، رجل يطلب ساندوتش لحمًا مُقدّدًا في مطعم يمنع السود أو خطاب إثبات.

يجب أن نؤمن بأرواحنا بأننا بشر، وأننا مهمون، ولدينا حقّ، يجب أن نسير في شوارع الحياة كل يوم بهذا الإحساس بالكرامة وهذا الإحساس بإنسانيتنا. إذا لم يكن لديه ذلك، فماذا سيكون لديه؟ في المرة القادمة، لن يتعثر.

عاد فريق المدرجات بعد الغداء، أمسك هاربر بذراعه وقال له: "انتظر دقيقة يا إلوود".

"نعم يا سيد هاربر؟"، ثم قطع الصّبية الآخرون المنحدر.

قال: "أريدك أن تتوجه إلى المزارع وتجد السيد جلادويل"، أشرف السيد جلادويل ومساعدوه على جميع عمليات الزراعة والحصاد في نيكل. لم يتحدث إلوود معه أبدًا، لكن الجميع عرفه من خلال قبعته المصنوعة من القَش والسمرة التي أخذها في مزارعه، مما جعله يبدو كأنه سبح عبر نهر ريو غراندي[103] للوصول إلى هنا. قال هاربر: "هؤلاء الرجال من الولاية لن يتوجهوا إلى هناك اليوم، سوف يرسلون بعض الخبراء الآخرين للتحقق

من المزارع بشكل خاص، جده وأخبره أن باستطاعته أخذ راحة".

التفت إلوود إلى حيث أشار هاربر، أسفل الطريق الرئيسي حيث صعد المفتشون الثلاثة الدرجات إلى كليفلاند، دخلوا. لكن السيد جلادويل كان الرب وحده يعلم أين مكانه في الشمال، بين حقول الليمون أو البطاطا التي كانت فدادين وفدادين. سيكون المفتشون قد غادروا بحلول الوقت الذي سيعود فيه.

"يعجبني الطلاء يا هاربر.. هل يمكن لأحد الصبية الصغار أن يذهب بدلًا عني؟"

"سيد هاربر، يا سيدي..". في المدرسة كان عليهم أن يلتزموا بالقواعد.

".. سيدي، أفضل العمل في المدرجات".

عبس هاربر، "تتصرفون بجنون اليوم، جميعكم. افعل ما طلبته منك ويوم الجمعة يعود كل شيء إلى طبيعته"، ترك هاربر إلوود على سلالم قاعة الطعام. آخر كريسماس، كان واقفًا في نفس المكان عندما أخبره ديزموند وتيرنر بمشكلة معدة إيرل.

"سأفعل ذلك"، لقد كان تيرنر الذي تكلم.

"تفعل ماذا؟"

قال تيرنر: "تلك الرسالة التي في جيبك سأعطيها لهم، اللعنة. انظر إلى نفسك.. تبدو مريضًا!".

بحث إلوود عن تل[104]. لكن تيرنر عرف المحتالين في العالم ولم يغش المحتالون في اللعبة أبدًا.

"قلت إنني سأفعل ذلك، سأفعل ذلك. هل لديك شخص آخر؟"

أعطاه إلوود الدفتر وركض شمالاً دون كلام.

استغرق الأمر من إلوود ساعة للعثور على السيد جلادويل، الذي كان يجلس على كرسي كبير من الخوص على حافة حقول البطاطا الحلوة، وقف الرجل محدقًا في إلوود.

"ها؟ ماذا الآن؟"، ثم قال مسترخيًا: "أعتقد أنني أستطيع أن أدخن أخيرًا"، وأعاد إشعال سيجاره. صرخ في موظفيه الذين أوقفوا عملهم حين رأوا إلوود قادمًا. "هذا لا يعني أنه يمكنكم التوقف الآن، هيّا أكملوا!".

قطع إلوود طريق العودة الأطول سائرًا في مسارات تدور حول بووت هيل وبين الاسطبلات والغسيل. كان بطيئًا في خطواته، لم يرغب في معرفة ما إذا كان قد تم اعتراض خطة تيرنر، أو ما إذا كان الصبي قد فشل أو ببساطة أخذ رسالته إلى مخبأه وحرقها بعود ثقاب. مهما كان ما ينتظره على الجانب الآخر، فسيظل ينتظره متى وصل إلى هناك، لذلك صفَّر نغمة يتذكرها عندما كان صغيرًا، نغمة بلوز حزينة. لم يتذكر كلماتها أو ما إذا كان والده أو والدته من غناها، لكنه شعر بالرضا كلما تسللت الأغنية إليه، نوعًا من الهدوء مثل ظل سحابة من العدم، شيء عارض كبير، لفترة وجيزة فقط قبل أن تبحر في طريقها.

اصطحبه تيرنر إلى الدور العلوي في المستودع قبل العشاء، حيث كان لديه تصريح بالتجول، بينما إلوود لم يكن لديه، لكنه تخلص من شعور الخوف. إذا كتب تلك الرسالة، فسيكون جريئًا بما يكفي لدخول المستودع دون إذن. كان المخبأ أصغر مما كان في تخيله، فجوة ضيقة قد تكسرت تحتَ أرض نيكل مبطنة بالأقفاص، وبطانية عسكرية قذرة، ووسادة من أريكة غرفة المعيشة. لم يكن ملجأ مخصصًا لعامل حذر، لكنه مخبأ صغير لهارب خطا إلى الداخل ليبتعد عن المطر، حيث ياقته مغلقة بإحكام.

جلس تيرنر على صندوق زيت ماكينة ما وأمسك ركبتيه. قال: "لقد سلمته، وضعته في نسخة صحيفة ذا جاتور، كما هو الحال في صالة البولينغ عندما أعطى السيد غارفيلد رشوة لرجال الشرطة الملعونين". ركض إلى سيارة الرجل وقال: "أعتقد أنك تريد نسخة".

"لمن سلّمته؟"

"جون كينيدي، من غيره؟" أجابه في ازدراء. "هل تعتقد أنني قد أعطيه لهذا الرجل من ذا هانيموونرز[105]؟". قال إلوود: "شكرًا".

"أنا لم أفعل أي قذارة يا إل. لقد قمت بتسليم البريد، هذا كل شيء". مدّ يده وتصافحا.

أحضر موظفو المطبخ الآيس كريم مرة أخرى في تلك الليلة. كان مسؤولو نيكل، وربما هاردي، راضين عن الطريقة التي سارت بها عملية التفتيش. في المدرسة صباح اليوم التالي، وفي الخدمة المجتمعية في يوم الجمعة، انتظر إلوود ردة الفعل، كما لو عاد إلى مدرسة لينكولن الثانوية وانتظر البركان حتى ينفجر ويصدر عنه الدخان في فصل العلوم. لم يصرخ الحرس الوطني في ساحة انتظار السيارات، ولم يضع سبنسر يده الباردة على رقبته ويقول: "يا فتى، لدينا مشكلة". لم يحدث أيًّا من هذا.

لقد حدث كما حدث في أي وقت مضى. في الليل، في عنابر النوم، زحفت المصابيح الكهربائية على وجهه وأخذوه إلى البيت الأبيض.

الفصل الخامس عشر

قرأتْ عن المطعم في ديلي نيوز وتركتْ قصاصة المقال بجانب سريره حتى لا تفوته رؤيتها. لقد مرّ وقت منذ أن سهرا معًا بالخارج. ثلاثة أشهر، وكانت لا تزال سكرتيرته إيفيت تغادر المكتب مبكرًا لرعاية والدتها، مما جعله يحاول لعب دورها في نهاية كل يوم. كانت والدتها تعاني من الخرف، لكنهم يسمونه خبل الآن. أما بالنسبة لميلي، إنهم تقريبًا في شهر مارس من ذلك العام، لذا كان الجنون السنوي على وشك البدء، فقد اقترب الخامس عشر من أبريل والجميع يتدافعون. قالت زوجته: "لديهم مستوى من الإنكار وهو نوع من الجنون الإيجابي". عادة ما تعود إلى المنزل في الوقت المناسب لموجز أنباء الساعة الحادية عشرة. لقد ألغى الموعد المقرر الليلة مرتين بالفعل - حيث كان موعد الليلة هذا عبارة عن اجتماع ما بمجلة نسائية، ضمه الآن إلى مفرداته بكلمة انشقاق - لذلك لم تكن ميلي لتتركه يفوت هذه الليلة أيضًا. قالت ميلي في محاولة لإقناعه: "دوروثي ذهبت هناك مرتين وتقول إنه أمر رائع".

تقول دوروثي عن الكثير من الأشياء إنها رائعة مثل وجبة الإفطار المتأخرة، وأمريكان أيدول، وتقديم احتجاج على افتتاح هذا المسجد الجديد، لكنه أمسك لسانه ولم يتحدث.

غادر في السابعة، بعد أن حاول فكّ شفرة الخطة الصحية الجديدة

التي وضعتها إيفيت لشركة النقل. لقد كانت أرخص لكن هل يتعرض للسرقة على المدى الطويل من خلال هراء الدفع المشترك هذا؟ هذا النوع من الأعمال الورقية دائمًا مربك ومزعج. سيطلب من إيفيت أن تشرح الأمر مرة أخرى حين تصل في اليوم التالي.

نزل في محطة سيتي كوليدج في برودواي وانطلق إلى أعلى التل. كان الجو أكثر دفئًا مما كان متوقعًا لشهر مارس، لكنه تذكر أكثر من عاصفة ثلجية في أبريل بمانهاتن ولم يكن مستعدًا لقول إن هذا ربيعًا بعد. قال: "يحدث ذلك فورًا بعد أن تخلع معطفك"، أخبرته ميلي أنه يبدو مثل الناسك الخفاش الذي يعيش في كهف.

كان متجر كاميلي على ناصية شارعي 141 وأمستردام، مبنى بيع بالتجزئة مكون من سبعة طوابق. وصف تقرير ديلي نيوز المكان بأنه جنوبي حديث، "أطباق تويست متواضعة". ما هو التويست - إنه طعام روحي[106] أعدّه الناس البيض؟ الكيتلين[107] مع بعض المخلل فوقها؟ ومضت لمبات لافتة بيرة لون ستار بجانب النافذة، وأحاطت هالة منبعثة من لوحات ترخيص ألاباما المحطمة، بقائمة الطعام في جانب المدخل. حدّق بعينيه، لم تعد عيناه كما كانت عليه من قبل. على الرغم من مظهره الريفي البدائي، بدا الطعام جيدًا ولم يكن مزعجًا، وعندما وصل إلى النادل المرحب بالزبائن، كان معظم الزوار بالداخل من سكان الحي؛ السود واللاتينيون الذين ربما يعملون في المنطقة أو في الجامعة، تقليديون لكن حضورهم مضمون.

كانت النادلة فتاة بيضاء في ثوب هيبي أزرق فاتح، كأنّها تتبع جماعة ما. طُبعت الأوشام ذات الطابع الصيني على ذراعيها النحيلتين، وكانت

تعرف ما يدور بينهم. تظاهرت بعدم رؤيته وبدأت في جولة من "العنصرية أم الخدمة السيئة؟".. لم يتعمق في أفكاره قبل أن تعتذر هي عن تركه ينتظر، فالنظام الجديد معطل كما قالت، حدّقت بعبوس في الرمادي اللامع فوق دفترها: "هل ترغب في الجلوس الآن أم تنتظر بقية أصدقائك؟".

سنوات من العادة جعلته يقول إنه سينتظر في الخارج، وبعد ذلك على الرصيف كانت تظهر خيبة الأمل المألوفة، لكن جعلته ميلي يتخلى عن تلك العادة. قام بإخراج قرص من علكة النيكوتين من ورق القصدير.

أمسية دافئة في أواخر الشتاء، لم يكن يعتقد من قبل أنه سيكون في هذا المبنى في طريق 142. تعرف على المبنى من وظيفة قديمة، عندما كان لا يزال على متن الشاحنة. كان أحياناً يشعر بالأيام القديمة من خلال ألم ظهره، وخز ورجفة. كان المبنى هو هاملتون هايتس الآن. في المرة الأولى التي سأل فيها أحد موظفيه عن مكان هاملتون هايتس، قال: "أخبرهم أنه سينتقل إلى هارلم". لكن الاسم ظل يتردد عالقًا في البال. وكلاء العقارات الذين يخترعون أسماء جديدة للأماكن القديمة، أو يعيدون إحياء أسماء قديمة لأماكن قديمة، يعني أن الحي ينقلب ويتغير، كما يعني أن الشباب البيض يعودون. يمكنه تغطية إيجار المكتب والرواتب، تريد أن تدفع له مقابل نقلك إلى هاملتون هايتس أو لوار ووفيل أو أيًا كان ما سيأتي به، فهو سعيد بالمساعدة، لمدة ثلاث ساعات على الأقل.

تراجعت هجرة السكان البيض، لقد قام أطفال وأحفاد أولئك الذين هجروا الجزيرة قبل سنوات، هربوا كذلك من أعمال الشغب وحكومة المدينة المفلسة، والرسومات الجدارية المحفوفة بعبارات بذيئة، بغض النظر عما تعبر عنه الكلمات. كانت المدينة عبارة عن مكب نفايات حينما

وصل إليها ولم يعلّق. دفعت عنصريتهم وخوفهم وخيبة أملهم ثمن حياته الجديدة. تريد أن تدفع مقابل الانتقال إلى روسلين، لونغ آيلاند، بإمكان هوريزون أن تساعدك بسرور، وإذا كانوا في السابق لا يدفعون له أجرة ساعة عمله، فقد كان ممتنًا لأن السيد بيتس كان يدفع في الوقت المحدد نقدًا خارج السجلات، لن يهم ما هو اسمه أو من أين أتى.

صحيفة ويست سايد سبيريت[108] واضحة بجانب سلة القمامة المركونة بالزاوية، فقام بتدوين ملاحظة فوقها ليخبر ميلي أنه لم يجرِ المقابلة لتراها وهما متوجهان للنوم، أو في اليوم التالي حتى لا يفسدا الأمسية. في نادي الكتاب، باعت امرأة إعلانات الصحيفة وأخبرت ميلي أنها ستدوّن اسم إلوود ليشارك في كتابة مقال يعملون عليه، ليسلطوا الضوء على الأنشطة التجارية المحلية. "رواد الأعمال المغامرون"، لقد كان رجلًا أسود طبيعيًا يمتلك شركة نقل خاصة به، ووظف السكان المحليين، وكان موجهًا لهم.

قال لميلي: "أنا لم أوجه أي شخص". كان في المطبخ يعقد ربطة كيس قمامة.

"إنه لشرف كبير".

قال: "أنا لست واحدًا من هؤلاء الأشخاص الذين يحتاجون إلى اهتمام الجميع".

كان الأمر بسيطًا؛ حوار سريع ثم يرسلون مصورًا لالتقاط بعض الصور لمكتبه الجديد في شارع 125. ربما كان أحد موظفيه يقف أمام الشاحنَات، قد يكون المدير التنفيذي ليضع كل شيء في نصابه. أمر غير مقبول، لا بد أن يكون لطيفًا حيال ذلك، يضع إعلانًا أو إعلانين، وهذا سيكون كل شيء.

تأخّرت ميلي خمس دقائق على غير عادتها.

أزعجه هذا، تراجع إلى الوراء، وتراجع أكثر حتى رأى المبنى بطريقة مناسبة وأدرك أنه كان هنا من قبل. بالعودة إلى السبعينيات، كان المطعم عبارة عن مركز اجتماعي أو ما شابه، يقدم مساعدات قانونية. نظرة واحدة على المكاتب حينها كانت كافية حتى يتمكن من معرفة أن كل شخص يشبهه، يساعدونك في ملء طلب قسائم الطعام والبرامج الحكومية الأخرى، ويعطلون البيروقراطيين المُحبِطين، الذين يديرهم على الأرجح بعض الفهود[109] السابقين. كان لا يزال وقتها يعمل في هوريزون لذلك لا بد أن يكون هذا في السبعينيات. بالطابق العلوي في منتصف الصيف، والمصعد كان معطلاً. تقّوس كل هذا البلاط الأبيض والأسود سداسي الشكل، الخطوات التي طبعتها العديد من الأقدام بدت كأنها تبتسم، دزينة ابتسامات في كل طابق.

حقيقة: ماتت السيدة العجوز. استأجرهم ابنها لحزم كل شيء ونقله إلى منزله في لونغ آيلاند، فنقلوا الأشياء إلى القبو وأفسحوا مكانًا بوضعها بين المرجل وسنارات الصيد التي لم يلمسها أحد. حيث ستبقى حتى يموت الابن ولا يعرف أولاده ماذا يفعلون بها ويبدأ نقلهم من جديد. كانت الأسرة قد حزمت نصف أغراض السيدة العجوز ثم استسلمت، عليك التعرف على العلامات عندما يُنهك الناس من جسارة المهمة. كانت لا تزال هناك مجموعة من الصور من فترة الظهيرة في ذاكرته: أعلى وأسفل طابق الشقة.. العرق يغرق رداء هوريزون الذي يرتدونه، النوافذ المغلقة العالقة التي تسببت في الرائحة الكريهة للعزلة والموت والخزائن الفارغة. السرير الذي ماتت فوقه، مجرّدٌ من مرتبته المخططة باللونين الأزرق والأبيض وبقعها.

"هل نأخذ المرتبة؟"

"نحن لا نأخذ مراتب".

يعلم الرب أنه كان يشعر بالخوف في تلك الأيام من الموت بهذه الطريقة. لا يعرف أحد حتى تنذر الرائحة الكريهة الجيران ويسمح مفتش الشرطة الغاضب للشرطة بالدخول، يكون منزعجًا حتى يرى الجثمان ثم بعد ذلك يتم جمع الأشياء - لقد ترك البريد يتراكم، وفي مرة قام بشتم السيدة اللطيفة في البيت المجاور وهدد بتسميم قططها. الموت وحيدًا في إحدى غرفه القديمة ويكون آخر شيء يفكر فيه قبل الموت هو نيكل. تلاحقه نيكل حتى اللحظة الأخيرة، لحظة انفجار وعاء في دماغه أو أن قلبه يتوقف فجأة في صدره وما أبعد من ذلك أيضًا. ربما نيكل هي الحياة الآخرة التي تنتظره، مع وجود البيت الأبيض أسفل التل ووجبة الشوفان الأبدية والأخوّة اللامحدودة للصّبية المكسورين، لم يفكر في الموت بهذه الطريقة منذ سنوات - وحزمها في صندوق ووضعها في قبو منزله بجانب المرجل ومعدات الصيد المهملة، مع باقي الأشياء من الأيام الخوالي. لقد توقف عن تغذية هذا الخيال منذ فترة طويلة، ليس لأنه كان لديه شخص ما في حياته، لكن لأن هذا الشخص كان ميلي. لقد أزالت الأجزاء السيئة، يأمل أنه استطاع فعل نفس الشيء.

شعر أنه يريد أن يشتري لها الزهور، مثلما حدث عندما بدأ في الخروج معها. ثماني سنوات منذ أن رآها في دار جمع التبرعات هال هاوس، تملأ استمارَة تذاكر اليانصيب في نسختها الدقيقة. هل هذا ما يفعله الأزواج العاديون، يشترون الزهور دون سبب؟ كل هذه السنوات التي قضاها في تلك المدرسة، وما زال يقضي جزءًا من أيامه في محاولة لفك رموز عادات

الناس العاديين. أولئك الذين نشأوا بسعادة، ثلاث وجبات في اليوم وقبلة ليلة سعيدة، أولئك الذين لم يكن لديهم فكرة عن البيوت البيضاء، وأزقة العشاق، وقضاة مقاطعة البيض الذين حكموا عليك بالجحيم.

كانت متأخرة. إذا سارع يمكنه الوصول إلى برودواي وشراء باقة ورد رخيصة من متجر كوري قبل أن تصل إلى هناك.

"لماذا هذه الورود؟" سوف تسأل.

لأنك كل هذا العالم من الحرية.

كان يجب أن يفكّر في الزهور عاجلاً أثناء مروره على متجر خارج المكتب أو عندما يخرج من مترو الأنفاق، لأنها قالت في ذلك الوقت: "إنه زوجي الوسيم"، وكان ذلك موعد غرامي.

الفصل السادس عشر

علمهم آباؤهم كيف يبقون على العبد تحت السيطرة، وتناقلوا هذا الإرث الوحشي. أخذه بعيدًا عن عائلته، ضربه حتى لا يتذكر سوى الضرب، وربطه بالسلاسل حتى لا يعرف سواها. تركه فترة في صندوق التعرق الحديدي، ليحمّص دماغه في الشمس، وضع حاملًا خشبيًّا ليتحمّصوا فوقه، وكذلك الحال مع الزنزانة المظلمة، غرفة في العلّية غارقة في الظلام خارج الزمن.

بعد الحرب الأهلية، عندما تم تحصيل غرامة قدرها خمسة دولارات على تهمة جيم كرو، التشرد، وتغيير الموظفين دون إذن، و"المعاملة المتغطرسة" لما لديك، دفعت الرجال والنساء السود إلى فوضى عمالة الديون، وتذكر الأبناء البيض تقاليد العائلة. الحفر الكبيرة بالأرض، أسياخ الحديد الساخنة، منع أشعة الشمس. لم تكن مدرسة فلوريدا الصناعية للبنين تعمل لستة أشهر قبل تحويل دواليب التخزين بالطابق الثالث إلى زنزانة انفرادية. عمل أحد العمال المهرة على مسكن تلو الآخر، وثبت الجدران بالبراغي: كل شيء هناك. وظلّت هذه الزنازين المظلمة مستخدمة حتى بعد وفاة صبيان محبوسين في حريق عام 21. أبقى الأبناء البيض الطرق القديمة متقاربة.

حظرت الولاية الزنازين المظلمة وصناديق التعرّق في منشآت الأحداث

بعد الحرب العالمية الثانية. لقد كان هذا وقت الإصلاح الراقي في كلّ مكان، حتى في نيكل. لكنّ الغرف انتظرت فارغة وبلا تهوية، انتظارًا للصِّبية الضالين الذين يحتاجون إلى تعديل موقفهم. إنهم لا يزالوا ينتظرون، طالما أنّ الأبناء - وأبناء هؤلاء الأبناء - يتذكرون.

الضرب الثاني لإلوود في البيت الأبيض لم يكن قاسيًا مثل المرة الأولى. لم يعرف سبنسر الضرر الذي تسببت فيه رسالة الصبي، من أيضا قرأها، ومن اهتم بها، وما نوع التداعيات التي سببتها في المدينة. قال: "زنجي ذكي، أنا لا أعرف من أين يأتون بهؤلاء الزنوج الأذكياء!". لم يكن المشرف بنفس المرح المعتاد، ضرب الصبي عشرين مرة، ثم مشتتًا، سلم بلاك بيوتي إلى هينيبين لأول مرة. كان سبنسر قد وظف هينيبين كبديل لإيرل، غير مدرك لمدى الكمال الذي اختاره. لكن الطيور على أشكالها تقع، حافظ هينيبين على تعبير الخبث الباهت في معظم الوقت، متثاقلاً بالأرض، لكنّه يتألق في لحظات القسوة، تظهر أسنانه المخلخلة مع ابتسامة عريضة، ضرب هينيبين الصبي لفترة وجيزة قبل أن يمسك سبنسر يده، لم يكن هناك ما يخبرهم بما يحدث في تالاهاسي، فاكتفوا وأخذوا الصبي إلى الزنزانة المظلمة.

كانت غرفة بلاكيلي على يمين الجزء العلوي من السلم، خلف الباب الآخر رواق صغير وثلاث غرف. وقد أعيد طلاء الغرف وقت التفتيش وتم نقل أكوام من الشراشف والمراتب الزائدة إلى الداخل. أخفى الطلاء الأحرف الأولى من مسجوني الزنزانة السابقين، والخدوش التي فعلوها في الظلاَم على مرّ السنين. الأحرف الأولى والأسماء، وكذلك مجموعة من الكلمات والتضرعات. عندما فُتحت الأبواب وكُشفت الخدوش للصبية الذين كتبوها، لم تكن تشبه الكتابة الهيروغليفية التي يتذكرون أنهم

نقشوها فوق الجدران، بل كانت أقرب لعلم الشياطين.

قام سبنسر وهينيبين بنقل الشراشف والمراتب إلى الغرف على كلا الجانبين. وأصبحت الغرفة فارغة عندما دفعا إلوود للداخل. في ظهيرة اليوم التالي، في وردية نهارية، قام أحد المسؤولين بإعطاء دلوا للصبي ليستخدمه كمرحاض، ليس أكثر. الضوء المتوتر من الفتحة الشبكية أعلى الباب، ضوء رمادي اعتادت عيناه في النهاية عليه، أعطوه الطعام عندما ذهب الصّبية لتناول الإفطار، وجبة واحدة في اليوم.

وصل آخر ثلاثة نزلاء لهذه الغرفة إلى نهايات سيئة. كان المكان الأسوأ حظًا بالإضافة إلى سوء الحظ الموجود سلفًا، مكانًا ملعونًا. حُكم على ريتش باكستر بالسجن في الزنزانة المظلمة لمقاومته لهم، قام مشرف أبيض بضربه لكمات على أذنيه، فضربه ريتش وأسقط ثلاثة من أسنانه، كانت يده اليمنى حديدية. أمضى ريتش شهرًا في الزنزانة وهو يفكر في القسوة المجلجلة التي قد سيحملها للعالم الأبيض لمّا يخرج؛ الفوضى والقتل والاعتداء. مسح مفاصل أصابعه الدموية بسرواله. لكن بدلاً من ذلك التحق بالجيش ومات - كان نعشًا مغلقًا - قبل يومين من نهاية الحرب الكورية. بعد خمس سنوات، تم إرسال كلود شيبارد للطابق العلوي بسبب سرقة الخوخ. لم يعد هو نفسه بعد تلك الأسابيع المظلمة، دخل صبيًا وخرج رجلًا يعرج. لقد تخلى عن سلوكه السيء، وراح يبحث عن بديل لانعدام قيمته المتفشي، كان باحثًا أخرقًا. تناول كلود جرعة زائدة في منزل فلوب في شيكاغو بعد ذلك بثلاث سنوات، وأصبحت مقبرة الفقراء تحتويه الآن.

ضُبط جاك كوكر، من تقدّم إلوود كورتيس في الزنزانة، مع طالب آخر، تيري بوني. أمضى جاك وقته المظلم في كليفلاند، وتيري في الطابق

الثالث من روزفلت. نجوم ثنائية في الفضاء البارد، أول شيء فعله جاك عندما خرج هو ضرب تيري على وجهه بكرسي. حسنًا، ليس أول شيء، فقد كان عليه أن ينتظر حتى وقت العشاء. كان الصبي الآخر مرآة أعطته لمحة مدمرة عن نفسه، توفي جاك على أرضية بار صغير قبل شهر واحد من وصول إلوود إلى نيكل. لقد سمع ملاحظة شخص غريب على أنها شيء آخر غير ما قيل وضربه. الغريب أنه كان يحمل سكينًا.

بعد أسبوع ونصف، سئم سبنسر من الخوف - في الحقيقة كان خائفًا معظم الوقت لكنه لم يكن معتادًا على قيام أحد صبيته السود بالتحريض على هذا الخوف - وقام بزيارة إلوود. هدأت الأمور في مقر الولاية، وكان هاردي أقل بؤسًا. انتهى الأسوأ. كان لدى الحكومة سلطة كبيرة للتدخل، وكانت هذه هي المشكلة بشكل عام. وبالطريقة التي رآها، كانت الأمور تزداد سوءًا كل عام. كان والد سبنسر مشرفًا في الجزء الجنوبي وتم تقليل منصبه بعد اختناق أحد طلابه حتى الموت. بعض الخشونة التي خرجت عن السيطرة وكان هو كبش الفداء. كان المال شحيحًا من قبل؛ فأصبح أقل. لا يزال سبنسر يتذكر تلك الأيام، يعض اللحم وحساء كريه الرائحة في ذلك المطبخ الصغير، مصطفًّا هو وإخوته وأخواته مع الأواني القديمة الباهتة. كان جده يعمل في شركة تي إم ماديسون للفحم في سبادرا، أركنساس، ويفكر بالمُدانين الزنوج. لم يجرؤ أحد من المنطقة ولا حتى من المكتب الرئيسي على التدخل في أداء مكتبه، كان جدُّه حرفيًّا وكان يتمتع باحترام إنجازاَته. الأمر برمته مهينًا، أن يكتب أحد صِبية سبنسر رسالة ضده.

أخذ سبنسر هينيبين معه إلى الطابق الثالث. كان صبية باقي المسكن قد ذهبوا لوجبة الإفطار. قال: "ربما تتساءل إلى متى سنبقيك هنا". ركلا

إلوود لفترة وشعر سبنسر بتحسن بعدها، مثل فقاعة من القلق في صدره وفرقعت.

أسوأ شيء حدث لإلوود على الإطلاق، كان يحدث كل يوم: أن يستيقظ في تلك الغرفة. لن يخبر أحدًا عن أيام الظلام تلك. من سيأتي من أجله؟

لم يعتبر نفسه يتيمًا قط. كان عليه أن يبقى في مكانه حتى يتمكن والداه من العثور على ما يحتاجونه في كاليفورنيا. لا فائدة من الشعور بالحزن حيال ذلك، كان لا بد من حدوث شيء واحد حتى يحدث الشيء الآخر. كان لديه فكرة أنه في يوم من الأيام سيخبر والده عن رسالته، كيف كانت تمامًا مثل الرسالة التي أعطاها والده لقائده التي كانت عن معاملة الجنود السود، تلك التي أكسبته الثناء في الحرب، لكنه كان يتيمًا مثل العديد من الصّبية في نيكل. لن يأتي أحد إليه.

لقد فكر طويلا في رسالة الدكتور مارتن لوثر كينغ جونيور من سجن برمنغهام، والنداء القوي الذي شكّله الرجل من الداخل. شيء واحد وَلَّد الآخر، من دون هذه الزنزانة لم يكن ليدعو هذه الدعوة العظيمة للعمل. لم يكن لدى إلوود ورق ولا قلم، بل مجرد جدران، وكان ممتلأً بالأفكار الجيدة، ناهيك عن الحكمة وطريقة الكلمات. لقد همس العالم له بقواعده طوال حياته لكنه رفض الاستماع إليه، واستمع بدلاً من ذلك إلى صوت أعلى، واصل العالم إرشادك: لا تحب لأنهم سيختفون، لا تثق لأنهم سيخونون، لا تقف لأنك ستُسحق. لكنه لا يزال يسمع تلك الأصوات العليا: حب وهذا الحب سيعود، وثِق في الطريق الصالح الذي سيقودك إلى الخلاص، قاتل وستتغير الأشياء. لم يستمع أبدًا، ولم يرَ أبدًا ما كان أمامه

بوضوح، والآن تم انتزاعه من العالم تمامًا. كانت الأصوات الوحيدة هي أصوات الصبية بالأسفل، الصياح والضحك والصراخ المخيف، كما لو كان يطفو في سماء مريرة.

سجن داخل سجن. في تلك الساعات الطويلة، كافح من أجل معادلة القس كينغ. ألقِ بنا في السجن وسنظل نحبك... لكن تأكد من أننا سننهكك بسبب قدرتنا على المعاناة، وفي يوم من الأيام سنكسب حريتنا. لن نكتسب الحرية لأنفسنا فحسب، بل سنناشد قلبك وضميرك حتى نفوز بك في هذا المسار وسيكون انتصارنا انتصاراً مزدوجًا. لا، لم يستطع أن يقفز إلى الحب. لم يفهم لا دافع الاقتراح ولا الإرادة لتنفيذه.

عندما كان صغيرا، كان يراقب غرفة الطعام في فندق ريتشموند. كانت مغلقة في وجه السود لكنه عرف أنها في يوم من الأيام ستُفتح. انتظر وانتظر. في الزنزانة المظلمة، أعاد النظر في حلم يقظته. وتجاوز الإدراك الذي سعى إليه أصحاب الجلد البني، كان يبحث عن شخص يشبهه، عن شخص يدعي أنه قريبه. أشخاص آخرون يدّعون أنه قريبًا لهم، أولئك الذين يرون نفس المستقبل يقترب، بطيئًا كما لو أنه سيحدث وممتلئًا بالطرق الخلفية والمسارات السرية الوعرة، يتناغمون مع الموسيقى الأعمق للخطب وعلامات الاحتجاج المرسومة باليد، أولئك المستعدون لربط ثقلهم بالرافعة الكبيرة وتحريك العالم، لم يظهروا قط، ليس في غرفة الطعام ولا في أي مكان آخر.

انفتح باب بئر السلم وحكّ الأرض. خطوات خارج الزنزانة المظلمة، استعد إلوود لضرب آخر. بعد ثلاثة أسابيع قرروا أخيرًا ما يجب عليهم فعله معه. كان على يقين من أن السبب الوحيد لعدم أخذه بالخلف إلى الحلقات

الحديدية ثم الاختفاء؛ هو عدم اليقين. الآن بعد أن هدأت الأمور، عادت نيكل إلى الانضباط الصحيح والعادات التي تنتقل من جيل إلى جيل.

انزلق المزلاج، كان هناك ظلٌّ واحد ضئيل في المدخل، طمأنه تيرنر وساعده على الوقوف على قدميه.

همس تيرنر: "سوف يأخذونك للخلف غدًا".

قال إلوود: "نعم". كما لو أن تيرنر يتحدث عن شخص آخر، كان يشعر بالدوار.

"نحن سنتصرف يا رجل".

حار إلوود بشأن نحن: "وبلاكيلي؟".

"لقد فقد الوعي يا رجل، ششششش!"، سلم إلوود نظاراته وملابسه وحذاءه. أخذهم من خزانة إلوود، الملابس التي كان يرتديها في أول يوم له في المدرسة، كان تيرنر يرتدي أيضًا ملابس عادية، سروالًا أسود وقميصًا أزرق داكنًا. نحن.

استبدل صبية كليفلاند ألواح الأرضية التي تصر من أجل التفتيش؛ تركوا القليل. أمال إلوود رأسه لسماع ضجيج من غرفة بلاكيلي، كانت الأريكة بالقرب من الباب، صعد تيرنر السلم أكثر من مرة لدفعه من فوق الأريكة أثناء نومه في وقت الإيقاظ صباحًا. بلاكيلي لم يثر ضجّة، أما إلوود فقد كان متيبسًا من حبسه ومن ضربه مرّتين، تركه تيرنر يتكئ عليه حيث كان يحمل حقيبة منتفخة على ظهره.

كان من المحتمل مصادفة أحد الصبية من الغرفة 1 أو الغرفة 2 متجهًا للتبول. لذلك أسرعا بهدوء قدر استطاعتهما في نزول السلم والالتفاف حوله. قال تيرنر: "سنمشي مباشرةً للأمام"، وعرف إلوود أنه كان يقصد

تجاوز غرفة المعيشة إلى المدخل الخلفي لكليفلاند. كانت الأضواء تُضاء طوال الليل في الطابق الأول، لم يعرف إلوود كم الوقت الآن - كانت الواحدة صباحًا؟ الثانية؟ - لكن الوقت كان متأخرًا بما يكفي ليغوص المشرفون الليليون في بعض فترات الراحة المحظورة.

قال تيرنر: "إنهم يلعبون البوكر في ساحة السيارات الليلة، سوف نرى".

بمجرد خروجهما من دوائر الضوء الملقى من النوافذ، قاما بعدو سريع متعرج على الطريق الرئيسي، ثم كانا في الخارج.

لم يسأل إلوود إلى أين يتجهان، سأل تيرنر: "لماذا؟"

"حثالة - كانوا يركضون مثل الحشرات في اليومين الماضيين، كل هؤلاء الملعونين، سبنسر وهاردي. ثم أخبرني فريدي أن سام سمع من ليستر أنه سمعهم يتحدثون عن أخذك للخلف". كان ليستر صبي من كليفلاند، ينظف مكتب المشرف وكان لديه معلومات عن أهم موظف فيهم، والتر كرونكايت. قال تيرنر: "هذا كل ما في الأمر، الليلة أو لا شيء على الإطلاق".

"لكن لماذا تأتي معي؟"، كان بإمكانه توجيه إلوود إلى الاتجاه الصحيح ويتمنى له التوفيق فحسب.

"لقد اختطفوك بسرعة خاطفة، غبي كما أنت".

قال إلوود: "قلت لا تأخذ أحدًا معك أثناء هروبك".

قال تيرنر: "أنت أحمق، وأنا غبي".

كان تيرنر يقوده نحو المدينة، ركضًا على طول الطريق ثم ناما على الأرض كلما ظهرت سيارة. مع اقتراب المنازل من بعضها البعض، انحنيا

وأبطئا سيرهما، وهو ما يناسب إلوود تمامًا. ظهره يؤلمه، وساقيه حيث ضربه سبنسر وهينيبين ببلاك بيوتي. خففت سرعة رحلتهم من الألم، بدأت الكلاب اللعينة لشخص ما تنبح بصوت عالٍ ثلاث مرات عندما مرا بمنازلهم فقاما بالركض، لم يلمحا الكلاب أبدًا لكن الضجيج جعل دمائهما تتدفق.

قال تيرنر: "إنه في أتلانتا طوال الشهر"، لقد قادهما إلى منزل السيد تشارلز غرايسون، المصرفي الذي غنوا له "عيد ميلاد سعيد" في ليلة المباراة الكبيرة. بالنسبة للخدمة المجتمعية، قاما بتنظيف وطلاء مرآبه. كان منزلاً كبيرًا وحيدًا. ذهب أبناؤه التوأم إلى الكلية، تخلص إلوود وتيرنر من الكثير من الألعاب القديمة التي تخصّ صِبية غرايسون حين كانا صغارًا. يتذكر إلوود دراجتين حمراوَين متطابقتين، كانتا لا تزالان في المكان الذي تركاه فيه، بجانب أدوات البستنة. كان ضوء القمر كافيًا لرؤيتهما.

قام تيرنر بنفخ الإطارات، لم يكن مضطرًا للبحث عن المضخّة. منذ متى كان يخطط لهذا؟ احتفظ تيرنر بسجلات خاصة به أيضًا - قدّم هذا المنزل جانب من المساعدة، وذلك قدم جانبًا آخر - بنفس الطريقة التي سار عليها إلوود.

أخبره تيرنر أنهما لن يستطيعا خداع الكلاب بمجرد خروجهما للطريق. "أكثر ما يمكنك فعله هو الابتعاد قدر المستطاع، اجعل بعض الأميال بينك وبينهم". اختبر الإطارات بإبهامه والسبابة ثم قال: "أعتقد أن تالاهاسي جيدة، إنّها كبيرة، كنت سأقترح الشمال لكنني لا أعرفه جيدًا. في تالاهاسي يمكننا الاختباء في مكان ما وبعد ذلك ستحتاج تلك الكلاب إلى أجنحة لتلحق بنا".

قال إلوود: "كانوا سيقتلونني ويدفنونني هناك!".

"بالطبع كانوا سيفعلون".

قال إلوود: "لقد أنقذتني".

قال تيرنر: "نعم". كان سيقول شيئًا آخر، لكنه توقف. "هل يمكنك ركوبها؟"

"نعم أستطيع فعل ذلك".

يستغرق الوقت إلى تالاهاسي ساعة ونصف بالسيارة، على الدراجة؟ من كان يعلم إلى أي مدى سيبتعدان قبل شروق الشمس، ويسلكان الطريق الدائري. في المرة الأولى التي جاءت فيها سيارة من ورائهما، كان الوقت قد فات على الابتعاد عن الطريق، لذلك استمرا في سيرهما وحافظا على وجوههما هادئين، تجاوزتهما الشاحنة الصغيرة الحمراء دون وقوع حوادث. بعد ذلك، بقيا على الطريق ليقطعا العديد من الأميال التي تسمح بها وتيرة إلوود.

أشرقت الشمس، كان إلوود في طريقه إلى المنزل. ويعلم أنه لا يستطيع البقاء، لكنه شعر بالهدوء من مجرد فكرة وجوده في مدينته مرة أخرى بعد شوارع البيض هذه. كان يذهب أينما أمره تيرنر، وفكّر أنه عندما يكون الوضع آمن، سيراسل الصحافة مرة أخرى، سيجرب ذا دينفدر مرة أُخرى، ونيويورك تايمز.

لقد كانوا صحافة السجلات، مما يعني أنهم يعملون على حماية النظَام، لكنهم قطعوا شوطًا طويلاً في تغطيتهم النضال من أجل الحقوق. يمكنه التواصل مع السيد هيل مرة أخرى، لم يحاول إلوود الاتصال بمعلمه السابق بعد أن وصل إلى نيكل - وقد وعده محاميه بتعقبه - لكن الرجل

كان يعرف أشخاصًا كُثر كالأشخاص في "SNCC[110]" وأولئك في دائرة القس كينغ. فشل إلوود، لكن لم يكن أمامه خيار سوى مواجهة التحدي مرة أخرى. إذا أراد أن تتغير الأشياء، فما كان بإمكانه فعله غير الوقوف؟

من جانبه، فكّر تيرنر في القطار الذي سيقفزان داخله، وفكر في الشمال. لم يكن الأمر سيئًا هناك كما هو الحال هنا في الجنوب، كان بإمكان الزنجي أن يحقق شيئًا، أن يكون مديرًا على نفسه. وإذا لم يكن هناك قطار، فسوف يصل هناك زاحفًا على يديه وركبتيه.

حلّ الصباح وازدهرت حركة المرور، كان تيرنر قد حار بين هذا الطريق والطريق الريفي الآخر لكنه اختار في النهاية هذا الطريق حيث بدا على الخريطة أقل ازدحامًا ومساويًا من حيث المسافة، كان يعلم بأن السائقين يتفحصون وجوههم، لذا كان ينظر مباشرة دون أن يلتفت لهم، زاد إلوود من سرعته، ليتفاجأ بالطريق ينحدر بارتفاع حول المنحدر، لو أنهم حبسوا تيرنر لكانوا ركلوا مؤخرته عدة مرات، ودفنوه أعلى هذه التلة، لكن إلوود ظلَّ ثابتًا.

أنزل تيرنر ركبته بيده، كان قد توقف عن النظر إلى الوراء حين سمع صوت سيارة تتحرك خلفهما، إلا أنه شعر بوخز فنظر للخلف، لقد كانت شاحنة نيكل. ثم رأى الصدأ متألقًا على رفرف السيارة الأمامي، إنها شاحنة للخدمة المجتمعية.

على جانبي الطريق توجد أرض زراعية - أكوام ترابية متموجة - وعلى الجانب الآخر مروج مفتوحة، لا توجد غابة هناك على مدى رؤيته. كان المرج قريبًا ومحاطًا بسياج خشبي أبيض، صرخ تيرنر في وجه إلوود، كانا مضطرين إلى الجري.

توجها إلى الجانب الوعر من الطريق وقفزا عن الدراجات، نجح إلوود في تجاوز السياج قبل أن يصل تيرنر. نزفت إحدى الجروح من قميصه التي كانت جفت على ظهره. لحقه تيرنر في ثانية وأصبحا جنبًا إلى جنب، ركضا عبر الأعشاب البريّة الطويلة المنثنية والمزروعات. فُتحت أبواب الشاحنة وعبر هاربر وهينيبين السياج بسرعة، كل منهما لديه بندقية.

لمحهما تيرنر بنظرة خاطفة. وقال: "أسرع!"

أسفل المنحدر كان هناك سياج آخر، ثم أشجار.

"وصلنا!"، قال تيرنر.

يلهث إلوود، فاغرًا فمه.

أخطأتهما طلقة البندقية الأولى، نظر تيرنر تجاههما مرة أخرى، كان هينيبين هو من أطلق الرصاصة. توقف هاربر بعد ذلك، كان يحمل البندقية كما جعله والده يرى عندما كان صبيًا، لم يكن والده بجواره كثيرًا لكنه علمه كيف يحمل بندقية.

تعرج تيرنر ووضع رأسه لأسفل كما لو كان بإمكانه أن يغطس في الأرض. لا تستطيع الإمساك بي، أنا رجل خبز الزنجبيل. نظر إلى الوراء مرة أخرى بينما كان هاربر يضغط على الزناد. فتح إلوود ذراعيه، يديه مشرعتين، كما لو كانت تختبر صلابة جدران ممر طويل، ممر كان قد سافر عبره لفترة طويلة، مأخوذًا، ولم يكن له نهاية مرئية. تعثر إلى الأمام خطوتين ثم سقط على العشب، استمر تيرنر في الجري، سأل نفسه فيما بعد عما إذا كان قد سمع إلوود يصرخ أو يصدر أي صوت لكنه لم يكتشف ذلك مطلقًا، كان يركض ولم يكن هناك سوى اندفاع الدم المتعكر في رأسه.

الخاتمة

لم تحبه تلك الأكشاك، مهما تذمّر ونقر على الشاشات ليتأكد من وجود شخص ما على الكاونتر. كانت المضيفة فتاة سوداء في منتصف العشرينيات من عمرها بملامح جادة. إنه الجيل الجديد القادم، كبنات أخت ميلي، لا يسببون أي فوضى ولا يخشون إحراجك.

قال تيرنر: "رحلة إلى تالاهاسي، الاسم الأخير كورتيس".

"بطاقة الهوية؟"

كان من المقرر أن يحصل على رخصة قيادة جديدة، حاليًا صار يحلق رأسه يومًا بعد يوم. لم يعد يشبه الصورة، كانت تشبه شخصه القديم. لكن بمجرد وصوله إلى تالاهاسي لن يعود في حاجة إليها بأي حال من الأحوال، لقد أصبحت من الماضي.

عندما سأله صاحب المطعم عن اسمه بعد أسبوعين من هروبه من نيكل، قال: "إلوود كورتيس". كان هذا أول شيء لمع في رأسه. أحس أن هذا هو التصرف الصحيح، وبدأ باستخدام هذا الاسم منذ ذلك الحين كلما سأله أي شخص عن هويته، تكريمًا لصديقه.

سيحيا من أجله.

وصل موت إلوود للصحف، لقد كان فتى محليًّا، لا يمكنك الهروب من ذراع القانون الطويلة، مجرد هراء. اسم تيرنر في ورق الصحف بالأبيض

والأسود باعتباره الهارب الآخر، "شاب أسود". لا يوجد وصف بخلاف ذلك. فتى أسود آخر يسبب المتاعب، هذا كل ما تريد معرفته. اختبأ تيرنر في ساحات جايمي القديمة - ساحات السكك الحديدية في أُل سانتس. خاطر ذات ليلة في المستودع ثم غادر مع شحنة تتجه شمالاً، عمل هنا وهناك؛ في المطاعم، العمالة اليومية، البناء وفي شمال الساحل حتى وصل في النهاية إلى مدينة نيويورك حيث استقر.

في عام 1970، عاد إلى فلوريدا لأول مرة وطلب نسخة من شهادة ميلاد إلوود. كان الجانب السلبي للعمل مع رجال قساة في مواقع البناء وفي المطاعم الرخيصة هو أنهم كانوا سطحيين، لكنهم كانوا يعرفون أيضًا أشياء مشبوهة، مثل كيفية الحصول على شهادة ميلاد لرجل ميت، أو صبي ميت، تاريخ الميلاد، اسم الوالدين، المدينة. في ذلك الوقت كان الأمر سهلاً، قبل أن تستيقظ فلوريدا وتطبق كل وسائل الحماية. قدم للحصول على بطاقة الضمان الاجتماعي بعد ذلك بعامين ووصلت إلى صندوق البريد أعلى إعلانات المول.

كانت الطابعة الموجودة خلف كاونتر شركة الخطوط الجوية تطلق أزيزًا. قالت المضيفة: "رحلة ممتعة يا سيدي". ابتسمت: "هل من شيء آخر؟"

استفاق من أفكاره ضائعًا في ذلك المكان القديم "شكرًا لك"، إنّها زيارته الأولى إلى فلوريدا منذ ثلاثة وأربعين عامًا. وصل للمكان مباشرة من خلاَل تتبع شاشة التلفاز، التي ما لبثت أن انتزعته من مكانه.

عادت ميلي إلى المنزل الليلة الماضية بعد أن أنهت عملها، أعطاها المقالتين اللتين طبعهما عن نيكل والمقابر. علقت: "هذا فظيع! هؤلاء

الناس يفلتون من كل شيء". وفقًا لإحدى الفقرات، مات سبنسر قبل بضع سنوات، لكن إيرل كان لا يزال على قيد الحياة. خمسة وتسعون عامًا، كلهم حثالة. لقد تقاعد وكان "عضوًا محترمًا في مجتمع إليانور"، لدرجة أنه في عام 2009 مُنح جائزة المواطن الصالح لذلك العام من المدينة. في صورة الصحيفة، كان المشرف القديم عجوزًا، متكئًا على عصا في شرفته، لكن عيناه الباردة الفولاذية أصابت تيرنر بقشعريرة.

"هل سبق لك أن ضربت الصبية ثلاثين أو أربعين مرةً بحزام؟"، سأل المراسل.

"هذا ببساطة ليس صحيحًا، سيدي. أقسم بحياة أطفالي". قال إيرل.

أعادت له ميلي المقالات: "أنتِ تعرفين أن الكاذب العجوز هذا كان يضرب الصبية، من أجل القليل من الانضباط".

لم تفهم. وكيف يمكنها ذلك، إنها تعيش في عالم الحريّة طوال حياتها. قال تيرنر: "كنت أعيش هناك".

نبرة صوته كانت غريبة، قالت له: "إلوود؟" كأنها تختبر الجليد لمعرفة ما إذا كان سيتحمل وزنها.

"كنت في نيكل، هذا هو المكان، أخبرتك سابقًا أنني كنت في مدرسة إصلاحية، لكنني لم أفصح عن الاسم مطلقًا".

قالت: "تعال هنا يا إلوود"، كان جالسًا على الأريكة، لم يقضِ خدمته هناك بالكامل كما أخبرها منذ سنوات، بل هرب. ثم سرد لها باقي الحكاية بما في ذلك قصة صديقه، قال تيرنر: "كان اسمه إلوود".

ظلّا على الأريكة لمدة ساعتين، دون احتساب الخمس عشرة دقيقة في منتصف الحديث والتي قضتها في غرفة نومهما والباب مغلق،

قائلة: "أحتاج أن أبقى وحيدة قليلاً، آسفة". ثم عادت، وعيناها شديدتا الاحمرار، وتابعا حديثهما.

من بعض النواحي، كان تيرنر يروي قصة إلوود منذ وفاة صديقه عبر سنوات وسنوات من المراجعات، وبتصحيح الأمر، حيث توقف عن كونه قِطَ شوارِع يائس وتحوّل إلى رجل يعتقد أن إلوود سيفخر به. لم يكن كافيًا أن يظل على قيد الحياة، عليك أن تعيش، لقد سمع صوت إلوود وهو يسير في برودواي تحت الشمس وسمعه ساهرًا في ليلة طويلة منحنيًا فوق الكتب. دخل تيرنر إلى نيكل مع الاستراتيجيات والخدع التي استطاع كسبها بشق الأنفس وموهبة في الابتعاد عن الأذى. قفز فوق السياج إلى الجانب الآخر حيث المرج والغابة ثم.. اختفى الصبيّان. باسم إلوود، حاول إيجاد طريق آخر، الآن ها هو.. إلى أين يا ترى أخذه هذا الاسم؟

قالت ميلي: "خلافك مع توم"، لحظات مرت من تسعة عشر عامًا تحولت إلى شيء عميق. كان من الأسهل التركيز على التفاصيل، عَلِقَتْ ميلي داخل الأشياء الصغيرة ومنعتها من التقاط الصورة بأكملها. شجارُه مع توم، الذي عمل معه في أول وظيفة نقلٍ له. لقد كانا أصدقاء لفترة طويلة، وحدث ذلك في حفلة شواء بالرابع من يوليو في بورت جيفرسون داخل منزل الرجل، كانا يتحدثان عن مطرب راب خرج للتو من السجن بتهمة التهرب الضريبي وقال توم: "لا تفعل الجريمة إذا كنت لا تستطيع قضاء خدمتك بالسجن"، وغناها كما في أغنية تتر الافتتاحية لبرنامج الشرطي القديم هذا.

قال لتوم: "هذا هو سبب إفلاتهم من العقاب، لأن أشخاصًا مثلك يعتقدون أنهم يستحقون ذلك" لماذا كان - من؟ إلوود؟ تيرنر؟ الرجل الذي تزوجته - يدافع عن هذا المتشرد؟ وينفجر غاضبًا بهذا الشكل. صرخ في توم

أمام الحفلة بأكملها بينما كان يقلب البرغر مرتديًا ذلك المئزر السخيف، عادا بالسيارة إلى مانهاتن في صمت. أشياء صغيرة أخرى: خروجه من الأفلام دون أي تفسير سوى "أشعر بالملل" لأن مشهدًا - للعنف والعجز - اختطفه وأعاده إلى نيكل. لقد كان دائمًا هادئًا جدًا وحتى في تلك الأوقات التي يتسلل فيها الظلام إليه. يتعالى صراخه حول رجال الشرطة ونظام العدالة الجنائية والأشخاص العنيفين - الجميع يكره رجال الشرطة - لكن الأمر كان مختلفًا معه وعلّمت نفسها أن تسمح له بالتنفيس عندما يصل إلى إحدى شطحاته بسبب الشيء الوحشي الذي يرتسم على وجهه، حدة كلماته. الكوابيس التي عذبته، تلك التي ادعى أنه لا يتذكرها، كانت تعلم أن مدرسته الإصلاحية سيئة لكنها لم تعلم أنها نيكل بالذات. أخذت رأسه في حجرها وهو يبكي، ومررت إبهامها على الندبة في أذنه، الندبة التي لم تلاحظها قط رغم أنها كانت أمامها مباشرة.

من كان هذا؟ إنه هو، الرجل نفسه الذي كانه دائمًا. أخبرته أنها فهمت، بقدر ما كانت قادرة على فهم ذلك منذ الليلة الأولى. إنه هو، وكانا في العمر نفسه. لقد نشأت في البلدة نفسها وبالجلد نفسه، عاشت في مدينة نيويورك في عام 2014. يصعب أحيانًا تذكّر مدى سوء الوضع - الانحناء على نافورة السود عند زيارة عائلتها في فرجينيا[111]، بذل الأشخاص البيض مجهودًا هائلاً في سحقهم - عاد كل ذلك إلى الذاكرة سريعًا، انطلق بأشياء صغيرة، مثل الوقوف على زاوية الشارع في محاولة لإيقاف سيارة أجرة، وهو إذلال روتيني كانت تنساه بعد خمس دقائق لأنها إن لم تفعل ذلك فسوف تصاب بالجنون، وتنطلق من الأشياء الكبيرة، رحلة بالسيارة عبر حيّ فاسد اشتهر بالعنصرية، أو قتل صبيّ آخر برصاص شرطي: إنهم

يعاملوننا كأننا من دون البشر في بلدنا، لطالما كانوا هكذا، وربما سيبقون كذلك دائمًا. لم يكن اسمه مهمًّا، كانت الكذبة كبيرة لكنها تفهمها أكثر كلّما تعرّفت على تفاصيل قصّته، بالنظر إلى الكيفية التي سحقه بها العالم للخروج من هذا المكان وإنجاز شيء ما لنفسه، ليصبح رجلاً قادرًا على حبها بالطريقة التي فعلها، ليصبح الرجل الذي تحبه.. لم تكن كذبته شيئًا مقارنة بما فعله في حياته.

"أنا لا أدعو زوجي باسم عائلته فقط.. تيرنر؟".

"جاك، جاك تيرنر". لم ينادِه أحد على الإطلاق بجاك باستثناء والدته وخالته.

قالت: "سأحاول ذلك، جاك، جاك، جاك".

بدا الأمر على ما يرام بالنسبة له، مضبوطًا أكثر في كل مرة تتفوه به.

عصرا جسديهما داخل بعضهما، قالت وهي في فراشهما: "أخبرني بكل شيء، هذه ليست مجرد ليلة واحدة".

"أعرف ذلك سوف أحكي".

"ماذا لو ألقوا بك في السجن؟"

"أنا لا أعرف ماذا سيفعلون".

يجب أن تذهب معه، أرادت الذهاب معه، لكنه لن يسمح لها. سيكون عليهما استكمال الحديث بعد فعل هذا الشيء. بغض النظر عن الطريقة التي سينتهي بها الأمر هناك.

لم يتكلما بعد ذلك. لم يناما، كانت متكورة بمحاذاة عموده الفقري، مدّ يده على ردفها للتأكد من أنها لا تزال حقيقية.

أعلنت السيدة على البوابة عن رحلته إلى تالاهاسي، كان لديه

خلاف مع نفسه. تمدد ونام، كان مستيقظًا طوال الليل، وعندما استيقظ على متن الطائرة، بدأ جداله مع نفسه حول الخيانة. لقد غيّرت ميلي كل شيء داخله. عدلت ما كان عليه، لكنه خانها، وقد خان إلوود بتسليمه تلك الرسالة. كان يجب أن يحرقها ويخرجه من هذه الخطة الحمقاء بدلاً من أن يصمت. الصمت كان كل ما حصل عليه الصبي، يقول: "سأتخذ موقفاً" لكن العالم بأكمله صمت. إلوود وأموره الأخلاقية الجميلة وأفكاره الرائعة عن قدرة البشر على التحسن، عن قدرة العالم على تصحيح نفسه. لقد أنقذ إلوود من هاتين الحلقتين الحديديتين في الخلف، ومن المقبرة السرية، لكنهم دفنوه في بووت هيل بدلاً من ذلك.

كان يجب أن يحرق تلك الرسالة.

من خلال ما قرأه في مقالات نيكل في السنوات القليلة الماضية، قاموا بدفن الصّبية القتلى بسرعة لتجنب أي تحقيق، ولا حتى كلمة واحدة لعائلاتهم، لكن بعد ذلك من لديه المال لإعادتهم إلى المنزل ودفنهم هناك؟ ليست هارييت. وجد تيرنر نعيها في الأرشيف عبر الإنترنت لصحيفة تالاهاسي. ماتت بعد عام من وفاة إلوود، وقبل وفاة ابنتها إيفلين. ولم يُذكر ما إذا كانت الابنة قد حضرت الجنازة. كان لدى تيرنر المال الآن لدفن صديقه بشكل صحيح، لكن أي تعويض كان سيظل معلقًا. مثل ما قاله لميلي ليوضح لها من هو، لم يستطع رؤية أي شيء بخلاف عودته إلى نيكل.

في طابور انتظار سيارة الأجرة خارج مطار تالاهاسي، أراد تيرنر أن يشعل سيجارة من المدخن اليائس الذي أشعل سيجارته بعد أن حبسه في الطائرة. وجه ميلي الصارم حذره وأطلق صفيرًا: "لا يوجد مكان محدد للذهاب إليه[112]"، لإلهاء نفسه. بمجرد أن أصبح في طريقه إلى فندق

راديسون، قام بقراءة المقال من تامبا باي تايمز مرة أخرى. قرأه كثيرًا لدرجة أن أصابعه لطخت الورقة، عليه أن يشكو إلى إيفيت بشأن الحبر أو ما شابه عندما يعود، حينما يحين ذلك. كان أمام شركة الأروع للنقل مستقبل، وإن لم يكن كذلك.

وفقًا للصحيفة، فإن المؤتمر الصحفي في الساعة الحادية عشرة صباحًا، وكان شريف إليانور سيقدم تحديثًا حول تحقيق المقابر، وسيتحدث أستاذ علم الآثار من جامعة جنوب فلوريدا عن فحوصات الطب الشرعي للصِبية المتوفين. وسيحضر بعض صِبية البيت الأبيض للإدلاء بشهادتهم. لقد احتفظ بعلامات التبويب مفتوحة عليهم عبر الويب الخاص بهم في العامين الماضيين؛ لم الشمل، وقصص حياتهم في المدرسة وبعد ذلك، ومحاولات الاعتراف بهم. أرادوا نصبًا تذكاريًّا واعتذارًا من الولاية، أرادوا أن يصل صوتهم إلى أبعد مكان. كان يعتقد أنهم مثيرون للشفقة، يتأوهون مما حدث قبل أربعين، خمسين عامًا، لكنه أدرك الآن أن حالته المزرية هي التي أثارته، إلى أي مدى يخاف من رؤية اسم المكان والصور. بغض النظر عن الجبهة التي كان ينحاز لها، في الوقت الحاضر وفي ذلك الوقت، شجاعته أمام إلوود والصبية الآخرين. كان خائفًا طوال الوقت، ولا يزال خائفًا. أغلقت ولاية فلوريدا المدرسة قبل ثلاث سنوات والآن بدأ كل شيء ينكشف، كما لو كان على الجميع، كل الصبية، انتظار موتها قبل أن يرووا الحكاية. لا يمكن أن يؤذيهم أحد الآن، اختطافهم في منتصف الليل ومعاملَتهم بوحشية. يمكن أن يؤذيهم فقط بالطرق القديمة المألوفة.

كان كل الرجال الموجودين على الويب من البيض، من إذن سيتحدث نيابة عن الصبية السود؟ لقد حان الوقت لشخص ما.

بعد رؤية الأراضي والمباني الملعونة في الأخبار المسائية، كان عليه العودة، للحديث عن قصة إلوود، بغض النظر عما فعله. هل سيكون رجلًا مطلوبًا؟ لم يكن تيرنر يعرف القانون لكنه لم يقلل من شأن انحراف النظام. ليس بعد ذلك، ليس الآن لكن ما سيحدث سيحدث. سيجد قبر إلوود وسيخبر صديقه عن حياته بعد قطعه ذلك المرج ركضًا، كيف نمت تلك اللحظة داخل تيرنر وغيَّرت مجرى حياته للأبد. سيخبر الشريف من هو، سيشارك قصّة إلوود وما فعلوه به عندما حاول وضع حد لجرائمهم.

سيخبر صِبية البيت الأبيض أنه كان أحدهم، وقد نجا مثلهم. سيخبر أي شخص مهتم أنّه كان يعيش هناك.

انتصب فندق راديسون في زاويةٍ وسط شارع مونرو، لقد كان فندقًا قديمًا أضافوا إليه مجموعة من الطوابق. تجاورت النوافذ الحديثة الغامقة وجوانب الأجزاء الجديدة البنية المعدنية مع الطوب الأحمر للطوابق الثلاثة القديمة السفلية، كان ذلك أفضل من هدم المكان وبناءه من جديد. تكرّر هذا بالمباني في هذه الأيام، خاصة في هارلم. كل تلك المباني التي شهدت الكثير، حيث مضوا قدمًا وقاموا بهدمها، فالفندق القديم له أساس جيد. لقد مرّ وقت طويل منذ أن رأى العمارة الجنوبية التي ملأت شبابه، مع الشرفات المفتوحة والشرفات البيضاء التي تدور حول الأدوار الأرضية مثل شريط طويل للآلة الكاتبة.

دخل تيرنر إلى غرفته، قرقرت معدته بعد أن فتح حقيبته، فعاد إلى مطعم الفندق. كانت فترة ما بين أوقات تقديم الوجبات، والمكان فارغًا. وقفت الخادمة متراخية بجوار كاونتر الخدمة، كانت فتاة مراهقة شاحبة ذات شعر أسود مصبوغ، مرتدية قميص فرقة لم يسمع بها من قبل، أسود

وفوقه جمجمة خضراء ضاحكة مغطاة، يبدو فريق موسيقى روك، هيفي ميتال أو ما شابه. وضعت مجلتها وقالت: "اجلس في أي مكان تريد".

أعادوا تصميم غرفة الطعام بأسلوب فندقي معاصر، مع الكثير من البلاستيك الأخضر القابل للتنظيف. بثت ثلاثة أجهزة تلفاز قابلة للتحريك محطة الأخبار نفسها في زوايا مختلفة بالمطعم، وكانت الأخبار سيئة كما كانت دائمًا، وأغنية بوب من الثمانينيات تصدح من مكبرات صوت مخفية، وهي نسخة تم إعادة توزيعها في بدايتها، نظر في القائمة وقرر أنه سيأكل البرغر. كُتب اسم المطعم – بلوندز! - في مقدمة القائمة بخط ذهبي سميك، وأسفل ذلك كان هناك فقرة مختصرة عن تاريخ المكان. كان فندق ريتشموند في السابق أحد معالم تالاهاسي، وقد بذلوا عناية فائقة - كما قالوا - للحفاظ على روح المبنى القديم العظيم، وفي المتجر الملحق بالاستقبال تباع البطاقات البريدية.

لو لم يكن مرهقًا بهذا القدر، لكان تعرّف على الاسم من قصة سمعها ذات مرة عندما كان صغيرًا، عن صبي كان يحب قراءة قصص المغامرات في المطبخ، لكن القصة راوغته، كان جائعًا وكانوا يقدمون الطلبات طوال اليوم، وكان ذلك كافيًا.

تمّت

شكر وتقدير

هذه الرواية خيالية وجميع الشخصيات من وحي خيالي، لكنها مستوحاة من قصة مدرسة دوزير للبنين في ماريانا، بفلوريدا. سمعت عنها لأول مرة في صيف 2014 واكتشفت تقارير بن مونتغمري في جريدة تامبا باي تايمز. تفحصت بعدها الأرشيف الصحفي من أجل نظرة شاملة على الأحداث. ثم قادتني مقالات مونتغمري إلى دكتورة إيرين كيميرل وطلابها في علم الآثار بجامعة جنوب فلوريدا. كانت دراستهم لمواقع القبور لا تقدر بثمن، جمعوها في تقرير عن حالات الوفيات والدفن داخل فناء المدرسة. وهي تقارير متاحة على الموقع الجامعة الإلكتروني. عندما قرأ إلوود كتيب المدرسة في المستشفى، كنت قد اقتبسته من تقريرهم عن مهام المدرسة اليومية.

(Officialwhitehouseboys.org) هذا هو الموقع الإلكتروني للناجين من مدرسة دوزير، يمكنك تصفحه للاطلاع على قصصهم التي كتبوها بأنفسهم. اقتبست من قصة (Jack Townsley) ما قاله سبنسر عن الانضباط في الفصل الرابع.

كما يحتوي مقال (Nathaniel Penn's GQ) **"الدفن حيا: قصص من الحبس الانفرادي"، على مقابلة مع سجين يُدعى داني جونسون، قال به:** "أسوأ شيء يحدث في الحبس الانفرادي على الإطلاق، يحدث كل يوم: أن تستيقظ في نفس الغرفة". قضى السيد جونسون سبعة وعشرين عاما في

الحبس الانفرادي، ولقد اقتبست هذا في الفصل السادس عشر.

كما كتب مأمور السجن السابق توم مورتون مع جوي هيامز عن نظام سجن أركنساس في كتابه "المشاركون في الجريمة: فضيحة سجن أركنساس". وفر الكتاب نظرة عامة على الفساد داخل السجن وهو الكتاب الذي أخذت منه أحداث فيلم بروباكر، وهو الفيلم الذي يجب مشاهدته إن كنت مهتما بأمر السجون وانتهاكاتها.

كما اقتبست بعض أقوال مارتن لوثر كينغ الابن، الرجل الذي كان سماع صوته في رأسي يشحذ طاقتي. استشهد إلوود بخطبته في كنيسة تسيون هيل 1962، خاصة الجزء المتعلق بملاهي فن تاون، و"رسالته من سجن برنغهام" وخطابه في كلية كورنيل في نفس العام.

(**Negroes are Americans**) السود أمريكيون، العبارة التي وردت في الفصل الثالث بالرواية، كانت اقتباس من جيمس بالدوين من مقال (**Many Thousands Gone**) المنشور في كتاب (**Notes of a Native Son**).

هذا هو كتابي التاسع مع دار نشر (**Doubleday**)، أشكر المحررين والعاملين هناك، كما أشكر أفراد أسرتي جولي ومادي وبيكيت.

محظوظ الرجل الذي يجد مثل هؤلاء في حياته.

كَولسون وايتهيد

الهوامش

[1] فيلم إيطالي ينتمي إلى مدرسة سباغتي ويسترن وهي أفلام عن الغرب الأمريكي منتجة في أوروبا، الفيلم إنتاج 1969. (هوامش الرواية من إضافة المترجمة).

[2] ويلي مايس لاعب بيسبول أسود، لعب في مباراة عام 1954 وأُطلق على هذه المباراة اسم (The Catch) وتعد أحد أعظم المباريات في تاريخ لعبة البيسبول.

[3] تأجير شريك للرقص بمقابل مادّي، وكان اسمهم راقصو التاكسي. ظهرت هذه الرقصة لأول مرة في بداية القرن العشرين في أمريكا وكانت تكلف عشر سنتات فقط.

[4] مجال يقوم بتفسير التاريخ على أسس لم يعترف بها المجتمع العلمي.

[5] سائل عديم اللون، شديد الاشتعال وذو رائحة نفاذة. ويستعمل في صناعة المواد الكيميائية.

[6] شركة إنتاج أمريكية موسيقية، أنشأها بيري غوردي في ولاية ديترويت ومقرها الآن نيويورك، لعبت تسجيلاتهم دورا كبيرا في الدمج العرقي بين الموسيقى الشعبية في الستينيات، وتقدم نمط من موسيقى السول مع البوب.

[7] مدينة ملاهي أمريكية كانت تمنع دخول أطفال السود.

[8] لعبة انتشرت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي تشبه لعبة قطار الموت حاليا في الملاهي الكبرى.

[9] الأخوان فرانك وجو هاردي، شخصيتان خياليتان ظهرتا في العديد من سلاسل الغموض للأطفال والمراهقين. ابتكرهما الكاتب الأمريكي إدوارد ستراتماير، وظهرت قصة الفتى هاردي أول مرة عام 1927.

[10] Norman Rockwell (1894–1978)، رسام ومصور أمريكي، تحظى أعماله بجاذبية واسعة في الولايات المتحدة لعكسها للثقافة الأمريكية الشعبية.

[11] الشخصية الرئيسة في سلسلة كتب أطفال عن الخيال العلمي وروايات للأطفال الأمريكيين، وتحكي عن العلم والتكنولوجيا، نُشرت السلسلة لأول مرة عام 1910 وتضم أكثر من 100 مجلد.

[12] هي قضية تاريخية بارزة في الولايات المتحدة الأمريكية أقامها أوليفر براون وآخرين عام 1952، حيث أعلنت فيها المحكمة العليا أن القوانين التي تنص على إنشاء مدارس عامة تفصل الطلاب السود عن البيض غير دستورية. أنهت هذه القضية الفصل العنصري القانوني في المدارس العامة.

[13] شخصية سوداء البشرة خيالية في أغنية شعبية تم تأليفها عام 1830، يطلقون عليها قوانين جيم كرو، التي طالبوا من خلالها بفصل الأعراق في كثير من الأماكن العامة.

[14] اسم يشير إلى تسريحة شعر قديمة تعود إلى القرن الثامن عشر نسبة إلى مدام دي بومبادور عشيقة الملك لويس الخامس عشر.

[15] معسكر تدريب في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، موقعه في فلوريدا.

[16] مقر السلاح الجوي للجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية ويقع في فلوريدا، أُغلق عام 1946 ثم أُعيد فتحه للاستخدام المدني.

[17] مجلة مصوّرة (كوميكس) أمريكية بدأ نشرها في أواخر خمسينيات القرن الماضي.

[18] مجلة أسبوعية أمريكية، صدرت لأول مرة في نوفمبر 1951، وهي مهتمة بالمجتمع الأمريكي الأفريقي.

[19] مجلة شهرية كانت مهتمة بثقافة وحياة المجتمع الأمريكي الأفريقي منذ عام 1945.

[20] مجلة أمريكية مختصة بأخبار المجتمع الأمريكي الأفريقي، نشرت لأول مرة عام 1910.

[21] مجلة أمريكية مختصة أيضا بأخبار المجتمع الأمريكي الأفريقي، نُشرت لأول مرة عام 1905 وتحولت الآن لمجلة إلكترونية.

[22] علكة أمريكية محلية، ظهرت في الأسواق عام 1947.

[23] ناشطون في مجال الحقوق المدنية ركبوا الحافلات بين ولايات أمريكا الجنوبية المعزولة عام 1961، للطعن في عدم إنفاذ قرارات المحكمة العليا في الولايات المتحدة التي قضت أن الفصل بين الركاب في الحافلات العامة أمر غير دستوري، غادر موكب الحرية العاصمة واشنطن في 4 مايو 1961، وكان مقرّرًا له الوصول إلى نيو أولينز في 17 مايو.

[24] يتم الاحتفال بيوم التحرر في العديد من المستعمرات الأوروبية السابقة في منطقة بحر الكاريبي ومناطق من الولايات المتحدة في تواريخ مختلفة لإحياء ذكرى تحرير العبيد المنحدرين من أصل أفريقي.

[25] فيلم أمريكي عرض لأول مرة عام 1963 من بطولة مارلون براندو.

[26] منظمة حقوق مدنية أمريكية أفريقية في الولايات المتحدة لعبت دورًا محوريًا للأميركيين الأفارقة في حركة الحقوق المدنية. تأسست في عام 1942.

[27] فيلم خيال علمي، تم إنتاجه عام 1963.

[28] يعود عصر إعادة الإعمار إلى 1865 – 1877 وهي الأعوام التي تلت الحرب الأهلية.

[29] كتاب مكون من 10 مقالات كتبها الروائي الأمريكي جيمس بالدوين عام 1955، تتناول قضايا العرق في أمريكا وأوروبا.

[30] نظام موسيقي للتحكم في مستوى الصوت يدويا.

[31] - مقولة للمؤلف نفسه.

[32] ممثل أمريكي اشتهر بأداء أدوار زعيم عصابات.

[33] هو صنف موسيقي يتبع البلوز نشأ بين الشباب الأمريكيين السود في الأربعينيات.

[34] استخدم أهل فلوريدا مصطلح (Cracker) للإشارة إلى المقيمين الجدد الذي توافدوا على الولاية من شمال الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك وأمريكا اللاتينية.

[35] كان مسرح عمليات المحيط الهادئ في الحرب العالمية مسرحا رئيسيا لحرب المحيط الهادئ حيث دار الصراع بين الحلفاء وإمبراطورية اليابان.

[36] قانون تعديل العسكريين لعام 1944، المعروف باسم جي. بيل، كان قانونًا يوفر مجموعة من المزايا لبعض قدامى المحاربين العائدين في الحرب العالمية الثانية. انتهت صلاحية مشروع القانون في عام 1956، لكن لا يزال يُستخدم للإشارة إلى البرامج التي تم إنشاؤها لمساعدة بعض قدامى المحاربين العسكريين الأمريكيين.

[37] (The Crypt of Torror) و(The Vault of Horror) مجلات مصوّرة (كوميكس) أمريكية نُشرت لأول مرة في الخمسينيات.

[38] عبارة عن وعاء يستخدم لتواليت مريض طريح الفراش، وعادة ما يكون مصنوعًا من المعدن أو الزجاج أو السيراميك.

[39] - مسلسل سيت كوم أمريكي كان يُعرض ما بين عامي 1960 – 1968.

[40] مجلة تصدرها جامعة فلوريدا.

[41] هو برنامج إذاعي صباحي متنوع كان يقدمه دون ماكنيل من عام 1933 إلى 1968.

[42] مسلسل سيت كوم إذاعي تلفزيوني أبطاله سود البشرة، وتدور أحداثه في شيكاغو وهارلم، عرض من عام 1928 إلى عام 1960.

[43] الأصل في النص هو "هولي ماكريل!" وهو تعبير يقال إنه يعود إلى مريم المقدسة، لأن الماكريل يعتبر لقبا للكاثوليك لأنهم يتناولون السمك في أيام الجُمع، وهو تعبير يستخدم في حالة الدهشة والمفاجأة.

[44] ملاكم أمريكي 1930-1970 تنافس في الفترة من 1953-1970.

[45] الملاكم محمد علي كلاي.

[46] Lone Ranger أو الحارس الوحيد، هو شخصية خيالية أمريكية ابتكرها جورج دبليو ترندل. ظهرت لأول مرة في مسلسل إذاعي عام 1933. وتدور الأحداث حول لون رانجر حارس مقنع من رعاة البقر في تكساس، يحارب الظلم في الغرب الأمريكي.

[47] أنتوني ترولوب (1815 - 1882) روائي إنجليزي في العصر الفيكتوري.

[48] هي آلة افتراضية تستطيع العمل إلى ما لا نهاية دون حاجتها إلى مصدر للطاقة. يستحيل وجود هذا النوع من الآلات إذ تتعارض مع قوانين الديناميكا الحرارية الأول والثاني، ويعود تاريخ هذه الآلة للعصور الوسطى.

[49] عملة ذهبية، كانت تستخدم كعملة أوروبية حتى أوائل القرن العشرين.

[50] (Wild Cherry Hi- C) عصير فواكه أنتجته شركة كوكا كولا عام 1946.

[51] مطعم أمريكي للأكلات السريعة، الاسم الأصلي John's Diner والكاتب يقصد هنا أن الحرف والكومة`s سقطا من اليافطة.

[52] Meet-and-Three سلسلة مطاعم أمريكية تقدم يوميا من ثلاثة إلى ستة أنواع من اللحوم بجانب ثلاثة أطباق جانبية وعلى الزبون أن يختار من بينهم.

[53] تشاك بيري (1926–2017) هو عازف جيتار ومغني وكاتب أغاني أمريكي وأحد رواد موسيقى الروك أند رول.

[54] (Ain't that a stinker) جملة شهيرة لباغز باني.

[55] استخدم الكاتب knock-kneed في النص الأصلي التي تعني مرض تقارب الركبتين (الركبة الروحاء).

[56] (Ku Klux Klan) واختصارا تدعى أيضا (KKK)، هو اسم يطلق على عدد من المنظمات الأخوية في الولايات المتحدة الأمريكية منها القديم ومنها من لا يزال يعمل حتى اليوم. تؤمن هذه المنظمات بالتفوق الأبيض ومعاداة السامية والعنصرية ومعاداة الكاثوليكية، تعْمَد هذه المنظمات عموما لاستخدام العنف والإرهاب وممارسات تعذيبية كالحرق على الصليب لاضطهاد من يكرهونهم مثل الأمريكيين الأفارقة وغيرهم.

[57] هو الشخص المولود لأبوين ليسا من نفس اللون، الأب أسود والأم بيضاء أو العكس.

[58] نبع حار يدفع الماء الساخن والبخار في الهواء من فتحات وشقوق في السطح الخارجي للقشرة الأرضية بشكل متكرر. لذلك فهي ظاهرة نادرة توجد فقط في بعض الأراضي ذات الجيولوجية البركانية مثل إيسلندا.

[59] أداة تستخدم لتفتيت الجليد، قبل الثلاجات الحديثة، كان معول الثلج أداة منزلية تستخدم لفصل وتشكيل كتل الجليد المستخدمة في الفريزر.

[60] سلسلة متاجر أمريكية، افتتحت لأول مرة عام 1879 بنيويورك.

[61] (Great White Hope) رمز للعنصرية والقمع، ظهر لأول مرة في مباراة ملاكمة بين الملاكم جاك جونسون (1878 – 1946)، أول أمريكي من أصل أفريقي يحمل لقب بطولة العالم للوزن الثقيل وكان من أفضل المقاتلين في جيله. قلق الكونغرس من مشاهد قتال جونسون للملاكمين البيض وهزيمتهم وصرح أن هذا قد يؤدي إلى أعمال شغب عرقية. والأمل الأبيض العظيم هو إشارة إلى الملاكم الأبيض الذي كان الكثير يأملون أن يهزم جونسون في النهاية.

[62] لعبة (Find the Lady) أو الثلاث ورقات، لعبة يتم فيها خداع المراهنين على مبلغ من المال لإيجاد ورقة الملكة، وتعتمد على خفة اليد.

[63] هارولد جورج بيلانفانتي، الابن (من مواليد 1 مارس 1927) مغني، كاتب أغاني، ممثل، وناشط اجتماعي أمريكي يعتبر من أنجح نجوم البوب الأمريكان الكاريبيين في التاريخ، كما كان من أوائل داعمي حركة الحقوق المدنية في الخمسينيات، وأحد المقربين من مارتن لوثر كينغ..

[64] بدأت المناظرات الرئاسية للولايات المتحدة في سلسلة من المناقشات جرت خلال الانتخابات الرئاسية عام 1960 بين المرشح الديمقراطي جون إف كينيدي والمرشح الجمهوري ريتشارد نيكسون. كانت المناظرات الأربع الرئاسية تلك هي أول سلسلة مناقشات أجريت لأي انتخابات رئاسية في تاريخ أمريكا.

[65] تُحَف فنية تمثل مكان وقصة ميلاد يسوع المسيح، ودرجت العادة أن يبنوا بمناسبة عيد ميلاد السيد المسيح مغارات في البيوت والكنائس والمدارس والمستشفيات ومراكز التسوق خلال موسم الكريسماس.

[66] بيت الحلوى، حكاية شعبية خيالية مشهورة للأطفال دوّنها الأخوان غريم.

[67] هي حكاية عن ثلاثة خنازير قاموا ببناء ثلاثة منازل من مواد مختلفة. يقوم ذئب كبير سيء بهدم منزلي الخنزيرين الأولين، المصنوع من القش والعصي على التوالي، لكنه غير قادر على تدمير منزل الخنزير الثالث، المصنوع من الطوب.

[68] بسكويت مصنوع من الزنجبيل، يكون على شكل إنسان يتم خبزه في الكريسماس والهالوين وعيد الفصح. وهو حكاية خرافية عن رجل مصنوع من الزنجبيل يصبح رجلاً حقيقيًّا ويعيش مع زوجين مسنين وفي النهاية يلتهمه الثعلب.

[69] لعبة مقامرة تعتمد على أرقام النرد.

[70] مكان يلجأ إليه العشاق لتبادل القبل والمداعبات ويكون محجوبا عن الأعين، قد يكون حارة صغيرة أو داخل سيارة أو حتى داخل فندق أو بيت، والمقصود هنا أن إيرل ربما اغتصبه.

[71] كان سياسيا أمريكيا شغل منصب حاكم أركنساس من 1955 إلى 1967. في عام 1957 رفض الامتثال لقرار المحكمة العليا للولايات المتحدة في قضية براون ضد مجلس التعليم، وأمر حرس أركنساس الوطني بمنع الطلاب السود من الالتحاق بمدرسة ليتل روك المركزية الثانوية. وأصبح هذا الحدث معروفا باسم أزمة ليتل روك.

[72] المقصود يوم الاستقلال الأمريكي، هو عطلة فيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة اعتماد وثيقة إعلان الاستقلال في 4 يوليو من عام 1776، مُعلنةً استقلالها عن بريطانيا العظمى. وعادةً ما يرتبط بعيد الاستقلال المسيرات والألعاب النارية وحفلات الشواء والكرنفالات والمعارض والرحلات والحفلات الموسيقية ومباريات البيسبول وحتى لم شمل العائلة.

[73] نشأ يوم المؤسسين عقب إعلان الكونغرس القاري للولايات المتحدة في 11 أكتوبر 1782، ردًا على قبول بريطانيا العظمى المتوقع هزيمتها في الحرب الثورية الأمريكية. لم تنته الحرب رسميًا حتى صدق الكونجرس على معاهدة باريس في 14 يناير 1784.

[74] إضراب قام به العاملون في قطاع الصرف الصحي لتحسين ظروف عملهم ودام عدة شهور وامتد لأكثر من ولاية حينها.

[75] شكل من أشكال الإسكان الذي يستهدف أصحاب الدخل المنخفض. عبارة عن غرفة واحدة مَفروشة من دون حمام أو مطبخ، حيث تتشارك كل عدة غرف في مطبخ وحمام واحد.

[76] (The Defiant Ones) هو فيلم درامي أنتجته الولايات المتحدة وصدر سنة 1958.

[77] (The Late Late Show with James Corden) برنامج حواري أمريكي كان يعرض في وقت متأخر من الليل.

[78] اختبار تطوير التعليم العام (General Educational Development) هو اختبار باجتيازه تكون هناك شهادة رسمية بأن هذا الشخص لديه المهارات الدراسية المعادلة لشهادة الثانوية العامة الأمريكية أو الكندية.

[79] المقصود إبراهم بيم الذي كان عمدة مدينة نيويورك (1974–1977) وفي فترة الستينيات كان المراقب المالي للولاية.

[80] معروف أيضًا باسم الصندوق الساخن، هو طريقة للحبس الانفرادي، قد يعاني أي شخص يوضع في الصندوق من الحرارة الشديدة أو الجفاف أو الإرهاق الحراري فالموت.

[81] سباق الفضاء منافسةً وقعت في القرن العشرين بين خصمين في الحرب الباردة، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، لتحقيق التفوق في تكنولوجيا الرحلات الفضائية.

[82] ميدان صغير وتقاطع مروري مزدحم في مدينة نيويورك بحي مانهاتن وسمي على اسم كريستوفر كولومبوس.

[83] علامة تجارية لمشروب رياضي، تصنعه شركة بيبسي ويوزع في أكثر من 80 دولة، تم إنتاجها لأول مرة في سنة 1965 بعد أبحاث من فريق في جامعة فلوريدا ويحتوي هذا المشروب على الماء مع كربوهيدرات وكانت توزع على أطفال المدارس لتقلل كمية العرق خِلال قيامهم بأعمال رياضية.

[84] بطانية الفضاء، أو بطانية مايلر، هي بطانيات فضيّة مصنوعة من عواكس حرارية لعكس أشعة الشمس، ومواد رقيقة تقلّل من فقدان الشخص حرارته.

[85] نوع من موسيقى غرب الهند بإيقاع أفريقي مختلط.

[86] نوع من موسيقى الجاز تطور في الفترة ما بين أوائل ومنتصف أربعينات القرن العشرين في الولايات المتحدة، ويختص بأغان تتميز بإيقاع سريع.

[87] كان مجرمًا أمريكيًا أصبح شخصية فلكلورية بعد أن قتل بيلي ليونز في كريسماس عام 1895. ويقال إنه قتله لأنه حاول سرقة قبعة ستاغر لي، وجعلت هذه الواقعة منه أيقونة للصلابة والأناقة في أذهان الموسيقيين الشعبيين والبلوز، وكانت مصدر إلهام لأغاني شعبية كثيرة.

[88] هم موسيقيون تم تعيينهم لأداء جلسات التسجيل أو العروض الحية. عادةً ما يكون موسيقيو الجلسة ليسوا أعضاءً دائمين أو رسميين في فرقة موسيقية أو فرقة موسيقية.

[89] هو نوع موسيقي ظهر في المجتمعات الأفريقية الأمريكية في منتصف ستينيات القرن العشرين، عندما أنتج الموسيقيون الأفريقيون الأمريكيون شكلًا جديدًا إيقاعيًا راقصًا من الموسيقا بواسطة مزج موسيقا السول والجاز والريذم آند بلوز (آر آند بي).

[90] المقصود بها الشخص الذي يلقي القمامة بإهمال في الشارع، الشخص القذر. أصبحت شعارًا يستخدم للحث على عدم إلقاء القمامة.

[91] أداة زراعية تتألف من العديد من المسامير أو الأسنان الشوكية أو الأقراص ويتم سحبها عبر التربة.

[92] نادٍ للخدمات الدولية تأسس عام 1915 في ديترويت، ميشيغان. يقع المقر الرئيسي في إنديانا، الولايات المتحدة، ويوجد في أكثر من 80 دولة ومنطقة جغرافية.

[93] آلة قديمة لغزل الألياف الطبيعية والاصطناعية لصنع الخيوط وقد ظهرت عجلة الغزل في آسيا حوالي القرن الحادي عشر الميلادي وأيضا كانت تستخدم من أجل تصنيع الألبسة.

[94] مجلة أمريكية، تصدر حاليا ست مرات في السنة. كانت تصدر أسبوعيًا تحت هذا العنوان من عام 1897 حتى عام 1963، ثم كل أسبوعين حتى عام 1969. في عشرينيات وستينيات القرن الماضي، كانت واحدة من أكثر المجلات انتشارًا وتأثيرًا داخل الطبقة الوسطى الأمريكية.

[95] نشر فرسان كو كلوكس كلان دوريّة (The Imperial Night-Hawk) فأبقت هذه الدورية الأعضاء على علم بنشاطهم في جميع أنحاء البلاد.

[96] كانت فرقة موسيقية معروفة من 1967 إلى 1972 باسم مارثا ريفز وفاندلاز. تكوّنت من مجموعة فتيات أمريكيات، تشكلت فى ديترويت عام 1957 وحققت شهره فى الستينيات مع موتاون.

[97] (Agape).

[98] جاكي جليسون (1916 – 1987) كوميديان وممثل وموسيقيّ أمريكي.

[99] بلدة صغيرة، مكان طوباوي خيالي من المسلسل الكوميدي الأمريكي "آندي جريفيث"، عُرض ما بين عامي 1960 – 1968.

[100] (WASP) تعني بروتستانتي أنجلو-ساكوسني.

[101] جزء في مقاطعة بريفارد في فلوريدا، تقع على المحيط الأطلسي للولايات المتّحدة الأمريكية. والمقصود هنا أن شكل رأس كانافيرال على الخريطة يشبه ربطة العنق.

[102] كانت ليتل روك ناين مجموعة من تسعة طلاب أمريكيين من أصل أفريقي التحقوا بمدرسة ليتل روك المركزية الثانوية في عام 1957 حيث منع الطلاب في البداية من دخول المدرسة المعزولة عنصريًا من قبل أورفال فوبوس، حاكم أركنساس. ثم حضروا بعد تدخل الرئيس دوايت أيزنهاور.

[103] هو نهر يتدفق من جنوب غرب كولورادو في الولايات المتحدة إلى خليج المكسيك. وعلى امتداد مساره، يشكل النهر جزءًا من الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة.

[104] مصطلح من لعب الورق. يتم استخدامه في ألعاب مثل البوكر، حيث يخفي الناس قيمة الأوراق التي لديهم. التل هو علامة جسدية - تعبير وجه، عادة عصبية، طريقة معينة للحركة أو الكلام - يفعلها الناس عندما يكذبون أو يتظاهرون. المقصود هنا أن إلوود ظن أن تيرنر يكذب وأراد أن يكشف خدعته.

[105] هو مسلسل تلفزيوني أمريكي كوميدي تم عرضه من عام 1955 إلى 1956، بطولة جاكي جليسون الذي يشبه واحدا من المفتشين.

[106] هو مطبخ عرقي يعده ويأكله الأمريكيون الأفارقة بشكل تقليدي، نشأ في جنوب الولايات المتحدة. وهو مكون من الأطعمة التي أعطاها أصحاب المزارع البيض إلى السود العبيد في المزارع الجنوبية خلال فترة ما قبل الحرب. ونشأ مصطلح "طعام الروح" في منتصف الستينيات، عندما كانت "الروح" كلمة شائعة تستخدم لوصف الثقافة الأمريكية الأفريقية.

[107] وجبة روحية موطنها الجنوب الأمريكي.

[108] صحيفة اجتماعية تغطي أخبار الجزء الغربي من مانهاتن.

[109] النمور السود أو الفهود السود، حركة حقوقية لأفارقة الولايات المتحدة، نشأت بعد مقتل مالكوم إكس وما عقبه من توترات راح ضحيتها أكثر من 300 مواطن أسود مما جعل جماعات سوداء تؤسس ما يسمى بمنظمة النمور السود للدفاع عنهم.

[110] لجنة التنسيق الطلابية اللاعنفية (Student Nonviolent Coordinating Committee) وبالاختصار (SNCC)، من أكبر مؤسسات حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأميركية منذ عام 1960. نشأت عن الموجة الأولى من الاعتصامات الطلابية وتشكلت في مايو 1960.

[111] كانت مظاهر الفصل العنصري ممتدة حتى الفصل في المواصلات والشوارع وطالَ الفصل العنصري تخصيص بعض نوافير الشرب العامّة للسود دون غيرها.

[112] (No Particular Place to Go) أغنية للمطرب تشاك بيري، تم إطلاقها في منتصف الستينات.



Madeline Whitehead

كولسون وايتهيد، قاصّ وروائي من أمريكا. نالت روايتاه: السكك الحديدية السرية (2016) وصِبية نيكل (2020) جوائز بوليتزر (Pulitzer Prize) تباعًا. يهتم في رواياته بمعاناة السّود الأمريكيّين لنيل حريتهم عبر مختلف حقب التاريخ الأمريكي.

أميمة صبحي، كاتبة ومترجمة من مصر. ترجمت إلى العربيّة رواية أمبرشن انجفار «إلينج»، وآلي سميث «فندق العالم»، وصدرت لها مجموعة قصصية بعنوان «رؤى المدينة المقدسة» عام 2019.

تروي «صِبْية نيكل» حكاية الصَّبي «إلوود» الذي لُفِّقت له تُهمة سرقة سيارة وأُخذ إلى «إصلاحية نيكل» لأنه دون السن القانونية. حمل معه كلمات السياسي مارتن لوثر كينغ، في قلبه وعقله، مصمِّمًا على المقاومة والخروج في أسرع وقت، عكس صديقه الوحيد في الإصلاحية «تيرنر» اليائس الذي يشكّ في إمكانية خروجهما أصلًا، فالإصلاحية التي تدّعي تنشئة الأطفال ليصبحوا شُبّانًا صالحين ما هي إلا غرفة من الأهوال للاعتداء عليهم وتحطيمهم، وهي في الوقت نفسه مقرّ لتجارات مشبوهة يقوم بها مسؤولون وتُجّار فاسدون.

تستند رواية «صِبية نيكل» في أحداثها إلى وقائع حقيقية تعود في تاريخها إلى مدرسة «دوزير»، وهي مدرسة إصلاحية في ولاية فلوريدا عملت لمدة 111 عامًا، وكشف بحث أجرته إحدى الجامعات عن تاريخها العنصري في ضرب الطلاب وتعذيبهم وقتلهم، وكشَفت التحقيقات عن وجود نحو 55 قبرًا على أرض المدرسة بحلول ديسمبر 2012.



Pulitzer Prize for Fiction (2020)

- - - - - - - - - - - - - -

Orwell Prize for Political Fiction (2020)

Cover design by Oliver Munday
Jacket photograph: Reflection, Harlem, New York, 1964 © Neil Libbert/ Bridgeman Images



